السنة السادسة العدد ٦٢ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ فبراير ١٩٨١ م





الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الدوحة تفتح باب الحوار حول قضية تبسيط اللغة العربية

● حتى يتكرر الجهد الصحافي [illegible]
بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

● قصة حياة أكبر فنان [illegible] في أوروبا





النخلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

د. أحمد كمال أبو المجد

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

يشهد العالم الاسلامى منذ سنوات تيارا قويا من الشعور الدينى . ومدا لا يخطئه الباحث الاجتماعى او السياسي فى التوجه نحو الاسلام والمناداة بضرورة الاخذ بمبادئه واحكامه واقامة امور المجتمع كلها على اساس من شرائعه ونظمه . وقد بدأ هذا التيار هادئا متدرجا فى نموه اول الامر ، حتى وصفه البعض بانه مجرد رد فعل طبيعى لنكسة عام ١٩٦٧ ، حاول معه جيل الهزيمة ان يفر «نفسيا» الى امجاد الماضى .. ولكن سرعة التيار لم تلبث ان تزايدت ، وبدات مظاهره تصل الى سطح الحياة السياسية والاجتماعية .. كما اخذ انصاره يتجمعون - على امتداد العالم الاسلامى كله - فى احزاب وجمعيات ، اكثر اعضائها من الشباب المتحمس .. كما اخذت الحكومات تستجيب بدرجات متفاوتة لضغط هذا التيار .. حتى امتد الاحساس به والاهتمام بامره خارج العالم الاسلامى ، فامتلات الصحف والمجلات الاجنبية بدراسات عن هذا المد الاسلامى الجديد ، وعقدت فى الغرب والشرق عشرات الندوات واللقاءات تناقش الظاهرة الجديدة وتبحث فى اسبابها ودوافعها وتحاول رصد معالمها الرئيسية .. كما بدا الساسة والحكام فى الدول الاسلامية وغير الاسلامية يعيدون حساباتهم على اساس تعاظم هذا التيار الاسلامى الجديد ..

ويستوقفنا فى الحوار الواسع الدائر حول هذا المد الاسلامى الجديد ، ان كثيرا من الباحثين ، وكثيرا من ممثلى هذا التيار نفسه . يتعاملون معه ومع ظواهره ومكوناته وروافده الفكرية والتنظيمية المختلفة كما لو كانت ظواهر جديدة على تاريخ الإسلام وحياة شعوبه .. مع ان المائة سنة الأخيرة من تاريخ العرب والمسلمين قد شهدت موكبا زاخرا من العلماء والزعماء والمصلحين الذين كانت قضيتهم الكبرى فى الحياة هى قضية «الاحياء الإسلامى» .. او «التمدن الإسلامى» كما نسمود .. وهى قضية نستطيع اليوم ان نلخصها فى عناصر ثلاثة :

● الاحساس بان المسلمين توقفوا عن التقدم ، وركنوا الى الجمود .. وانكفاوا فكريا ونفسيا على الماضى وحده .. وتراجعت أوضاعهم السياسية والاجتماعية .. الى احوال من السوء والفساد احدثت سخطا عاما لدى عامة المسلمين وزعماء الاصلاح منهم بوجه خاص .

● ملاحظة ما احرزته امم اخرى من تقدم وحركة وسبق فى مجالات العلم والعمل .. وصناعة الحياة بكل جوانبها ، واحكام لفنون التنظيمات الادارية والسياسية .. وان هذا التقدم اوجد فجوة واسعة بين «احوال المسلمين» واحوال غيرهم .. وقد نقل المعرفة باوضاع الغرب ومدى تقدمه جيل من الرواد الذين اتصلوا بالحضارة الغربية قراءة واطلاعا ، او تجربة ومشاهدة .. من امثال علي مبارك ، ورفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى ، ومالك بن نبى وكثيرون غيرهم ..

● التوجه الى «تدارك الحال» ، باحداث حركة تقدم اسلامى جديد ، تخرج به الشعوب المسلمة من تخلفها .. لتلحق بركب الشعوب الأخرى من حولها . وفى سبيل هذا التوجه ظهرت عشرات من المدارس والتيارات الفكرية ، متراوحة بين المحافظة الفكرية على «التراث» الاسلامى .. وبين الاندفاعة المحمومة الى التخلص منه ، والتعلق بكل ما هو «غربى» من اسس التفكير ومناهجه .. ومنتجات «الحضارة الغربية» وثمراتها .. ولا نبالغ اذا قررنا ان المائة سنة الأخيرة كانت فترة تفاعل هائل خصب بين هذه التيارات .. وان الاطلاع الواسع والدقيق على الفيض الهائل من الفكر والتجربة الذى اشتملت عليه حركات «الاحياء» «والبعث» «والتمدن» .. شرط لابد منه لفهم «المد الاسلامى المعاصر» - ولاستشراف توجهاته الرئيسية ، وترشيد حركة القائمين على قيادته وريادته ..

التوفيق بين طرفى المعادلة

وليس من اهداف هذه الدراسة ان نضع امام القارىء من جديد - معالم هذه التيارات .. وهموم روادها .. ومواضع الاتفاق والاختلاف بينهم .. وإنما نطرح هنا «تصورا خاصا» لمجموعة الشروط التى نراها ضرورية لتحول «حركة الاحياء الاسلامى» المعاصرة الى «صحوة اسلامية حقيقية» ، قادرة على

تحقيق هدفها الأساسي وهو «تحقيق تقدم المسلمين» عبر صيغة متوازنة تنجو من محاذير «الخروج من الذات» «وفقدان الهوية» — كما تنجو من اسر «الانحصار فى التجربة التاريخية» ، والانعزال عن تيار الحياة الذى تتم وسط امواجه التجربة المعاصرة» .

نعم .. إن الحديث عن «التوفيق» بين الأصالة والتجديد .. حديث معاد .. ولكن يظل صحيحا .. ان المشكلة الحقيقية التى تواجه كل تجربة من تجارب «الاحياء» و «البعث» — ليست فى ابتكار اطراف جديدة لهذه المعادلة .. وإنما المشكلة الحقيقية فى التوفيق «الحقيقى» بين طرفى المعادلة توفيقاً يستند الى أمرين :

الأول : الرؤية الدقيقة للظروف الموضوعية «المعاصرة» التى تحيط بالتجربة ، والقدرة على استخدام «منهج» فعال فى توظيف تلك الظروف لخدمة قيم الحضارة «الاسلامية» ومبادئها ..

الثانى : التحديد الواضح لعناصر «الثبات» و «الحركة» فى «التصور الاسلامي للحياة» .. ذلك ان الاسلام يشتمل على عناصر تثبيت للمجتمع ، كما يشتمل على عناصر تطوير وحركة .. وما لم تحدد هذه العناصر تحديدا واضحا ، فان تجربة الخروج من التخلف عن طريق صيغة تزاوج بين «الأصالة» والتجديد .. ستظل — الى غير نهاية — محكومة بصراعات مستمرة ، حول ما يقبل التطوير ، وما لا يقبله .. وما يلزم الابقـاء عليه من مكونات «التراث» وما يمكن تجاوزه ..

ويحتاج تحديد الموقف من طرفى المعادلة الى دراسة مستفيضة متكاملة .. ولكنى أرجو — فى تواضع — ان أضع تحت نظر «الرواد» و «القادة» فى تيار «الاحياء الاســلامى» ملاحظتيــن اساسيتين تتعلقان بالظروف الموضوعية التى تتم فيها تجربتهم ..

الملاحظة الأولى :

ان تجربة «الصحوة الاسلامية» لا تتم بمعزل عن تجارب الآخرين ومصالحهم .. ومن هنا فليس لروادها من حرية الحركة،



عبد الرحمن الكواكبى

وفرص التجربة والخطأ .. ما يظنون .. انني أشير فى ذلك الى ظاهرة خاصة وهى ان سنوات المد الدينى فى العالم وفى البلاد العربية والإسلامية هى ذات السنوات التى تعاظمت خلالها القوة الاقتصادية للعرب والمسلمين نتيجة تدفق النفط من ارضهم وزيادة مواردهم المالية المتجمعة من بيع هذا النفط لعالم يتوقف سير حضارته الصناعية وحياته اليومية على ما يصله من ذلك النفط وعلى الثمن الذى يدفعه له .

إن من الضرورى ان يلاحظ رواد «الصحوة الاسلامية» حقيقة التداخل بين هاتين الظاهرتين فى تحريك اهتمام العالم كله «بالمد الاسلامى المعاصر» فلو كان هذا المد مجرد تيار فكرى يتعاظم تأثيره فى دولة فقيرة بعيدة عن بؤرة التأثير السياسى والاقتصادى لما حفلت به غير حفنة من المؤرخين والعلماء المتخصصين .. اما هذا الاهتمام العام فسببه ان الصحوة تقع فى بلاد مؤثرة على العــالم ، وعلى الدول الكبرى ومصالحها .. وسببه — فوق ذلك — ان هذه الصحوة قد بدأت تأخذ أشكالا غير محافظة وغير تقليدية وانها تعتنق فى تصورها الغالب للاسلام رؤية شمولية وحركية ذات محتوى اجتماعى وسياسى .. يمكن لآثارها ان تمتد الى خارج العالم الاسلامى لتؤثر فى العديد من الأوضاع السائدة خارج ذلك العالم ...

إن معنى هذا كله — من الناحية العملية — ان نمو تيار «الصحوة الاسلامية» لن يترك ليمارس حركته الحرة .. نموا وانتشارا .. وان للعديد من القوى العالمية مصالح اكيدة فى استدراجه الى مواجهة مبكرة تجهض حركته وتوقف نموه .. او الى معارك داخلية تستغرق تلك الطاقة .. وتبدد الجهد .. وتنتهى به الى الاختفاء التدريجى كما حدث لموجات عديدة عبر التاريخ ..

الملاحظة الثانية :

ان القرن الذى يستقبله المسلمون ، وهم يستقبلون هذا المد الاسلامى الجديد يتميز بظاهرة بالغة التعقيد ، وهى ظاهرة التسارع الهائل فى معدلات التطور العلمي والتقنى .. ان الايام والسنين ليست كلها سواء كما يتصور كثير من دعاة الاصلاح .. والآثار الاجتماعية والنفسية التى تترتب على التطورات العلمية والصناعية حقيقة سوف تواجهها اجيال المسلمين مع أجيال البشرية كلها خلال القرن المقبل .. ومعنى هذا ان تكيف الأفراد والمجتمعات الاسلامية مع الظروف الجديدة التى تولدها تلك التطورات سيغدو عملية بالغة الصعوبة .. لا تفلح فى مواجهتها «القوالب اللفظية» التى اعتاد كثير من المصلحين أن يواجهوا بها مشاكل الواقع المعقد فيما يشبه الاعتقاد بأن «للألفاظ» و «الشعارات» قدرة ذاتية على التأثير فى الواقع وتغييره .. ان محاولة «عزل» المسلمين عن تيار الحياة العامة ، فى عملية تربوية شبيهة بما سلكه عبر التاريخ — كثير من الانبياء والمرسلين .. لم تعد ممكنة ولن تكون ممكنة فى ظل انهيار الحواجز بين الناس والشعوب ، وبسبب قدرة الوسائل التقنية الحديثة والدائمة التطور على اقتحام النفوس والعقول من فوق أسوار الحماية والعزلة على اختلاف انواعها .

إن هذه الملاحظة لابد أن توضع فى الحسبان عند مناقشة قضية القديم والجديد .. وقضية «الالتزام بالتراث» .. وكذلك بحث الحاجة الى اجتهاد جديد يواجه به المسلمون الأشكال الجديدة للعلاقات والأوضاع والظواهر .. .

مستقبل المد الاسلامى

ونستطيع بعد هاتين الملاحظتين ان

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

نعرض مباشرة لشروط أربعة نعتقد أنها تحدد – الى مدى بعيد – مستقبل المد الاسلامى المعاصر وقدرته على أن يتحول الى «صحوة حقيقية» تغير واقع المسلمين ، وتضعهم حيث أراد لهم الله .. خلفاء له فى ارضه .. وقائمين بالعدل والقسط بين خلقه .. وشهداء – بسبب ذلك كله – على سائر الناس .

الشرط الأول :

رد اعتبار «العقل» ، ووضعه فى مكانه الصحيح من «التصور الاسلامى» واستخدامه فى ممارسة «الاجتهاد» توصلا الى حلول متجددة للمشاكل المتجددة ..

ونستطيع – دون دخول فى تفصيلات كثيرة يزخر بها تاريخ حضارة الاسلام أن نرصد مستويات أو ميادين ثلاثة طرحت بها قضية «العقل» فى تاريخ الاسلام ..

الميدان الأول : ميدان العقيدة .. وعلم الكلام .. حيث دار بين المعتزلة والأشاعرة خلاف طويل – لم تنقض آثاره – حول دور العقل فى معرفة «الحسن» «والقبح» فى الأشياء والأفعال ، وهو خلاف برز فيه المعتزلة ، فرسانا لا يشق لهم غبار فى تقرير دور العقل ومكانته فى التصور الاسلامى كله .. وجدير بالجيل الجديد من ابناء الاسلام أن يجددوا رؤيتهم لهذا الفصل الرائع من فصول تاريخنا الاسلامى وأن ينفضوا عن عقولهم الغبار الكثيف الذى لف علاقة المعتزلة بغيرهم لأسباب سياسية وشخصية .. وأن يقفوا من الأمر كله وقفة الباحث المتمرد .. والمتجرد من الاحكام السابقة لنفر من القدامى والمحدثين .

الميدان الثانى : ميدان التشريع .. حيث ظهرت فى الفقه الاسلامى مدرستان متقابلتان ، عرفت أولاهما باسم مدرسة الحديث ، وعرفت الأخرى باسم مدرسة «الرأى» .. وكان الفارق بين المدرستين – عند التحقيق – فارقا فى درجة الاعتماد على المصادر التى تنطوى على



رفاعة الطهطاوى

عنصر عقلى كالقياس والاستحسان والمصلحة .. وان بقيت المدرستان ملتزمتين «بالكتاب والسنة» دون تردد أو تفريط .

الميدان الثالث : ميدان التصور الاسلامى العام ..

إن المسلم المعاصر موزع – فى الحقيقة – بين تيارين ، تيار خائف على الاسلام من دعوات التجديد والتحديث والمعاصرة ، مشفق على مبادئه وتعاليمه وآدابه من أن تنحل عراها واحدة بعد الأخرى تحت دعوى «استخدام العقل» .. «وتيار» يؤكد فى إلحاح أن ما تركه الأولون لا يكفى ، ولا يغنى فى مواجهة الكثير مما طرأ على أحوال المسلمين وغير المسلمين .. وأن المحافظة الحقيقية على الاسلام وعلى مصالح المسلمين لا يمكن أن تتم على وجهها الصحيح ، إلا اذا قدم الدعاة والفقهاء والمجتهدون حلولا حقيقية للمشاكل الحقيقية .. وانه لا سبيل لشىء من ذلك إلا باستخدام «العقل» ، والاستفادة من ثمراته ... دون خوف ولا تردد .. وكاتب هذه السطور ، يذكر مع هذا الفريق ، بأن الله تعالى انما أنزل على رسله (صلوات الله عليهم) الكتاب «والحكمة» ، وأن المسلم مطالب باتباعهما جميعا .. وانه غير متصور أن تمتلىء ايات الكتاب وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى استعمال العقل .. واعتباره جوهر الانسان كله «ولب» وجوده وتسمية الذين يستعملونه لذلك بانهم «أولو الألباب» ثم يقف بعض الدعاة منه موقف الخائف والمرتاب .. والله تعالى يقول : «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» .. – اننا نسوق هذه الشواهد والأمثلة حتى ينقشع من تفكير الجيل الجديد من المسلمين وهم أن «الدين» مرادف «للنقل» وأن «الكتاب» منفصل عن «الكون» – وحتى يتأكد من جديد فى وعى المسلم المعاصر ولا وعيه على السواء .. ان القرآن كتاب ، وان الكون كذلك كتاب . وان النقل دليل ، والعقل كذلك دليل ..

إن جمال الدين الأفغانى – رحمه الله – قد حدد شروط النهضة أو ما سماه «نيل الأمم للسعادة» فى خاتمة رسالته «فى الرد على الدهريين» ، فذكر من بينها «التحرر من التقليد والتعلق بالدليل والاحتكام الى العقل» ..

إن قضية التحرر من التقليد والاحتكام الى العقل تفتح أمام مجتهدينا وامام جيلنا كله قضية «التراث» . والموقف من «السوابق» ..

وفى اعتقادنا ان الدعوة الى التجديد ، والتطلع الى تحول المد الاسلامى الى صحوة سيظلان فى نطاق الأمانى والآمال البعيدة المنال ، مالم يصل مجتهدونا الى وضع «السوابق» فى إطارها الصحيح ، باعتبارها «جهدا» إنشائيا فى تطبيق مبادىء الاسلام ونصوصه على وقائع عصر ماض .. وأن الجيل الجديد من حقه أن يكون له جهده الخاص .

ومن واجبه أن يلتفت الى تغيير وقائع عصره هو لا عصور الماضين .. وان الوضع الصحيح «للسوابق» انها «حلول» ، ولكنها لا تدخل بالضرورة لمجرد أنها «قديمة» دائرة الالزام الدينى للأجيال اللاحقة ..

إن الدعوة الى تعطيل العقل ، وتجميد أوضاع المجتمع عند نقطة يختارها بعض الدعاة ، هى نقطة «السوابق» التى يتمسكون بها .. قد ساندتها فى تاريخ الفكر الاسلامى رؤية «فاسدة» آن الأوان لرفضها والتحذير منها ، وهى عقيدة «تراجع الزمان» .. «وازدياد الفساد» وفضل السابقين على اللاحقين ..

إن الأمر لم يقتصر – كما يقول – الامام محمد عبده على مبدأ «الجمود على

الموجود» وإنما احيط هذا المبدأ الفاسد بجو قاتم من اليأس خلاصته ان «الزمان قد اقبل على آخره ، وان الساعة اوشكت ان تقوم» ويرد عليهم الاستاذ الامام – الذى لازالت انوار علمه الواسع محجوبة – هى الأخرى – بحجب كثيفة من ضيق بعض العقول ، وفساد بعض النفوس ، وشوائب اللدد فى الخصومة ، وشدة باس المدافعين عن سلطانهم الذاتى فيما يتصوره «كنيسة لهم» داخل حوزة الاسلام .. يقول الامام محمد عبده فى الرد على هذا الموقف النفسى الفاسد .. «ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا انه كاد ينقطع عند نهايته ، ان الذى مضى بيننا وبين مبدأ الاسلام الف وثلاثمائة وعشرون عاماً وانما هى يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وان آيات الله فى الكون وإن كانت تدل على ان ما مضى على الخليقة يقدر بالدهور الدهارير تشهد بأن ما بقى لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ إن ما بيننا وبين مبدأ الاسلام لا يزيد عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة .. إن زمناً كهذا لا يكفى .. لاهتداء الناس كافة بهديه» ...

ويزاوج محمد عبده هو الآخر بين العقل والايمان قائلا «لن ينقضى العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاونا معاً على تقديم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ويعرف حدود سلطته . إن نفض التراث ، ووزنه بميزان العقل والدليل مهمة جليلة تحتاج الى موضوعية كبيرة كما تحتاج الى شجاعة هائلة ، حتى تعلن ان النصوص التى تشتمل عليها كثير من الكتب الدينية «فيها الغث وفيها السمين» وان بينها ما هو غير صحيح ولا معقول ولا منطبق على الكتاب والسنة النبوية الصحيحة» وحتى نجرؤ على التصريح برأينا فى تلك النصوص الفقهية . والجهد بذلك كله من دون جمجمة فى قول أو تقية من ذى صول» .

الشرط الثانى : تصحيح علاقـــة المسلمين «بالآخرين» ..

وقضية علاقة المسلمين بالآخرين قضية متعددة الجوانب ..


جمال الدين الأفغاني

أ – فهى تشمل علاقة المسلمين بغير المسلمين ، فى جانبها «الدولى» إن جاز هذا التعبير ، وما اذا كانت علاقة سلام أم علاقة حرب .

ب – كما تشمل موقف المسلمين من غير المسلمين ، من حيث جواز الأخذ بثمرات تجاربهم ونتائج اجتهادهم فى امور الدنيا وعمارتها ..

• • •

أ – لقد قسم علماؤنا الدنيا كلها الى دار سلام ودار حرب .. وتصور البعض لذلك ان «القتال» هو الحالة السائدة بين المسلمين وغيرهم .. وأن القطيعة كاملة مطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وانه لا سبيل لغير المسلم الى اقتحام حدود «المسلمين» إلا بعقد .. هو عقد الذمة أو عقد الأمان المؤقت ..

وتلك كلها تقسيمات تحتاج الى مراجعة كبيرة .

ويبـــدو أن فقهاءنا – رحمهم الله – حين صاغوا هذه التقسيمات قد صاغوها وفى خواطرهم أن الزمن لن يطول حتى ترتفع رايات الاسلام على الدنيا كلها . فتكون الأرض كلها دار اسلام .. وفى تصورنا أن العلاقة التى اشار اليها فقهاؤنا لا تزيد كثيراً عن علاقة «عدم الاعتراف السياسى» وأن تأشيرات الدخول الحديثة لا تبعد كثيراً عما سماه فقهاؤنا عقد الامان .. وأن ما عومل به غير المسلمين – فى بعض العهود – من معاملة حملت معها بعض معالم الانتقاص من الكرامة ، ومظاهر التصغير والتحقير ، انما كانت موقفاً سياسياً يحسب على أصحابه .. ولا يحسب على الاسلام .. وأن للانسان فى الاسلام حقوقاً وكرامة سابقة على تدينه وتميزه .. وأن مجتمع الاسلام لا يمكن ولا يجوز شرعاً – أن تضيع فيه هذه الحقوق .

ب – أما فى شأن الأخذ عن غير المسلمين ، والاستفادة بتجاربهم .. فقد آن الأوان لنبذ «الانغلاق» الذى يروج له كثيرون ، معتقدين أن الاستمداد ينبغى أن ينحصر فى دائرة الاسلام التاريخى والجغرافى .. وما أحسن ما توجه اليه خير الدين التونسى وما سماه « تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم فى الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتعش فى عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتيب ينبغى أن يهجر .. حتى أنهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئاً منها» .

وما أدق قول المواق (المالكى) : ان ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا ، أما ما فعلوه على وفق الندب .. أو الاباحة ، فانا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه ، لأن الشرع لم ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه «وقد لخص الفقيه الحنفى الأشهر ابن عابدين ذلك كله بقوله : ان صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر .

ومعنى هذا ان الموقف اليوم تجاه ما يسمى فى مجموعة .. الآراء والمذاهب «المستوردة» ، يحتاج الى اعادة نظر شاملة .. تبرأ من الأوهام والمخاوف والتعميمات الفاسدة التى ولدت وتمت فى جو نفسى من العصاب والعقد والهلع من «الغير» .. وتستند بدلا من ذلك الى ثقة بالنفس وقدرة على الفرز الموضوعى والاختيار المعتمد على معايير من قيم الاسلام ومبادئه ورؤيته لمصالح الناس ..

ولا أريد أن أطيل فى هذا كله ، فالحق فيه واضح معروف ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن» صحيح يتناقله الاقدمون والمحدثون ... ولا ندرى كما يقول خير الدين : «كيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

مستحسن فى ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية واحتياط فى غير محله .

الشرط الثالث : مراعاة «الحرية» فى تربية الافراد ، وسياسة «المجموع» .

وبقدر ما غابت أهمية الحرية عن مفكرى الاسلام فى عهود ما قبل النهضة الاسلامية الحديثة .. وحلت محملها «فكرة الطاعة» محوراً أساسيا للعلاقات داخل الاسرة ، وفى علاقات المعلم بالمتعلم بقدر ما انتبه كثير من دعاة الاصلاح المحدثين الى أن الحرية هى روح الدين .. وانه بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين .. ولا نتردد لحظة من زمان فى الانضمام الى زمرة العلماء من اصحاب هذا الراى منكرين على نفر من علمائنا غريب ما انتهوا إليه من اراء فى امور السياسة زينت لكثير من الدعاة أن يستبدوا بالرأى ..

.. ان هذه الروح المحافظة وصفها الكواكبى أحسن وصف وأدقه بأنها «المحافظة» على الحالة الجارية وان كانت سيئة هى المسئولة عن ضياع الحرية .. وضياع الحرية ، هو بدوره المسئول عن اكثر ما طرا على المسلمين من فساد وانحطاط ..

ولا نعرف فى اللغة العربية وصفا دقيقا لما يفعله الاستبداد وغياب الحرية بالفرد والجماعة ، كالذى يقدمه الكواكبى فى طبائع الاستبداد .. وحسبنا أن نقرا قوله الاستبداد يقلب السير من الترقى الى الانحطاط ومن التقدم الى التاخر ، ومن النماء الى الفناء ، ويلازم الأمة ملازمة تبلغ بها حطة العجماوات فلا يعود يهمها الا حفظ حياتها الحيوانية .. بل قد يبلغ فعل الاستبداد بالامة أن



علي مبارك

يحول ميلها الطبيعى من طلب الترقى الى طلب التسفل ، بحيث لو رفعت الى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ، واذا ألزمت بالحرية تشقى» وحين نضع هذه الحقائق فى اطارها المعاصر .. فاننا نقول ان احساس اكثر «الحركات الاسلامية المعاصرة» بقيمة الحرية احساس ناقص .. ووعى كثير من الدعاة والمصلحين بعقم محاولات الاصلاح فى غياب حرية الفرد وعى محدود .. مع أن الحرية اساس التكليف ومناطه .. وشرط الأمر بالمعروف واساس القدرة على ممارسته .. كما أنها فى النهاية ضمان الرشد الوحيد عند بذل الاجتهاد الفردى والجماعى من جانب الحاكم والمحكوم على السواء ..

ان مشاكل المسلمين فى «مرحلة الصحوة» كثيرة ومعقدة .. وبغير الحرية ، قيمة ، ومبدأ .. فان احتمالات التعثر والانحراف تبقى هائلة ومخيفة

الشرط الرابع : الحرص على ترتيب الاولويات فى الدعوة الى الاسلام ... وفى تطبيق أحكامه ومبادئه ..

إن المشكلة ــ فى جوهرها ــ تتمثل فى اصرار الدعاة والمصلحين باسم الاسلام على أنه ما دام الله تعالى قد أكمل الدين واتم النعمة .. فان الالتزام بأحكام الاسلام .. لا يفرق فيه بين حكم وحكم ، ولا بين ميدان وميدان وأن مشاكل الزى والحجاب وسماع الموسيقى والغناء ، تستوى فى وجوب الاهتمام بها مع قضايا الشورى فى الحكم ، والعدل بين الرعية وفى توزيع الثروات ..

إن المعيار الوحيد الذى ترتب به أولويات الامور عند هذا الفريق معيار شكلى نصى خالص يدور أساسا حول درجة ثبوت النص .. وفات هؤلاء أن الأمر لا يمكن ــ عقلا ومنطقا وبداهة ــ أن يكون كذلك .. فقد يثبت حكم فى مسألة فرعية أو ثانوية بدليل أقوى وأوضح من دليل يثبت به حكم آخر فى مسألة تتعلق بالاساسيات ..

ولا يمكن فى هذا المقام أن يعتد بقول قائل أن التدرج والترتيب غير جائزين بعد انقطاع الوحى .. وأن المتبع لا يجوز له الابتداع بالتمييز ــ فى الأهمية ــ بين الاحكام .. لا يقال مثل هذا ، ولا يعتد به لأن الأمر ــ كما نقول دائماً ــ ليس أمر تدرج فى التشريع ، وانما هو تدرج فى البيان واتباع للحكمة والموعظة الحسنة عند دعوة الناس الى الحق ..

إن ترتيب الاولويات على أساس موضوعى من التمييز بين الضرورات والحاجيات والتحسينات .. وترتيب المصالح .. وترتيب المفاسد .. والترجيح بين المصالح المقصودة .. والمفاسد التى يراد درؤها كل ذلك شرط من شروط فاعلية الدعوة والدعاة ، وجدوى التشريع والتنظيم .. ان هموم الدعاة لا يجوز أن تتحدد بعيداً عن هموم الناس واهتماماتهم .. والخلل فى ترتيب الاولويات حاجز للعقول والنفوس عن الاستجابة للدعاة كما أنه يقطع «مد الصحوة الاسلامية» عما يحيط به من واقع .. ومن انقطع عن الواقع تعثر وزل .. والله تعالى يقول : «يأيها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا» ..

وبعد ..

فهذه شروط أربعة .. بغيرها ــ فيما نرى ــ يتعثر المد الذى نعايشه للفكر وللاحياء الاسلامى .. ويتعذر عليه أن يخوض المعارك العديدة التى تنتظره مع الظروف المعقدة الجديدة ، ومع القوى العديدة التى تحرص على محاصرته وعزله ووضع العقبات المردية فى طريقه ..ولم يعد حسن نية الدعاة والمصلحين عذراً لهم عن أخطاء التكتيك ، وعن سوء الحساب ... والله تعالى يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه .. ومن اتقانة اعداد العدة له على أكمل الوجوه .

د. أحمد كمال أبو المجد



مسئوليات تنتظر الصحافة الثقافية

عندما بدأت النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، كانت الصحافة الثقافية ، والمجلات العلمية والأدبية ، هى عمادها ووسيلة انتشارها قبل عصر الجرائد اليومية السيارة وقبل عصر الاذاعة والتلفزيون . وكانت أعمدة النهضة الأخرى من بعوث وجامعات وتصنيع وعمران تخلق الأفكار الجديدة التى تصب فى مجرى الصحافة الثقافية وتتخذ من المجلات الفكرية وسيلتها للظهور وللوصول الى أكبر قدر من الناس ، فيتعمق بالتالى أثر النهضة ويتسع .

وأى تاريخ اليوم للنهضة الحديثة فى الوطن العربى لا يمكن أن يغفل التراث الحضارى القيم الذى ابدعته وخلفته مجلات مثل «الهلال» و «المقتطف» و «الجامعة» وغيرها من المجلات التى تركت بصماتها على صفحة النهضة المبكرة ، وصولا الى عهد مجلة «الرسالة» التى صدرت بين ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ومثلت مدرسة كاملة فى الأدب والقومية والاجتماع ، والروح النقدية الرصينة ، وخلفت جيلا من الأدباء والمفكرين ورجال الكلمة .

ولكن انشغال الوطن العربى بقضاياه السياسية المرحلية الملحة أدى الى تغليب جانب الصحافة السياسية الاخبارية اليومية التى تنقل أنباء التطورات ووجهات النظر ، وتمثل وسيلة من وسائل الصراع السياسى بين مختلف الاتجاهات .

وانشغل الناس بمتابعة الصحف السياسية . واخذت المجلات الادبية والعلمية تتوقف واحدة بعد الأخرى ، فاختفت مجلة «الثقافة» لأحمد امين ، ومجلة «الكاتب المصرى» لطه حسين ؛ وجاء توقف مجلة «الرسالة» بقرار من صاحبها أحمد حسن الزيات عام ١٩٥٣ بمثابة المؤشر التاريخى على انتهاء عصر زاهر من عصور الثقافة العربية التى نذرت نفسها لخدمة النهضة العربية فوق كل الاعتبارات الأخرى من سياسية ومصلحية وغيرها .

وزاد الاهتمام بالصحافة السياسية المباشرة ، وصارت الحقيقة العلمية والمعرفة بكل انواعها فى خدمة موضوع الجريدة اليومية الذى يأتى فى الأغلب مقتضباً ومجزوءاً يخدم وجهة نظر الجريدة المعنية ، أكثر مما يخدم التنوير الحضارى العام للأمة ، مما أدى الى انتشار السطحية فى التفكير . ورغم ظهور مجلات ثقافية عربية جامعة كالآداب اللبنانية عام ١٩٥٣ ، وكالعربى الكويتية عام ١٩٥٨ ، إلا أن الاهتمام بالصحافة السياسية ظل هو الغالب فى العقود الأخيرة .

ولكن الأوضاع العربية الراهنة تشير الى أن الصحافة السياسية بدأت بدورها تتعرض للأفول ، وتواجه أزمات غير يسيرة . فاليوم لا نجد جريدة سياسية عربية تستطيع دخول كل بلد عربى والوصول الى كل القراء العرب ، كما كانت جريدة «الأهرام» مثلا قبل خمس عشرة سنة .


احمد أمين


طه حسين


احمد حسن الزيات

واصبحت الصحافة السياسية ، سواء ما صدر منها فى البلاد العربية أو ما هاجر الى الخارج ، متقيدة ليست بقيودها المكانية الضيقة فحسب ، بل باعتبارات كثيرة بحساسية الأوضاع العربية الدقيقة والصعبة ، مما أدى الى تضييق مدى رسالتها وتأثيرها ، رغم كثرتها وتزايد عددها ، ورغم اهتمام بعض البلاد العربية بتطوير صحافتها ومدها بالدعم والمساندة .

ويبقى بالطبع ، مع هذا ، مجال ما للصحافة السياسية ، ولكنى أرى على ضوء ما تقدم أن الصحافة الثقافية المتجردة ، والبعيدة عن حساسية الأحداث ، هى المرشحة اليوم للقيام بالدور الرائد الذى قامت به فى مطلع النهضة العربية ، وذلك لعدة أسباب :

أولها ، أن الأزمة المصيرية الشاملة التى يعانيها الوطن العربى تحتاج الى عودة فكرية عميقة للجذور وللحقائق الأساسية فى تكوين النهضات وتصحيح مسارها واستنهاض المجتمعات والأمم من كبواتها وعثارها ، وهذا يحتاج الى معالجة ، بل معالجات علمية وفلسفية هى من صميم اختصاص المجلات الثقافية ، بما يتجاوز أية معالجة صحفية يومية أو أسبوعية عابرة . وهو دور يشبه دور «الموسوعيين» فى نهضة أوربا .

وثانيها ، أن المجلة الثقافية ، بتجردها والتزامها العلمى والموضوعى هى وحدها القادرة اليوم على الوصول الى أى بلد عربى ومخاطبة كل مواطن عربى ، بلغة البحث والعلم والثقافة ، وبصورة تمكنها من اجتياز حدود التفرقة لاعادة الوحدة الى العقل العربى تمهيداً لاعادة الوحدة المأمولة الى الجسم العربى كله .

إذا صحت هذه الرؤية ، فان المجلات الثقافية ينتظرها دور كبير ، بل رسالة حيوية ، للمساهمة فى تصحيح مسار النهضة العربية ، كما فعلت فى بداياتها قبل مئة سنة .

وهذا يجعل مسئولية القائمين بامر المجلات الثقافية مسئولية فى غاية الأهمية ويتطلب منهم أرفع مستويات الكفاءة الفكرية ، والالتزام الخلقى والحضارى الرصين والجاد ، للاضطلاع بعبء هذه الرسالة التى تأتى فى مقدمة متطلبات الاحياء العربى المنتظر .

"الدوحة" تفتح باب الحوار

فلنبسّط

● يا علماء اللغة العربية قولوا رأيكم في

تفتح «الدوحة» ابتداء من هذا العدد باب الحوار حول هذه القضية الحساسة وهى قضية اللغة العربية التى شغلت الباحثين والدارسين فى الجامعات والمجامع العلمية منذ أواخر القرن الماضى وسوف تنشر الدوحة كل ما يصلها من مناقشات وتعليقات حول قضية تبسيط اللغة العربية ، ونرجو أن تدور كل المناقشات بجرأة وحرية وصراحة حتى ننقذ لغتنا من المأزق الذى تعانيه فى نحوها وصرفها وصلتها بالجيل الجديد الذى يوشك أن ينفصل عنها انفصالا نهائيا ..

ضعف العرب فى لغتهم العربية ظاهرة غريبة تسترعى الاهتمام ، وتستوجب المعالجة الجادة العميقة . والشكوى من هذا الضعف وأسبابه تشغل أذهان المخلصين من علماء اللغة ومن محبيها، وقد رافقت أجيالا منهم ومن تاريخ هذه الأمة ؛ ومن أجلها عقدت عشرات المؤتمرات والندوات والاجتماعات ، وما تزال تعقد فى كل بلد عربى ، وفيها كتبت أكداس من الورق المحبر وعشرات من الكتب ، ومازالت تكتب ؛ ولكن هذه كلها ظلت الى اليوم مجرد أبحاث وتوصيات لا تجد من يتابع تحقيقها .

وأسباب الضعف عديدة ، ولكننى أود أن أعالج ههنا واحداً منها ، هو صعوبة قواعد الصرف والنحو التى تقدم للطلاب فى مختلف الصفوف . هذه القواعد المدرسية لا تتوخى فيها السهولة ، ولا مقدرة الطالب ، ولا المواد العديدة المرهقة التى يدرسها ، ولا مدى ادراكه ، ولا قواعد التربية الحديثة . وفى حين نرى أن كتاب القواعد الانكليزية طوال مدة الدراسة كتاب صغير الحجم ، يقتصر على الأهم من القواعد الأساسية، وبطريقة مبسطة جداً ، نجد أن لكل صف من الصفوف الاعدادية والثانوية وبعض الصفوف الابتدائية ، كتابا خاصا فى القواعد يختلف عن كتب الصفوف الأخرى ، والقواعد فيه كثيرة ومعقدة ومطولة ومرهقة . وحين يقارن الطالب بين سهولة ما يدرسه من قواعد اللغة الأجنبية وقلته ، وصعوبة ما يدرسه من قواعد اللغة العربية وكثرته، يجد نفسه أقدر على هضم القواعد الأجنبية منه على العربية . وهذا يولد لديه شعورا بالعداء للغته العربية . ولهذا نجد أن عدد الطلبة الممتازين فى قواعد العربية قليل ومحدود جداً بين خريجى المدارس الثانوية عندنا ، وبين خريجى الجامعات كذلك . ونحن نعلم أن عدد الذين يستطيعون كتابة رسالة قصيرة بالعربية دون أخطاء لغوية وإملائية قليل جدا حتى بين خريجى الجامعات . فكيف بالذين يستطيعون الحديث بالفصحى حديثا سليما ؟؟

ولننظر نظرة سريعة فى صعوبات قواعد الصرف ، وقواعد النحو ، على سبيل التمثل فقط لا الحصر ، لعلنا نتوصل بعد ذلك الى محاولة معالجة الداء واقتراح العلاج له .

● أطفالنا فى المدارس .. لماذا يتولد لديهم الشعور بالعداء للغة العربية ؟

حول هذه القضية

اللغة العربية

د. عيسى الناعوري

هذه القضية حتى لا تتعرض لغتنا للموت

● ما الفائدة أن يعرف الطالب أن "جاء" أصلها "جَيَأ" و"قال" أصلها "قَوَلَ" وأن "ميزان" أصلها "موزان" وأن "باب" أصلها "بَوَبَ"..؟!

● في كل اللغات الحية جمع واحد، ونحن عندنا: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، واسم الجمع، ومنتهى الجموع

● ماذا يعني الإعلال والإبدال والقلب والإدغام.. ؟

جموع التكسير

ابدا اولا بقواعد الصرف . وبجموع التكسير منها . والمعروف ان القسم الاكبر من جموع التكسير شاذ وسماعى ، وليس من الممكن جمعه فى قاعدة واحدة ولا قياس واحد . ولابد من تيسير الأمر على الكاتب والمتحدث . فكلاهما يجد نفسه مع هذه الجموع فى غابة متشابكة يضيع فيها حتى اكثر الناس ذكاء ، واحدهم بصرا ، واوسعهم حافظة ؛ وقد تضيع فيها حتى المعاجم اللغوية احيانا ولذلك نراها تورد جموعا متعددة للفرد الواحد .

والقواعد والقواميس ليست نصوصا منزلة ، بل وضعها اناس مجتهدون مثلنا لتكون وسيلة لا غاية ، وكانوا متفرغين لها العمر كله ، ولا تشغلهم عنها دروس ولا واجبات اخرى : ثم انهم وضعوها لعقولهم الكبيرة المدركة ، ولطلاب كبار فى العمر ، يسهل عليهم فهمها واستيعابها ؛ ولا سيما انهم كانوا ندرة ، ولم يكونوا عشرات فى الصف الواحد ، ولا كانوا يقضون على مقاعد الدراسة اثنى عشر عاما او اكثر . والذين اجتهدوا فى اللغة من قبل ، وفى بواكير العهد الاسلامى قبل ثلاثة عشر قرنا ، يكون من العقوق لهم ، وللغة نفسها ، ان نقف عند اجتهاداتهم ، ونغلق باب الاجتهاد دون انفسنا ، ونحن اليوم اوسع اطلاعا على علوم الماضى والحاضر ، ولنا من وعينا ما يشفع باجتهادنا ، وانفتاحنا الواسع اليوم على لغات الدنيا يعطينا هذا الحق فى الاجتهاد ، لاجل تطوير لغتنا بحسب الزمان الحاضر ، لمصلحة اللغة .

التشويش والتعقيد

ونحن لدينا مع الجموع مشاكل كثيرة فاذا كان فى اللغات الحية الاخرى شيء واحد اسمه (الجمع) – ومعه فى كل لغة بعض الشواذ – وشيء اسمه (المفرد) ، فنحن لدينا الفرد ، والمثنى بكل تعقيداته الاعرابية ، للمذكر وللمؤنث ، ولدينا جموع متعددة متنوعة : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، واسم الجمع ، ومنتهى الجموع او جمع الجمع ؛ ولبعض هذه الجموع قواعد شديدة الصعوبة والتعقيد . واذا لم يكن من الممكن تغيير هذه الجموع او الاقلال منها ؛ فليكن من

"الدوحة" تفتح باب الحوار حول هذه القضية

فلنبسط اللغة العربية

الممكن ـ على الأقل ـ التساهل فى تقديمها للطلاب بأقل ما يمكن ، وأسهل ما يمكن من القواعد والتعريفات والوجوه والتخريجات التى لا يمكن أن يطيقها الطالب بأى حال . وهذا لن يضير اللغة فى شيء ، بل على العكس ، سيساعد على تقريبها وتحبيبها الى الطالب .

والاعلال والادغام ، والقلب والابدال ، وقواعدها العسيرة .. والأسماء والأفعال المهموزة التى لم تتفق القواعد ولا المعاجم ولا العلماء على طرائق كتابتها ؛ وقواعد تصريف الأفعال المعتلة ، والأفعال المضاعفة ، والأفعال المهموزة . هذه كلها ليس من الممكن أن تدخل فى دماغ الطالب ، حتى فى المرحلة الجامعية ؛ واذا كان لابد من بقائها ، فمن الخير ان تترك ليدرسها المتخصصون فى الدراسات العليا الجامعية فقط . وما الفائدة من ان يعرف الطالب ان (جاء) اصلها (جيا) و (قال) اصلها (قول) وان (ميزان) أصلها (موزان) و (باب) أصلها (بوب) وان (ضم) اصلها (ضمم) .. الخ ؟

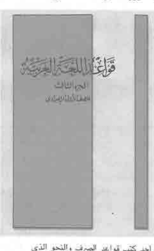
ولماذا يجب أن يتعلم الطالب أن الهمزة فى الاسم الممدود قد تكون اصلية، وقد تكون زائدة أو مقلوبة ، وأن لكل حالة قواعدها ، وان المثنى والجمع والنسبة فيها تختلف فى كل حالة بين بقاء الهمزة أو ردها الى أصلها ، أو جواز الحالين ؟

والتصغير والنسبة بكل وجوههما الصحيحة والشاذة ؟ والمعرب والمبنى ؛ وقواعدهما وعلامات الاعراب والبناء الكثيرة المتشابكة والتى لا تقف عند حدود معقولة ، سواء فى الافعال أو فى الاسماء : ثم الافعال اللازمة والمتعدية ، والافعال الخمسة ، والافعال المبنية فى حالات اعراب مختلفة ، وأفعال القلوب التى تتعدى الى أكثر من مفعول واحد ، والافعال المتصلة بالضمير ، والافعال المعتلة الآخر ، وغيرها ؟ واسم الفعل ، والفعل الجامد ؟ والمصادر : مصادر الفعل الثلاثى ، ومصادر الفعل الرباعى ، والمصدر المؤول من (ان) وفعلها المضارع أو من (ما كان ـ ما يكون) للتعجب فى الماضى والمستقبل .

وحركة عين الفعل المضارع التى يضطر معها حتى العلماء الى مراجعة القواميس المختلفة للتاكد من انها مضمومة او مفتوحة او مكسورة ؟ وهمزة الوسط التى لم تتفق حتى المجامع اللغوية بعد على طريقة كتابتها ، ومايزال بعض العلماء يكتبونها على نبرة ، وبعضهم منفصلة وبعضهم على واو ... أليس هذا أثراً واحداً من آثار التشويش والتعقيد فى قواعد اللغة ؟

الزمن تغير !

هذا فى الصرف وحده ـ وهو قليل من كثير جداً ـ وحين نجيء الى النحو نجد انفسنا فى غابة أخرى متشابكة ومعقدة: فقواعد النحو مبالغ جداً فى كثرتها وفى شدة تعقيدها . من ذلك ، مثلا ، ولمجرد بيان الصعوبة : وفرة عدد المفعولات ـ أو المفاعيل ـ والملحقات بالمفاعيل : المفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول لاجله ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق ، ونائب المفعول المطلق ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة ، والندبة ، والترخيم ، والاختصاص ، والاشتغال و ـ بلية البلايا ـ الاستثناء . هذه كلها يمكن ان نطلق عليها اسما واحدا هو (المفعول) ونحدد اغراضه بيسر تام ، دون دخول فى تعقيدات القواعد العجيبة التى يضيع فيها المعلم والطالب على السواء ، والتى تكثر فيها التاويلات والتخريجات والجوازات . بين البناء حينا على علامة رفع او نصب واعتبار فعل الامر حينا بمعنى الماضى (فى التعجب) وجواز الاستثناء بالا ، وغير ، وسوى ، وماعدا ، وماخلا ، ولاسيما . وما الى ذلك مما لا نهاية له . ولكل شيء وجوهه وتخريجاته العجيبة التى لا تنتهى .



● احد كتب قواعد الصرف والنحو الذى يدرس فى مدارسنا .

ثم هناك البدل وعطف البيان ، وما بينهما من لبس كثير . والمبتدأ والخبر وما فيهما من قواعد التقديم والتاخير وجوبا او جوازا ، ومن حالات المفرد ، والجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، وشبه الجملة . ثم ما يلحق بهما ويختلف عنهما اسم وخبر للافعال الناقصة ، وأفعال المقاربة ، واحرف التشبيه ، ولا النافية للجنس : فهذه كلها تعقيدات مبالغ بها كل المبالغة ، واقل القليل منها يكفى لضبط اللغة وتيسيرها على المدرس والدارس . لكى نضمن حب الناس للغتهم وإقبالهم على تعلمها ، ولكى نضمن أن لا يجد الطالب سهولة فى اللغات الأجنبية يفتقد مثلها فى لغته .

واذا كانت قواعد الصرف والنحو قد وضعت فى القديم لأجل نخبة من الدارسين ، الذين لم يكونوا يدرسون غير قواعد اللغة والدين ، وكانوا فى الغالب كباراً ناضجين يمكنهم أن يدركوا ويناقشوا ما يقدم لهم ، وكانوا قلة نادرة ممن يشعرون بحاجتهم الى العلم فيتلقونه على الشيوخ المتفرغين له ، فالزمن اليوم تغير ، وكل طفل أصبح بحاجة الى العلم ، يذهب ليتلقاه فى سن لا يستطيع معها ان يدرك أو يناقش أو يستوعب ، وهو لا يدرس اللغة وحدها ،

● لمـاذا كل هذا التعقيد والتشويش في قواعد اللغــة؟

● حـين نجـيء الى النحـو نجـد أنفسـنا في غابـة عجيبـة ومتشـابكـة!

● لكـي تـكـون اللغـة العربيـة لغـة حيـاة واسـتـعمـال يـومي، لا لغـة كـتابـة وخطابـة

الإقـلال من القـواعـد والتـفريعات والتخريجات والجـوازات.

تبسـيط أسـلوب العـرض ليـتلاءم مـع سـن الطـالـب.

البعد عن التعقيد، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية أحب إلى الطالب من لغته، وأسهل منها على التعليم

تمكين الطالب من ضبط لغته بسهولة ويسر.

بل يحمل من الدروس فوق طاقته.

نحن اذن بحاجة ماسة الى تطوير لغتنا، بتسهيل قواعدها، واختصار هذه القواعد الى الحد الأدنى الذى يمكن معه ضبطها دون تعقيد، ودون فلسفات لغوية، ودون دخول فى تفصيلات لا آخر لها، ودون حاجة الى التأويل والتخريج، وكثرة الوجوه والجوازات التى لا مبرر لها؛ إن الاكثار من النصوص الجيدة هو وحده الوسيلة لترسيخ اللغة السليمة فى الذهن.

لغة حياة

إننا نريد ان تكون العربية الفصيحة لغة حياة: اعنى لغة تخاطب عامة بين العربى والعربى، وبين العربى وغير العربى، مثل لغات سائر الشعوب الحية؛ ولا نريد لها أن تكون لغة كتابة وخطابة فحسب. واقتصار لغتنا على كونها لغة كتابة وخطابة يجعلها (نصف لغة) فقط، او يجعلها قريبة الشبه باللاتينية التى كانت لغة كتابة وخطابة فقط فى القرون الوسطى، لا لغة حياة واستعمال يومى، ولذلك زالت عن المكان العلمى الذى كان لها، ودخلت الى بعض الكنائس فقط، وانعزلت واصبحت مهجورة ميتة.

المطلوب اذن هو:

● الاقلال من القواعد والتسليمات والقياسات والتفريعات والتخريجات والجوازات.

● تبسيط اسلوب العرض ليتلاءم مع سن الطالب ووقته ومدى استيعابه.

● البعد عن التعقيد، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية احب الى الطالب من لغته، وأسهل منها على التعلم.

● تمكين الطالب من ضبط لغته بيسر وبساطة، لكى تصبح مع الزمن لغة تخاطب لديه، لا لغة كتاب ومدرسة، ومع الزمن نضمن شيوعها على السنة الأجيال المقبلة.

هذه كلها تتطلب ان يتفرغ لهذا العمل الخطير جدا عدد كاف من (المربين) الذين يمارسون تعليم العربية فى مختلف مراحل الدراسة العامة فى الوطن العربى كله، وليس من علماء اللغة؛ لان هؤلاء لم يعودوا فئة مؤهلة للنزول الى مستوى عمر الطالب وادراكه المحدود، وقد أصبحت اللغة لديهم (غاية) يصعب عليهم التساهل فى تفاصيل قواعدها وفقاً لأصول التربية الحديثة، وليس فى وسعهم تبسيطها حتى لو ارادوا ذلك. القادرون على القيام بذلك هم المربون الذين يعيشون فى جو الطالب، ويكافحون فى قلب المعترك، ويعرفون مدى إدراك الطالب، ومدى إرهاقه بالمواد الدراسية فلا يحاولون ان يزيدوه إرهاقا على إرهاقه، فيكره لغته وينفر منها – كما هو الحال اليوم –.

هذه دعوة الى وزارات التربية والتعليم فى العالم العربى كله، والى المجامع اللغوية. عسى ان تجد سبيلها الى الأسماع الحريصة على هذه اللغة الشريفة المجيدة.

عيسى الناعورى



ومن العلم ماقتل

د. عبدالسلام العجيلي

ـ .. ومن أوائل الذين قتلهم العلم كان سنمار . لابد انك سمعتهم يقولون جازاه جزاء سنمار . سنمار هذا قتله علمه قبل الف وخمسمائة عام . كان مهندسا بارعا بنى لملك الحيرة النعمان بن امرىء القيس قصر الخورنق . وعندما انتهى البناء صعد الملك الى سطحه فاعجبه فقال : ما رايت مثل هذا قط . فقال سنمار : إنى اعلم موضع أجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : ايعرفها احد غيرك ؟ قال : لا . قال النعمان : إذن لأدعنها وما يعرفها احد ! ثم امر به فقذف من أعلى القصر الى اسفله ، فتقطع ...

وهكذا كان الفيلسوف يحدث صاحبه الطبيب وهو يعدد مضار العلم وفضائل الجهل . بالطبع لم يحمل الطبيب كلام صاحبه على محمل الجد فضحك وقال له

ـ كيف تريد أن تقنع الناس فى هذا العصر المنير بأن يرتدوا الى الجهل بعد ان جاوزوا بعلمهم كل الحدود ؟

قال : الأصح أن تقول بعد ان جاوزوا بجهلهم كل الحدود . فانت تظن الناس فى هذا العصر قد ازدادوا علما ، وانا اقول لك بانهم ، على العكس ، قد ازدادوا جهلا ...

قال الطبيب : كيف ؟

قال الفيلسوف : كانوا يجهلون القليل فلما علموا أصبحوا يجهلون الكثير . اضرب لك مثلا : كم تظن عدد نجوم السماء ؟

قال الطبيب : وما يدرينى بهذا العدد ؟

قال صاحبه : انا اقول لك ، عدد النجوم التى تراها العين المجردة خمسة آلاف نجم . ماذا كنا نعرف عن هذه النجوم ؟ لا شىء اكثر من انها نقاط مضيئة اغلبها ثابت وقليل منها سيار . ثم جاء العلم بالتلسكوب ومقياس الطيف ومرصد بالومار ومحطة الاستماع الفلكية فى جوردال بانك . فاصبحنا نعرف بعض التفصيلات عن عشرين نجماً . ولكننا بالمقابل اكتشفنا أن فى السماء خمسة ملايين نجم لم تكن تراها اعيننا ، فاصبحنا نراها دون أن نعرف عن كنهها شيئا . هذا عدا ملايين الكواسار ...

فقاطعه الطبيب متسائلا : الكواسار ؟ ما هذه ؟

قال : هذه هى العوالم التى اكتشفت مؤخرا والتى يسمونها اشباه النجوم . ما علينا .. لا اريد ان ازيدك علما لئلا تزداد جهلا . بالاختصار ، كنا بدون علم نجهل ماهية خمسة آلاف نجم فقط ، فلما صرنا علماء اصبحنا نجهل ماهية اربعة ملايين وتسعمائة وتسعة وتسعين الف وتسعمائة وثمانين نجما .. أما كان الجهل احسن لنا اذن ؟

سم النقانق

سكت الطبيب مفكرا ، فقد كان منطق صاحبه الفيلسوف يدعو حقا الى التفكير بينما اردف هذا يقول :

ـ اسألك انت ، الم يقدك علمك مرة الى الشعور بجهلك العميق ؟

فاجاب : بل كثيرا ما شعرت امام مرضاى بهذا . عامة الناس يرون فى الطبيب الحاذق نصف اله . فهم يعتقدون انه يعرف الجسم البشرى والداء والدواء المعرفة الكاملة التى تتيح له أن يهب الشفاء لمن يريد . أما الطبيب فانه يدرك الحقيقة . انه يعرف ان ما يجهله من خفايا الخلية الحيوانية ومن سلوك الجراثيم الممرضة ومن تأثيرات الأدوية فى الأنسجة والأعضاء اكثر بكثير مما يعلمه . فهو كما قلت انت ، كلما ازداد اطلاعا تكشفت له مجاهيل جديدة يقف عندها حائرا ، بل انه ليصاب احيانا بالدوار ...

قال الفيلسوف : احسنت . هذا ما قلته انا فى الأول وانكرته انت : من العلم ما يصيبك بالدوار ، ومنه ما يقتل ... واكثر الناس خبرة فى هذا هم الأطباء !

فقال الطبيب محتجا : انك تغمز من الأطباء بهذا ...

فابتسم الفيلسوف وقال : الواقع انكم مظلومون فى هذا المجال . يتندر الناس بكم احيانا لأنكم بجهلكم ، او بعلمكم ، تميتون الأفراد . بينما يميت غيركم الآلاف وعشراتها ومئاتها ويرجع باكاليل الغار ! ولكن خطاكم الكبير هو انكم تعطون السلاح لأولئك القتلة .

فتساءل الطبيب مستنكرا : نحن ؟

قال : نعم . انا اعرف مثلا انه منذ الحرب العالمية الأولى ، بل وقبلها ، توصل علماء الطب والكيمياء الى تركيب السم الذى تفرزه مكروبات النقانق الفاسدة ، هذا الذى تسمونه توكسين بوتيليك .. وانهم حضروا كمية كافية منه للاستعمال الحربى . لابد وانك تعرف بأن ١٥ سنتمترا مكعبا فقط من هذا السم اى ما يعادل ثلاث ملاعق صغيرة ، كافية لقتل جميع سكان امريكا . ارخص من القنبلة الذرية على كل حال ! انتم الذين وضعتم السلاح فى ايدى مجرمى الحروب المحترفين ...

محاسن الجهل

فاعترض الطبيب بقوله : ولكن احدا لم يستعمل هذا السلاح !

قال الفيلسوف : ليس عن طيبة قلب عزفوا عن استعماله . عزفوا عنه لأن علمهم لم يبلغ القدر الذى يمكنهم من استعماله دون ان يرتد فعله اليهم . اين يجد الجيش المغير الماء لشرب جحافله الكثيرة اذا تسممت منابع المياه فى قارة بكاملها بهذا السم المبيد ؟ كيف يمنعون الريح من أن تحمل ذراته فترتد الى الجيوش الغازية التى استخدمته لابادة عدوها ؟ الجهل هو الذى يمنعهم من استعمال هذا السم . وحين يعلمون فالويل للبشرية !

قال الطبيب وهو يتهيا للذهاب معتذرا بوعد عمل :

ـ انا معك إذن ، وعلى رغمى ، فى الايمان بمحاسن الجهل ... وفى تصديق ما قاله الأخطل الصغير ، وغناه عبد الوهاب ، بأن من العلم ما قتل ...

فضحك الفيلسوف قائلا : وبأن جفنه علم الغزل .. كانك نسيت اول البيت ! لولا انك فى عجلة لبرهنت لك على أن هذا هو العلم الصحيح . ولكنك الآن ذاهب ... فالى مرة اخرى اذن ...

د. عبد السلام العجيلى

رجـــاء النقـــاش

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠



هذا كتاب خطير حقا . ولست ابالغ إذا قلت انه اخطر كتاب عربي صدر سنة ١٩٨٠ . ومع ذلك فقد صدر هذا الكتاب بغير ضجيج . ولم يعتمد كاتبه على اي عنصر من عناصر الاثارة . لا في الاسلوب والتعبير . ولا في تضخيم حجم الافكار والمعلومات الواردة في الكتاب . بل ان الكتاب كثيرا ما يواجهنا بعبارات جافة خالية من اى محاولات للتجميل . ذلك لان الكاتب يقول لنا الحقيقة . والحقيقة في ضميره وعقله . يجب أن تكون مجردة وواضحة . بل يجب أن تكون عارية . خاصة في مثل هذا الموضوع الذي يعالجه الكتاب .

الكلامولوجيا ..

ولو ان مجتمعنا العربي تعود ان ياخذ الكلمات ماخذ الجد . ويتجاوب معها ويتاثر بها . لكان لهذا الكتاب المتواضع في شكله وحجمه واسلوب تعبيره شان كبير . ولكن المجتمع العربي أصيب بمرض حضاري واضح . وقد اسمى البعض هذا المرض من باب الطرافة باسم «الكلامولوجيا» . وهو في الحقيقة ليس مرضا «طريفا» . ووصف هذا المرض بسيط : فالانسان العربي من كثرة ما سمع من الكلام . ومن كثرة ما قرأ من الاقوال والآراء . ومن قلة ما وجد من أصداء عملية واقعية للكلمات الكثيرة . هذا الانسان العربي قد اصبح لا يتاثر بالكلمات ولا يصدقها . ولا ينتظر نتيجة لها . بل إنه لم يعد يميز بين ما هو حقيقي وما هو زائف ومليء بالاوهام . تماما مثلما يصاب الانسان في معدته فتصبح غير قادرة على هضم اى طعام . ويفقد الانسان بالتدريج قدرته على تذوق الطعام او التمييز بين الجيد والرديء منه .

الكلام في الوطن العربي كثير .. والمطبوعات بالاكوام . ولكن كل شيء فقد طعمه وتاثيره . وانعدمت فيه الفروق بين الالوان . ولذلك فقد صدر هذا الكتاب في صمت . ولم يلتفت اليه احد رغم خطورة ما يقوله الكتاب . ورغم ان كل كلمة في هذا الكتاب كانت كفيلة بان تجعلنا جميعا : لا ننام !

ضمير حي وثقافة واسعة

والكتاب اسمه «هدر الامكانية بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو

غاياته» أما المؤلف فهو «الدكتور نادر فرجاني» ، وأنا شخصياً لا أعرف شيئاً عن هذا الكاتب ولم أقرأ له من قبل ، ولكن «مركز دراسات الوحدة العربية» الذي أصدر الكتاب يقول عن المؤلف في نشرة صغيرة ملحقة بالكتاب إنه «أحد الاقتصاديين الشبان اللامعين وهو وثيق الصلة بموضوع كتابه الجديد ، إذ يعد واحداً من أبرز المهتمين بقضايا تنمية القوى البشرية في الوطن العربي» .

على انني إذا لم أكن أعرف شيئاً عن الكاتب قبل أن أقرأ كتابه الجديد فإن الكتاب يقدمه بوضوح .. إنه ليس مجرد كاتب من كتاب «الكلامولوجيا» الذين يتحدثون كثيراً بألفاظ رنانة مزوقة لا تعني شيئاً ، بل هو ضمير حي ، وثقافة واسعة ملتزمة بقضايا هذه الأمة العربية التي تمر بأزمة دقيقة من أخطر ما مر بها من أزمات .

وليس معنى هذا أن الكتاب خال من الأخطاء أو خال من وجهات النظر التي تستحق المناقشة بل والمعارضة ، ولكن الكتاب في جملته يعتبر عملاً فكرياً بالغ الاهمية ، يضيء الواقع العربي الراهن ، ثم يضع التحذير والانذار لنا جميعاً على أساس ما يمكن أن يحمله المستقبل من أخطاء كبيرة تتجمع في النهاية لتصنع كارثة حضارية للعرب .

وموضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه هو دراسة الامكانيات العربية لاقامة مجتمع عصري متقدم ، ثم دراسة ما تتعرض له هذه الإمكانيات من إهدار وتبديد وسوء تنظيم .

وينطلق الكاتب ، الدكتور «فرجاني» ، من الصورة الراهنة للواقع العربي ، فيرى انها لا توفر العوامل الثلاثة التي تضمن سلامة المجتمع وقدرته على النهوض والتقدم . وهذه العوامل هي التخلص من التبعية للدول الصناعية الغربية ، وخاصة في المجال الاقتصادي ثم التعاون بين العرب ، ثم الاهتمام بقضايا التنمية على أساس المشاركة الشعبية المنتجة .

نظرة تشاؤمية ..

وبسبب فقدان هذه العوامل الثلاثة في الواقع العربي أصبحت الصورة تدعو الى التشاؤم ، حتى انعكس هذا التشاؤم على الباحثين والدارسين في الشرق والغرب ، فأخذوا يعبرون عن يأسهم الخاص من إمكان التعاون والاتحاد بين العرب . وهو الامر الذي ينبغي أن يتحقق إذا أردنا أن ننهض ونتقدم . فباحث عربي اسمه «فؤاد عجمي» يكتب في مجلـــــة «الشئون الخارجيـــة» الأمريكيـــة دراسة يقول فيها : «إن فكرة ظلت مســيطرة على الوعـــي السياسي للعـــرب المحدثين تقتـــرب من نهايتها . إن لم تكن قد أصبحت فعلاً من تراث الماضي . وهذه هي فكرة الأمة العربية الواحدة» . وباحث أجنبي آخر هو «هوبسون» يقول : «انه يندر أن يمر عام بدون نكسة أو أكثر لقضية الوحدة العربية» ، وقد اعتبرها معظم الكتاب الغربيين منتهية . ويقول كاتب غربي ثالث عاش فترة في البلاد العربية هو «ووتر بري» : «ستفشل بلدان الشرق الأوسط في تطوير استراتيجية مشتركة متماسكة وتعاونية للتنمية القومية وفي تطوير موقف تفاوضي جماعي تجاه الشمال «أو الغرب» ، ونتيجة لهذا فسوف تفشل في الحصول على أفضل الشروط الممكنة في التفاعل مع الشمال «الغرب»» .

والكاتب يقصد «الوطن العربي» بالتحديد عندما يتحدث عن الشرق الأوسط .

على أن هذه النظرة المتشائمة قد انتقلت الى بعض المسئولين العرب ، حيث يقول الشاذلي القليبي أمين الجامعة العربية : «إن التساؤل يطرح نفسه مرة أخرى : هل هناك فعلاً أمة عربية واحدة ؟ أو أن تلك الفكرة كانت وهماً من أوهام أجيال عربية سبقت ؟ الآن لم يعد الشك في القدرة أو الفاعلية ، وإنما وصل الشك الى حقيقة الوجود نفسه ... أي وجود الأمة العربية» .

● إهـــدار الإمكانيـــة مـــرض يعـــاني منه العرب

● الوطن العـــربي غنـــي .. ولـــكن لـــيس بالدرجـــة التـــي نتـــوهـــمـــها

التفاؤل مطلوب ..

ولكن مؤلف الكتاب يرفض هذه النظرة التشاؤمية ، ويرى أن الواقع العربي مليء بالأخطاء ، ومليء بإهدار الامكانيات ، وأن العرب لو تمكنوا من وقف عملية الاهدار لاستطاعوا أن ينهضوا ، ويتغلبوا على مشاكل الحاضر والمستقبل . يقول الكاتب «إنه إذا كان حال الوطن العربي بهذا السوء الذي لا أمل فيه ، كما يبدو الأمر في أقوال المتشائمين ، فلماذا الجهد وصيحات التحذير والتنبيه ؟ والاجابة هي أن الخطر الأساسي في الواقع العربي الراهن هو خطر إهدار إمكانية تاريخية قائمة لازدهار حضارة عربية معاصرة. فلو لم تكن الامكانية قائمة لما وجب التحذير ولا نفع . وإنما التحذير من قبيل الحرص على الاستفادة من الامكانية التاريخية ، ووراء الاعتقاد بأن امكانية اغتنام الفرصة مازالت بعد قائمة ، وعلى هذا فالتوجه الرئيسي لهذه الدراسة تفاؤلي ، ومن منطلق هذا التفاؤل فاننا نقفز على الواقع العربي المر ونتعامل في الدراسة مع الوطن العربي كوحدة» .

ولكن الكاتب لا يبني تفاؤله على الأوهام ، بل بالعكس فانه يصارح نفسه وقراءه بأسلوب علمي دقيق ، فالقوة الأساسية للوطن العربي في نظره هي القوة البشرية ، صحيح أن احصائيات ١٩٧٩ أثبتت أن الوطن العربي يضم أكثر من نصف الاحتياطي العالمي من البترول ، ولكن العمر المتوقـــع لهذه الاحتياطيات البترولية هو خمسون عاماً منذ الآن ، فماذا نفعل بعد نفاد هذا الاحتياطي الكبير ؟ .

المال والحضارة

إن الوطن العربي لا يتضمن كما يقول الكاتب أي احتياطي ينكر من الفحم الذي

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠



● ٧٣٪ من العرب عاطلون و ٦٤٪ أميون

يوجد ٧٠٪ منه فى الاتحاد السوفييتى وامريكا ، كما أنه باستثناء البترول والغاز الطبيعى ، فان الوطن العربى ليس غنيا بالموارد المعدنية . صحيح ان عائدات البترول يتكون لنا منها ثروة ضخمة بلغت حوالى مائتى بليون دولار سنة ١٩٨٠ ، ولكن الثابت علميا ان «توفر الأموال فى حد ذاته لا يكفى لكى يوفر الى جانبه فرصة حقيقية للتنمية بمعناها الحضارى الشامل» ولابد لكى نستفيد من هذه الأموال ان نحسن استخدامها بصورة سليمة ، «والا اصبحت امكانية من الامكانيات المهدرة ، «واذا تمت فى المنطقة العربية تنمية ، فلن يكون ذلك إلا فى إطار حركة نهضة قومية تعبىء كل موارد الوطن العربى وتستغلها بكفاءة ، عن طريق تنظيم اجتماعى كفء لتحقيق الغايات العربية. فلا يمكن ان تكون هناك تنمية إلا على المستوى القومى ، واذا تمت التنمية بهذه الصورة فان كل الاقطار العربية تستفيد منها ، فالاقطار العربية متصلة ، حتى لو شاء بعضها ان ينفصل ، وهجرة القوة العاملة العربية الى الدول العربية النفطية وتزايدها فى السنوات الأخيرة خير دليل على ذلك » .

ولذلك «فان الأموال العربية مهما كانت قيمتها وحجمها لا يمكن أن تشترى مستقبلا» لأن المستقبل تتم صناعته بالجهد والعمل الدقيق المنتظم والمنتج ، ولا يمكن شراء «مستقبل جاهز» بالأموال.

ويعود الكاتب ليسجل بصراحة وجهة نظره فيقول : «إذا أردنا تلخيص مقومات الامكانية التنموية العربية لوجدنا ان الوطن العربى غنى فقط فى العنصر البشرى ، وهذا الغنى ليس إلا غنى بالإمكانية نظرا لضعف القدرات البشرية العربية وإهدار طاقتها حاليا . إلا أن هذا «العنصر البشرى» هو المقوم الحاسم لامكانية إحداث التنمية فى الوطن العربى . وتعانى الامكانية التنموية من نقص نسبى فى الأرض الزراعية والموارد المعدنية بما فيها موارد الطاقة إجمالا ، إلا ان الوفرة النسبية فى النفط حاليا والعوائد الناجمة عنها ، يمكن ان تكون عاملا إيجابيا مساعدا ، لامكانية تنموية حقيقية إذا اجيد استغلالها قوميا ..

رأى مرفوض ..

وهنا يعلن الكاتب بامانة وصدق رفضه ، لما يعلنه بعض الباحثين من الآراء التى تشبه الاوهام ، والتى لا تستند على دراسة دقيقة ، ومن هذه الآراء التى يعترض عليها الكاتب ويرفضها راى الدكتور حامد ربيع الذى يقول : «إن الامكانيات العربية لا حدود لها» وأن «العالم العربى قادر على أن يتحول الى سلة للطعام ليس فقط للعالم المتخلف بل ولجميع المجتمعات التى سوف يقدر لها أن تعانى من نقص فى الغذاء» . ومن هذه الآراء التى يرفضها الكاتب قول باحث عربى اخر هو محمد سيد أحمد «... إنه ينبغى أن نشير إلى حقيقة تاريخية مذهلة هى أن ما توفر للعرب فى الربع الأخير من القرن العشرين من عناصر التنمية ، لم يتوفر لبشر قبلهم ...» .

هذه فى نظر الكاتب كلها مبالغات لا تثبت للبحث العلمى الدقيق ، والصحيح عنده أن العنصر البشرى هو قوتنا الرئيسية وهو يحتاج الى تنظيم وتوجيه وإعداد سليم حتى يمكن أن يحقق التنمية ، ويتغلب على عناصر النقص الموجودة فى الواقع العربى .

ثراؤنا محدود ..

وهكذا فان الوطن العربى إذا كان غنيا بالبترول ، فهو بمقاييس «الثروة» الحقيقية يعتبر فقيرا ، فالأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى - كما يقول الكاتب - «بلغت ٥٠ مليون هكتار فى منتصف السبعينات طبقا لبيانات منظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة» وهذه الأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى هى «حوالى ربع الأرض القابلة للزراعة فى الولايات المتحدة وخمس الأرض القابلة للزراعة فى الاتحاد السوفيتى» ولذلك أصبح الوطن العربى «يعتمد اعتمادا محرجا ومتزايدا على استيراد الغذاء من الخارج» ، وتكشف مقابلة الانتاج والاحتياجات فى مجال الغذاء فى الوطن العربى عن «توقع قصور متزايد فى انتاج الحبوب ، عماد قائمة الغذاء فى البلدان العربية ، عن الوفاء بالاحتياجات يصل فى مطلع القرن القادم - اى بعد أقل من عشرين عاما - الى أكثر من نصف الكميات المطلوبة من القمح ، ويتعدى ٤٠٪ من الاحتياجات من الأرز والذرة الشامية . كذلك يقدر ألا يفى الانتاج من السكر إلا باكثر قليلا من نصف الاحتياجات ، كما يتزايد العجز من اللحوم والبيض والألبان عبر فترة التقدير ليتعدى ثلث المطلوب من اللحوم ، وليصل لقرابة ربع الاحتياجات من البيض والألبان فى عام ٢٠٠٠ ، وبناء على هذا التحليل الاجمالى يمكن القول بتوقع بقاء الوطن العربى منطقة عجز غذائى نسبى ، وهذا العجز الغذائى المتوقع وجه قصور فى الامكانية التاريخية لبناء مستقبل عربى مزدهر» .

وهذا نموذج واحد يكشف لنا أن الوطن العربى إذا كان غنيا فانه ليس ذلك الغنى الذى نتوهمه، فهناك عجز كبير فى مجالات حساسة ، لا علاج لها إلا بالعمل

● إلى متى يعيش العرب "عالة" على الصناعة والأغذية الغربية؟

● لماذا لا يصنع العرب ويزرعون ما يحتاجون إليه؟

والجهد ، اما التوهم بان الوطن العربي «غني» بصورة مطلقة ولا مثيل لها فذلك وهم يحتاج الى المراجعة والتعديل . وخطورة هذا الوهم انه يمكن ان يدفعنا الى الاعتماد على الاحساس باننا اغنياء بغير حدود ، فنتراخى في مسئوليتنا التاريخية في العمل المنتظم الدؤوب .

ارقام مؤلمة ...

وننتقل من هذا العرض العام لآراء الكاتب إلى الوقوف أمام لمحات من أزمة الواقع العربي كما جاءت في هذا الكتاب الخطير :

فمتوسط العمر بالنسبة للانسان العربي هو ٥١ عاماً بينما يصل في الاتحاد السوفيتي الى ٧٠ وفي امريكا الشمالية الى ٧٠,٣ .

كذلك فان ثلثي العرب البالغين «حتى سنة ١٩٧٥» ، كانوا يجهلون القراءة والكتابة والحساب . ولم تتمكن البلدان العربية من «انقاص نسبة الأمية» إلا من ٨٢٪ إلى ٦٤٪ فقط في الفترة ما بين «١٩٦٠ - ١٩٧٥» .وإذا كانت نسبة الأمية في الوطن العربي قد وصلت إلى ٦٤٪ عام ١٩٧٥ ، فان نسبة الأمية في امريكا في نفس العام كانت ١٪ وفي الاتحاد السوفيتي ١٪ ، وهذا يكشف فداحة ما نحن فيه من تعطيل للقوة البشرية .

ومن الحقائق ذات المغزى ايضا بالنسبة للعنصر البشري وعدم استغلال هذا العنصر في الانتاج «أن نسبة المشاركين في النشاط الاقتصادي في الوطن العربي لا تزيد عن ٢٧٪ من مجموع السكان» ، والباقي عاطلون بشكل صريح ، أو عاطلون بصورة غير مباشرة ، «وخلاصة القول أن القوى البشرية العربية في مجموعها مازالت غير مؤهلة تعليميا ، مستوى صحتها اقل من مقتضيات جهود تنموية جادة ، وغير مستفاد منها في انشطة انتاجية» .

خطر واحراج

وهناك ارقام اخرى لها دلالة ، منها : أن السلع المصنعة في الخارج تمثل ٧٠٪ من واردات العالم العربي «سنة ١٩٧٦» وهذا معناه اننا مازلنا نعتمد على الاخرين بنسبة عالية وخطيرة ومحرجة كذلك «فان الدول العربية تستورد الغذاء نتيجة لعدم كفاية انتاجها الزراعي لحاجات سكانها ، وقد استورد العالم العربي من المواد الغذائية سنة ١٩٧٦ خمسة امثال ما استورده سنة ١٩٦٠ وهذه زيادات خطيرة مؤثرة» .

ومن ناحية اخرى وعلى الجانب الذي يتصل بعلاقات البلاد العربية ببعضها البعض .. تجمدت او انقطعت العلاقات العربية الدبلوماسية بصورة ثنائية إحدى عشر مرة خلال عشر سنوات «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» ، واندلعت نيران القتال بين شقيقتين عربيتين او اكثر تسع مرات خلال نفس الفترة «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» .

أما الصورة العامة لتطور التجارة بين بلدان الوطن العربي فانها كانت أقل منها منذ عشرين عاما خلت ، وقد شهد النصف الثاني من السبعينات انكسارا واضحا في هذا الصدد» ومازال الوطن العربي في حركته الاقتصادية يصدر المواد الخام ويستورد المواد المصنعة ، وهذا خطر كبير ، ووضع لابد ان يتغير بحيث نستطيع أن ننتج ما نحتاج اليه أو معظمه في بلادنا وبأيدينا .

العرب سنة ٢٠٠٠

وينهي المؤلف كتابه الخطير بفصل يسرد فيه نتائج أسئلة قدمها لخمسة وعشرين من كبار الباحثين في العالم العربي ، وتدور هذه الأسئلة في جوهرها حول امكانية التطور إلى الافضل في المجتمع العربي ، وتاتي النتيجة بان معظم الباحثين متشائمون ، وانهم يرون أن سنة ٢٠٠٠ سوف تاتي والعرب ما يزالون في اتجاه إهدار امكانيات بلادهم.

وهنا يرى الكاتب ان المسالة مسالة اختيار حضاري ، فلو اراد العرب أن يواجهوا مستقبلهم بصورة سليمة فانهم سوف يستطيعون ايقاف هذه الظاهرة .. ظاهرة «إهدار الامكانيات» وفي هذه الحالة ، فانهم سوف يحققون خطوات واضحة في طريق التقدم والنهوض ، أما إذا اختاروا الاستمرار في أوضاعهم الراهنة بغير مراجعة ولا تعديل . فسوف يكون التفاؤل وهما من الأوهام . وبذلك يكون مصير العرب في أيديهم لا في أيدي الآخرين . وعليهم أن يختاروا .

هجرة العقول

على أن السؤال النقدي الذي يجب توجيهه الى المؤلف ، وهو يتحدث في كتابه الخطير عن ظاهرة «إهدار الامكانيات» في الوطن العربي ... هذا السؤال هو : لماذا لم يشر إلى ظاهرة «هجرة العقول» من الوطن العربي إلى الغرب ؟ ... إن هذه الظاهرة تعتبر من أخطر الظواهر في ميدان إهدار الامكانيات العربية ، ويكفي في هذا المجال أن أشير إلى تقرير لليونسكو اعلنه سنة ١٩٦٨ «ونشره الدكتور عبد العظيم انيس في مقال له» جاءت فيه هذه الأرقام :

٥٩٪ من الدارسين العرب في بريطانيا هاجروا إلى امريكا .

٣٧٪ من الدارسين العرب في المانيا الغربية هاجروا ايضا إلى امريكا .

كذلك يقول التقرير إن «جميع» طلبة لبنان الذين درسوا في أمريكا ظلوا هناك! وبالنسبة لمصر «لم تكن نسبة حملة

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠

المؤهلات العليا من المهاجرين المصريين تزيد على ٤ر٣٪ فى عام ١٩٦٢ ، ثم ارتفعت إلى ٣٥٪ فى عام ١٩٦٧ ، ثم ارتفعت إلى ٥١٪ فى عام ١٩٦٨ ، وكلهم من المهندسين او الأطباء او خريجى العلوم او التجارة .

وبالطبع فقد زادت ظاهرة هجرة العقول عشرات المرات منذ ١٩٦٨ إلى اليوم وفى مختلف مجالات الكفاءة والخبرة ، وفى ذلك مظهر خطير من مظاهر إهدار الامكانيات فى الوطن العربى .

كتاب صارم ...

إن كتاب «الدكتـور نادر فرجانى» يضع يده على أخطر ما يعانيه المجتمع العربى ... ومهما كان هناك من عناصر الاتفاق أو الاختلافمع الكاتب ، فان هذا الكتاب هو بغير جدال : أخطر كتاب عربى ظهر سنة ١٩٨٠ ... وهو جدير بأن يهز المجتمع وينبهه ويوقظه من الاحلام والأوهام ، إذا ما نظرنا إلى الكتاب نظرة بحث ومناقشة لما جاء فيه من معلومات وأرقام واراء صادقة وصادقة مهما كان فيها من الصواب أو الخطأ .

تعليـق

..وهل كانت مي عاشقة رخيصة؟!

المسلسل الذى عرضه «تلفزيون قطر» أخيرا عن العقاد كان مسلسلا ممتازاً رفيع المستوى ، والحقيقة أن مثل هذه المسلسلات تفتح افاقا جديدة للفن والفكر فى التلفزيون ، ترتقــى به وبمستوى ما يقدمه الى المواطن العربى من أعمال ، وتخرج من الدائرة المغلقة المحدودة للمسلسلات التلفزيونيـــة العاطفية وغير العاطفية . ففى هذه المسلسلات الجديدة ينفتح أمـــام المشاهدين باب واسع يرون منه تاريخنا ، وما كان فيه من جهد وجهاد ومعاناة كبيرة ، من أجل أن يتطور هذا المجتمع وينهض ويقاوم العقبات الكبيرة التى كانت تعوق التطور والنهضة ، والعقاد فى الحقيقة يمثل قصة كفاح نادرة المثال فى الفكر والحياة ، فهذا الرجل الذى لم يحصل على اكثر من الشهادة الابتدائية ، وكان فى بداية شبابه مريضا بالصدر ، استطاع أن يفرض على نفسه نظاماً قاسيا فى الحياة وفى التعليم الذاتى ، حتى أصبح من أكبر المثقفين فى عصره ، بل فى كل عصور الثقافة العربية ، واستطاع فى نفس الوقت أن يحمى جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، حتى عاش خمساً وسبعين عاما دون أن يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام وذلك لأنه فرض على نفسه «نظاماً عسكرياً» دقيقا فى الطعام والنوم والحركة والنشاط والرياضة ، حتى استطاع أن يجعل من جسمه العليل عملاقا يتحمل الحياة ويواصل أيامه حتى هذه السن المتقدمة ، ولقد بلغ العقاد من القوة والحيوية حتى فى


مي زيادة

شيخوخته الى حد دفع أحد أقاربه الى أن يقول لي يوم وفاته : إن العقاد لم يمت موتاً طبيعياً ، فقد كان ـ والأعمار بيد الله ـ قويا مليئا بالحياة قادراً على مواصلة الحياة الى ما فوق التسعين .. ثم قال لي قريب العقاد : إن العقاد مات مقتولا على يد بعض الطامعين فيه ! وهذه قصة أخرى بالطبع ، ليس عليها دليل ، ولكنها تقوم على الشبهة والظن .. وبعض الظن إثم كبير .. ولكن القصة مع ذلك قد تكون صحيحة .

المهم أن مسلسل العقاد كان ممتازا لولا ملاحظة لابد من تسجيلها هنا ، فقد بدت صورة الأدباء الآخرين فى عصره مهزوزة وغير دقيقة ، ولا أمينة . وعلى رأس هذه الصور الخاطئة كانت صورة الأديبة الكبيرة «مي» ، فقد بدت «مي» فى المسلسل عاشقة رخيصة ، تتحكم فيها نزعة عاطفية سطحية ، حتى أصبحت «مي» ـ والعياذ بالله ـ وكأنها من أبطال أفلام الدرجة الثانية المصرية العاطفية التى تقوم على المبالغة والافتعال . وهذه صورة غير صحيحة ولا يمكن أن تكون صحيحة ، فقد كانت مي المرأة الوحيدة فى عصرها «الثلث الأول من هذا القرن» التى استطاعت أن تنشىء صالونا أدبياً ، يتجه اليه أعظم أدباء العصر ومفكريه ، واستطاعت «مي» أن تحظى باحترام الجميع وتقـــديرهم ومحبتهـــم ، واستطاعت أن تحافظ على كرامتها فى جميع الظروف .. ويمكن أن تكون مي قد اتجهت بعواطفها الى العقاد أو غيره من الأدباء ، ولكنها بالقطع لم تكن «رخيصة» العاطفة كما بدت فى مسلسل «العملاق» ... إن أى دراسة لـ «مي» تثبت وتؤكد أنها كانت امرأة قادرة على «ضبط عواطفها وسلوكها معاً» وإلا ما استطاعت أن تعيش وحدها بين رجال الفكر الكبار وتفتح صالونها للجميع وتستمر فى ذلك سنوات بعد سنوات ، دون أن يمسها أحد بكلمة سوء .

ولو كان العقاد حيا ، فمن المؤكد أنه كان سوف يرفض هذه الصورة المرسومة لـ «مي» فى المسلسل التلفزيونى ، والدليل على ذلك أنه رثاها بقصيدة صادقة مؤثرة أكد فيها على نبل شخصيتها وبكى فيها ذوقها الرفيع وسلوكها الراقى المتحضر .. ولو أن الذين صوروها بهذه الصورة على شاشة التلفزيون قرأوا أدبها ، لعرفوا أنه من المستحيل أن تكون مي عاشقة رخيصة بهذا الشكل الذى ظهر فى هذا المسلسل الممتاز !

مثل مي ، لا يمكن أن تحب بهذه الطريقة السطحية المهتزة التي تناسب المراهقات الجاهلات .. ولا تليق بمي .. الحساسة المثقفة التى يمكن أن تحب ، بل يجب أن تحب ولكن بغير هذه الطريقة الرخيصة !

رجاء النقاش

صَبَا نَجْد



شعر: محمد الفهد العيسى

ألا يا صَبا نجدٍ فديتك يا نجدي
متى كان عهدك - بالأحباب - في نجد؟

متى كنت فيهم في مواسم حبهم
وفي روضة "التّنهات" كيف همو بعدي؟

أيذكرني الخلان في الوسم عندما
تلوح بروق المُزن.. أم أُنسيوا عهدي؟

سقى الله أرضاً كنت بين رياضها
أُريقُ كؤوس البَوْح وجداً على الوجدِ

بها كنت لحناً بين أضلع شاعر
يغني لليلى الشوق في القرب والبعدِ

ويبكي جريحاً نأْيَ ليلى وبُعدَها
وذكرى ليالي الوصل في المنهل الرغدِ

تعلقتُ ليلى وهي بعدُ - غريبة -
وقلبي - غريبٌ - مثل ما عندها عندي

وكنت وليلى نحتسي الكأسَ مُترَعاً
بشوقٍ كراحٍ كالشعاعة كالشهدِ

وهِمتُ انتشاءً في نديٍّ وصالها
ليالي.. ما كانت من الزّمنِ الحَرْد

يظلّ الغيُ فيها من الشّيح رطبُه
وليلاي عبق الأقحوانة والنّدِ

ألا يا لَحَى الله الفراق وليلَه
لحَى القلبَ مني بالتّولّهِ والوقْدِ

ألا يا صَبا ما الطّيب ما العرف بعدها
وما الزهر.. ما القيصوم.. ما العبق للورد؟

ألا يا صَبا.. ما قد صفا الدهر مثلما
تناهى إلينا - الحب - في الروض من نجدِ

ومرّت كبَرْقٍ - لحظة العمر - بعدها
تناهت بي الأيّام في المهْمَهِ الجَرْدِ

د . محمد زكي العشماوي

منهج في دراسة أبي نواس

لعلنا لا نجافى المنهج العلمى السليم إذا قلنا إن دراستنا لأى شاعر من شعراء المرحلة العباسية تحتاج إلى نظرتين :

الأولى عامة وتتصل بابراز خط التطور والنمو فى مسار الشعر العربى وتحاول تحديد أهم ملامح التحول التى حققها الشعر فى تلك المرحلة بوصفها ظواهر عامة ينبغى أن تدخل فى اعتبار الدارس وتنال قدراً من اهتمامه ، هذا إذا كانت هناك ظواهر جديدة ومشتركة تتسم بها المرحلة وتحدد إتجاهاتها

والثانية خاصة وهى تتصل بشاعر معين له سماته الخاصة وعالمه المتفرد من حيث أسلوبه وطرائق تعبيره وموقفه الفكرى العام وإضافاته . وإذا جاز لنا أن نبدأ بالنظرة العامة للمرحلة فيمكننا أن نجمل خطوطها العامة فيما يأتى :

أولا : انتقال الشعر فى المرحلة العباسية بدءا من بشار ـ من دائرة القبول والرضى والاستسلام والولاء للجماعة واخلاقها الى دائرة التساؤل والرفض والتمرد والسخرية من الجماعة وقيمها والاستخفاف بالعادات والتقاليد الثابتة . وقد ظهرت علامات هذا كله على المستويين الابداعى والاجتماعى على السواء . فقد ساعد تغير الحياة وانتقالها من البادية إلى الحضر ، وتكاثف السكان وتزايدهم فى المدن ، وانتقال الثقافات المختلفة وامتزاجها بالثقافة العربية على نوع من التطور فى شكل المجتمع وفى لون الحياة الجديدة نتج عنه إحساس الشاعر بالعزلة والشعور بالوحدة والقلق ، الأمر الذى دفع به الى ضرورة البحث عن مخرج ، فكان السبيل هو طريق الذات ، والكشف من خلالها عن التوازن الداخلى باتخاذ موقف ينبع من داخله ومن ارادته الحرة البعيدة عن أى تأثير . ومن هنا جاء الاندفاع على تركيز الروح وتحقيق معنى التضرر أو بمعنى آخر التحول من الحضور الجماعى إلى الحضور الذاتى ، وظهور العمل الفنى النابع عن حضور الأنا وغياب الآخر .

ثانياً : لم تعد التجربة الذاتية الجديدة فى الشعر عند كبار شعراء تلك المرحلة مجرد تجربة ذاتها همها إثارة الانفعالات والأحاسيس ، فهذه من ابسط الأمور ، بل ان ارخص انواع الأدب يستطيع ان يثيرها ، بل صارت التجربة الذاتية رؤية وموقفاً ، وصارت حلماً وفكراً فى ذات الوقت واصبح الشاعر احياناً يحلم بعوالم خاصة ، واخذ يتوجه احياناً أخرى الى الانسان يفكر فيه ، ويتأمل موقفه من الزمن والكون والمصير ، ويتجاوز الحدود المكانية والزمانية الجزئية الى حدود كلية والى عالم ما وراء الحس كما هو الحال فى بعض تجارب أبى نواس وابى العلاء والمتنبى .

ثالثاً : التحول فى شكل الشعر وصياغته فلم يعد هم الشاعر الوصول الى التعبير بقدر ما صار من همومه التفكير فى كيفية التعبير فبدأنا نرى معماراً شعرياً جديداً وتركيباً بنائياً جديداً ، تركيباً يعنى احياناً بشكل الشعر وصناعته عناية تبلغ حد الولع بالصنعة ، ولعا جعل بعض هؤلاء وهو أبو تمام يخلق لنفسه ـ على حد قول نيتشه ـ سلاسل فنية يرقص من خلالها ، وبها . احب ان يخلق لنفسه جوا خاصا يتنفس فيه ، مؤمناً بان شجرة الشعر إذا لم تثمر ثمراً غريباً ونادراً فلا كانت الشجرة ولا كان الشعر .

تحرير القصيدة العربية

رابعاً : تحررت القصيدة العربية القديمة من بعض التزاماتها المفروضة عليها فى الشكل والمضمون فتغير الشكل ولم يظهر هذا التغير فى إيقاع الشعر الجديد وتطور أوزانه واقتراب لغته احياناً من لغة الحياة بل تغير البناء الفنى فتوافرت لدينا بعض التجارب التى يستجيب فيها الشعر لموقف عاطفى واحد يجسد رؤية الشاعر وينشرها عبر القصيدة فى رؤية واحدة مركزة ، واصبحنا نجد الصورة التى تستطيع أن تهيمن على عدة صور فتحقق الوحدة فيما بينها بطريقة اشبه بالصهر بين المتباعدات والمتناقضات ، وظهرت القصيدة التى تتصارع اجزاؤها ثم تتوحد فى النهاية فى كيان عضوى موحد .

خامساً : والى جانب التحول فى الصياغة والبناء الفنى للقصيدة فقد كان ثمة تحول ظاهر فى طبيعة التجربة البشرية أو ما يسمى بمضمون الشعر وما يطرحه من قضايا ، ولعل أبرزها موقف الشعر من المجتمع والناس فاذا كان المجتمع يسحق الشاعر احياناً بموقفه الطاغى أو الظالم أو بشعور اللامبالاة فقد كان الشاعر احياناً يسحق المجتمع بالكلمة الساخرة والتهكم اللاذع ، وكان من نتيجة هذا كله ان اصبح للشعر موقف من الحياة والناس واصبح الشاعر ناقداً للحياة ، وساخراً من الخلل الذى يراه فى عالم الظواهر .

سادساً : ظهرت السخرية واحتلت مكانا بارزاً فى شعر هذه المرحلة وتعددت أشكالها ومذاهبها أو قل فنونها ، فخرج منها التهكم والتمرد والرفض والعبث احيانا .

وكان منها الهادىء الذى يحاول فيه الشاعر أن يسخر من آلامه لكى يهون من حملها ، ومنها العنيف الذى يبلغ حد التهكم من حماقة الناس وجهلهم ، ومنها

السخرية الماجنة المستخفة بكل شيء هروباً من الحياة أو هجوما عليها أو بحثاً عن خلاص أو مخرج من خلالها . ومنها السخرية العقلية التى لا ترى لشيء معنى أو قيمة والتى ترفض الحياة من أساسها .

ابو نواس : شخصية فريدة

فاذا انتقلنا من الملامح العامة للعصر الى ابى نواس فاننا نجد انفسنا أمام شخصية فريدة على المستويين الشخصى والانسانى نادرة فى حياة أدبنا العربى ، شخصية غنية بتجاعيدها ومنحنياتها ، وإبداعها الفنى تصم أذنيها عن العالم الخارجى كله ، ولا تستضيء أو تتحرك إلا بوحى من عالمها الداخلى فى محاولة لخلق نمط حياتى وفكرة خاص ، ونمط تعبيرى جديد ينبعان من مبدأ : قوامه البدء بالذات والحرية الفردية ، ومن هنا كانت الخطيئة المقدسة وكان التمرد على الواقع ورفض القيم الثابتة كضرورات كيانية مشتبكة بلحمه ودمه وأعصابه لمقاومة كل ما ينفى فردية الانسان أو يحد من حريته ، ولتحقيق وجوده الفنى وعالمه الخاص به .

وهكذا كان اكثر ما يلفت النظر فى هذا الشاعر شيئان بارزان . أولهما طاقة الحياة والفعل ، تلك الطاقة المغيرة والرافضة . وثانيهما : الثنائية أو الازدواجية التى جمعت بين تناقضين أو أكثر فى وقت واحد .

وموطن الصعوبة فى تقديرنا هو فى إزالة التناقض القائم بين هذه الثنائيات واكتشاف الوحدة التى تحقق التكامل والتوازن فى عالم أبى نواس بعد تحديد عناصر التكوين والبناء فى هذه الشخصية الفريدة .

وفى تقديرنا ان هذا ممكن وميسور معاً اذا استطعنا أن نكتشف الخيط الذى يربط بين عوالم ثلاثة اساسية فى حياة هذا الشاعر تلك العوالم هى :

أولا : عالم النشوة الذى يعينه على التالف مع الكون وفى هذا العالم يجب أن نتنبه لظاهرتين خطيرتين الأولى الحرية والثانية الخطيئة ، وكل منهما مرتبط بالآخر إلى حد بعيد فالحرية عند الشاعر هى طاقته المغيرة والرافضة والمتحررة كلما ازداد لوم الناس ازدادت شهوة الشاعر وازداد عناده ونعيبهم عليه ثناء .

إن كنتما لا تشربان معى
خوف العقاب شربتها وحدى
لا تلمنى على التى فتنتنى
وأرتنى القبيح غير قبيح
قهوة تترك الصحيح سقيماً
وتعير السقيم ثوب الصحيح

والخطيئة والمجاهرة بها هى التى تعينه على تحقيق حريته وتوكيد سعادته وهى الحقيقة التى يشعر انها تملأ يقينه ، لأنه بالخطيئة يؤكد الرفض ويحقق الحرية .

هناك لا تتخطى الأذن لائمة
ولا ترى قائلا من ذا ؟ ولا ماذا ؟

ولأن الخطيئة فعل التمرد فهى تريحه وتعبر عن انتصاره على اى سلطان للقمع أو الكبت فهما عنده موت قبل الموت الطبيعى ! .

انفت نفسى العزيزة ان تقنع
إلا بكل شيء حرام

وهو هنا يلتقى مع الرومانسيين : والخمر عنده مقدسة فهو يحلها ويشربها فى هالة من الطقوس ، وهى كريمة تجل عن اللئيم :

اجل عن اللئيم الكاس حتى
كأن الخمر تعصر من عظامى
واسقيها من الفتيان مثلى
فتختال الكريمة بالكرام

ويقول :

كرخية تترك الطويل من الـ
ـعيش قصيرا وتبسط الأملا

حالة الحضور

وللخمر لغتان لغة تجسد الواقع المعيش فتصور الخمر ومجالها وندماءها وآنيتها ، وتنقل صورتها كاملة حية . ولغة اخرى تجسد عالمه الثانى أو حياته الثانية التى يخلقها لنفسه هرباً من الحياة الأولى .

وفى الحالتين معاً : حالة الحضور والغربة يتم للشاعر تحقيق ثنائية من ثنائياته ، وهى الجمع بين الوعى واللاوعى أو بين الحقيقة والحلم ، بين الاتصال والانفصال . وبهذا تتحقق له نوعية خاصة فى الحياة لا يجدها فى الواقع فيظفر بلحظة التوهج وهى وحدها صاحبة القيمة ، فهو لا يحب الحياة لذاتها وإنما لقيمتها .

أما العالم الثانى عند أبى نواس فهو عالم الزهد الذى يخرجه من كنه الحياة ويلاقيه بالعالم الثانى الذى يتوق إليه ويتطلع الى ملاقاته . وفى تقديرى ان الزهد عند ابى نواس ليس رد فعل أو حركة مضادة لمجونه او توبة فى نهاية عمره ، فالمجونة والزهد عنده جنينان فى رحم واحد أو قل هما حبتا قمح فى سنبلة واحدة . ينهضان على أساس واحد مؤداه : ازدراء الحياة ورفضها والسخرية منها والبحث عن خلاص للمرء من وطاتها إما فى لهو عابث ومجون صاخب وجنوح إلى اللذة وإما فى العزوف عنها والبحث عن عالم من الطهر ينجو فيه الانسان من زيف الحياة ووعثائها .

العالم الثالث هو عالم الفن الذى يخلق له السعادة الضائعة ويتعانق فيه إيقاعه الداخلى بايقاع الحياة الخارجية ويرمز لطاقة الفعل المتجردة والمتغيرة عنده :

فمازلت بالاشعار فى كل مشهد
الينها ، والشعر من عقد السحر

واللغة عنده تفيض حيوية وانطلاقاً تستلين له طيعة وتفيض بين يديه عذبة رقراقة محتفظة بحيويتها على الدوام .

هذه العوالم الثلاثة لو احسنا الربط بينها وتفسيرها وازالة التناقض القائم بينها امكننا ان نظفر بعناصر التكوين والبناء فى تلك الصورة الفريدة صورة أبى نواس .

أما منهجنا فى البحث فلابد أن يعتمد أولا على تخليص أبى نواس واخباره وشعره من الفوضى التى علقت به ، ومما التصق بشخصه من أحداث ووقائع نسبت إليه وليست له ثم على اتخاذ المنهج التحليلى النقدى الذى يهتم بتحديد القيم الفنية والجمالية فى شعره ويكشف عن حقائق الحياة والانسان ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يستبعد التاريخ أو السياسة أو المجتمع أو دراسة الشخصية الانسانية ، وإنما يأخذ من كل هذه المعارف على ألا تستعبده واحدة منها أو تصرفه عن المهمة الاساسية وهى اكتشاف موقفه الفكرى العام والوقوف على عناصره الفنية التى تفرده وتحدد عالمه ودنياه الخاصة .

د. محمد زكي العشماوى



علي عبدالله خليفة

أوراق خليجية

إن اشد ما يؤلم هو أن ينظر الغير الى منطقة الخليج على انها منطقة النفط والثروة والتخلف فقط ، ويتعاملون معها من هذا المنطلق ، دون النظر الى التاريخ الحضارى لهذه المنطقة وانجازات ابنائها فى شتى ميادين المعرفة ، والى ان النفط لم يتدفق فى خليج صحراوى خلو من معاناة الانسان التى اورثت اشكالا عديـــدة من المواقـــف الســياسية والاجتماعية والفكرية . فاذا كان تدفق النفط وما جلبه من ثراء واهتمام هو بداية التعرف على انسان هذه الأرض فان المد لا يمكن له ان يغيب الوجه الحضارى لهذا الانسان مهما كانت هذه النظرة سائدة لغياب الوعى بالتاريخ ونتيجة طبيعية لاهتمامنا نحن ابناء الخليج بابراز الجوانب التى افرزتها الثروة ، واصرارنا جميعاً على تمثيل دور الباذخ المنعم المتهافت على المتع الحسية امام الشـــعوب الاخرى ، وإغفالنا الجانب الثقافى والحضارى .

وفى ابعد او اقرب نقطة الى الخليج ليست هذه النظرة السائدة هى نظرة المواطن العادى الذى لا يهمه ان يعرف كل شىء خارج دائرة حياته وإنما نظرة الكثير من المثقفين العرب والأجانب على حد سواء . فلا ياتى ذكر الخليج إلا فى كتب السياسة والاقتصاد والتخصص فى التاريخ او الجغرافيا . اما الكتب المعنية بالفنون والآداب فانها تقوم بمسح شامل لكل الدول العربية وتاتى على ذكر ادق واصغر تفاصيل نشاطها الثقافى ولا تكاد تشير الى هذه المنطقة حتى بكلمة واحدة . والى ما قبل بضع سنوات لم يحدث ان كلف باحث عربى نفسه باعتبار الادب في الخليج احد الروافد الصغيرة لأدبنا العربى ، لأنه ببساطة لا يعلم بوجود اثر لهذا الأدب بهذه المنطقة العامرة بشعرائها وادبائها ومفكريها ، مكتفيا بالاشارات التعميمية الواردة فى كتب التاريخ الادبى الى شعراء الجزيرة العربية القدماء ، والمجلات والدوريات العربية التى تتهافت الآن على نشر اى كلام من ادب ابناء الخليج هى نفسها التى كانت تلقى بالجيد منه الى سلة المهملات حتى الستينات واوائل السبعينات لعدم القناعة مسبقا بأن المنطقة يمكن أن تفرز ادبا ذا قيمة فنية ، وكان حلم الشاعر او القاص ذلك الوقت هو أن تنشر له مجلة ادبية فى القاهرة أو بيروت أو دمشق . وظل ذلك الحلم الى ما قبل سنوات قليلة صعب المنال لم يتحقق إلا فى الملاحق الدعائية أو الأعداد الخاصة التى تصدرها المجلات الأسبوعية وتقبض ثمنها مقدما ، وضمن تحصيل الحاصل . فى الوقت الذى كانت الحركة الأدبية فى الخليج تبحث فيه عن متنفس لائق للنشر .

إن اية محاولة للتاكيد على وجود وقيمة الفكر والأدب والفن عندنا وامتداده الى ابعد الجذور فى الحضارة الانسانية لجديرة فى هذا الوقت بأن تعضد وأن ترفد بكل ما يدعـــو الى تاصيلها واستمرار فاعليتها . وستطلع على القراء العرب هذه الأيام مطبوعة خليجية جديدة باسم (اوراق خليجية) تصدرها مجموعة من مثقفى دولة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع دار الكلمة للنشر والتوزيع فى بيروت باشراف الشاعر حبيب الصايغ . من المؤمل ان تعنى هذه المطبوعة الجديدة بكل ما يمت الى الخليج بصلة من فكر وفن وأدب وتاريخ واجتماع ، محاولة ان تنقل الى القراء العرب اولا الوجه الآخر للخليج العربى

وعلى الرغم من كثرة المطبوعات المشابهة الشهرية والدورية والفصلية الصادرة فى البلاد العربية ، وتنوع اهدافها واتجاهاتها فان اية مطبوعة ثقافية خليجية جادة هى بلا شك خطوة متقدمة للوقوف فى وجه موجة الالهاء والتسيب والخواء الثقافى السائدة الآن ، وعلامة مضيئة فى مجتمع بدأت تحكمه المادة وتجرى به عجلات الربح التجارى السريع .

وأيا كانت عوامل النجاح أو مبررات الفشل فى مثل هذه الطموحات فسيظل مجرد الهاجس الأصيل فى تاكيد وجودنا الثقافى هو الأمل فى التشبث بكل محاولة والعمل على انجاحها واستمرارها والبدء من جديد متى ما خانتها الظروف .

● تأكيد وجودنا الثقافي الجاد هو الأمل في مواجهة هذا الخواء الفكري

● أيها السادة : ما يطلبه هذا الناشر أقل من قيمة عجلة سيارة

■ السيد عبد الودود وقصص العرب

● من خلال الهاتف حدثني الرجل بلغة عربية مشوبة بلهجة مصرية صميمة طلب مني مقابلته لاستلام رسالة يحملها إلي من احد الادباء العرب . طلبت منه اسم الفندق ورقم الغرفة ، وودعته على امل لقاء الغد .

● في احد فنادق الدرجة الممتازة ، حيث الرواد عادة من رجال الأعمال واللصوص والخبراء ومدعي الخبرة ، تقدمت من موظف الاستقبال استفسر عن اسم نزيل الغرفة المقصودة ، لانى لم اساله عن اسمه وهو لم يصر ساعتها على ذكره ، فاجابني الموظف بان نزيل الغرفة انجليزى اسمه :..

ولم أدعه يكمل . قلت له : لقد اتصل بى أحد الاخوة العرب واعطانى رقم هذه الغرفة فاما أن يكون من مصر او من السودان ، وليس اجنبيا ، فاكد لي الموظف معلوماته .

● وقفت برهة أراجع الرقم واسم الفندق المكتوب فى مفكرتى ، ثم توجهت الى الهاتف الداخلى وأدرت رقم الغرفة فجاءنى ذلك الصوت العربى نفسه ، واخبرته باننى فى انتظاره بالصالة حسب الموعد .

● جاءنى رجل اجنبى وقور مى حوالى الخمسين بعيون زرقاء نافذة ، مد يده إلي باسما : اسمى دينيس جونسون ديفيز . لقد قابلت صديقك فلان وأعطانى اليك هذه الرسالة ، هل يمكن أن نتحدث بعض الوقت ، إننى مهتم بترجمة الاعمال القصصية العربية الجيدة الى لغة الأدب الانجليزى الحديث ومحاولة نشرها والتعريف بكتابها على نطاق واسع الى قراء الانجليزية فى كل مكان ، أعلم أن لديكم بعض القصص الجيدة ، لكنى لا أستطيع أن أحيط بكل ما صدر من قصص أريد أن ترشح لي احسن ما عندكم فى الخليج ، هل يمكن ان تساعدنى ؟

● ودعت الرجل ووعدته خيراً فى اليوم التالى . وبدأت أراجع الاسم فى الذاكرة ... دينيس جونسون ديفيز .. لقد قرأت شيئاً عنه أو شيئاً له ، لقد مر علي هذا الأسم ، لكن أين ؟ وبدأت اقرأ رسالة صديقى ، واستطعت من خلالها ان اهتدى الى معرفة اكثر بهذا الرجل .

● استعرضت مكتبتي فوجدت للرجل كتابين بمشاركة الدكتور عز الدين ابراهيم – لم اقرأهما – فى ترجمة الأحاديث القدسية ، وهو ضرب من الأحاديث التى تروى عن النبى ، فيسندها الى الله عز وجل وبسبب هذا الاسناد اكتسبت هذه الأحاديث صفة القدسية ، الأول بعنوان «الأربعون النووية» للامام النووى ، والثانى الأربعون القدسية ، صدرا عن دار القرآن الكريم بدمشق وبيروت . وبدأت أقلب فى بعض المجلات العربية .

● «فى عام ١٩٧٦ ، إذ كنت أستاذاً زائراً فى جامعة كاليفورنيا ببيركلى قررت لصف من طلاب البكالوريوس والماجستير ، مجموعة من القصص العربية المعاصرة ، التى اختارها وترجمها دينيس جونسون ديفيز ، ونشرتها مطبعة جامعة اكسفورد ، وذلك فى دورة عن «الأدب العربى مترجماً» ، أى أن الطلاب فيها كانوا فى غنى عن معرفة العربية ، وقد كان رد الفعل مثيراً حقا ، من طلاب هم على قدر كبير من النضج والذكاء ، ففى البحوث التى كتبوها عن بعض هذه القصص ، كانت دهشتهم رائعة ، لأن يكتشفوا قصاصين كما قال احد الطلاب ، لو لم يعرفوا انهم عرب ، لحسبوا ان قصصهم جاءت عن قلم غوغول أو مكسيم غوركى ، وقال احد الطلاب عن احدى القصص ، انها بدت وكأنها مجتزأة من رواية لكاتب من أعظم ما قرأ ... الخ» قرأت ذلك للاديب العربى الكبير الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا فى مجلة الأسبوع العربى عدد ١٠٦٣ الصادر بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٠ .



دينيس جونس ديفيز

● ذهبت لمقابلة الرجل مرة ثانية ومعى قائمة باسماء كتاب القصة القصيرة فى الخليج العربى الذين اصدروا مجموعات قصصية ، ونسخا من المجموعات القصصية التى اخترتها حسب وجهة نظرى لتمثل التيارات والتوجهات الحديثة فى القصة القصيرة بالخليج ، وسلمته عنوانى رابطة الأدباء الكويتيين وأسرة الأدباء والكتاب فى البحرين ، لمزيد من التفاصيل . وبدأ حبل الود يجر الحديث ...

● حدثنى الرجل بإخلاص وتعاطف وحماس للعرب ولآدابهم وحضارتهم العريقة . فهو من مواليد كندا عام ١٩٢٢ يحمل الجنسية الانجليزية ، درس فى جامعة لندن ثم كامبرج ، وتتلمذ على يدى الشيخ محمد محمود جمعة المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ويدى المستشرق المشهور نيكلسون وحاز

المؤتمر العادي الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربي الذي إنعقد بالدوحة فى فبراير ١٩٨٠



درجات علمية عالية فى اللغة العربية والاسلاميات . بدا اهتمامه بترجمة القصص العربية الحديثة الى الانجليزية عام ١٩٤٢ ، سافر الى مصر عام ١٩٤٥ ليعمل مدرساً للأدب الانجليزى والترجمة العربية .. ومايزال.

● نشر على حسابه الخاص ترجمة لمجموعة قصصية مختارة لمحمود تيمور عام ١٩٤٦ ، بالتجربة العملية ايقن بان الجهد الفردي محدود الفاعلية ، فاتفق مع دار جامعة اكسفورد للنشر بلندن على اصدار مجموعة من القصص العربية الحديثة المترجمة بالاضافة الى مسرحية (يا طالع الشجرة) لتوفيق الحكيم التى اعتبرت حين صدورها اول مسرحية عربية تترجم الى الانجليزية .

● لم تتطوع اية جهة عربية لشراء نسخة واحدة من هذه الترجمات .

● عندما ترجم (عرس الزين) للطيب صالح وعرض نشرها على نفس الدار اعتذرت لانعدام تشجيع خطواتها الأولى من قبل أجهزة الاعلام والثقافة العربية . انتقل الرجل للتعاون مع دار (هاينمن) وهى ثانى أكبر دار نشر بريطانية ، فنشرت له (عرس الزين) ضمن سلسلة كتاب افريقيين ، وكذلك (موسم الهجرة الى الشمال) لنفس الكاتب .. وتوالت الاصدارات (السلطان الحائر) ، (مصير صرصار) ، (أغنية الموت) ضمن نفس السلسلة . آخر كتاب تحت الطبع الآن عن الشاعر الفلسطيني محمود درويش .. مختارات من اشعاره ودراسة مستفيضة عن ادب المقاومة الفلسطينية .

● استمرت الدار فى نشر اربعة كتب مترجمة عن الأدب العربى كل عام ، ستضطر هذا العام الى تخفيضها لكتابين فقط ، وربما فى العام الذى يليه الى كتاب واحد .. ثم تتوقف ، وتضرب عرض الحائط بكل ما هو عربى إزاء المصاريف التى تتحملها لتمويل مشروع الترجمة والطبع وتؤثر السلامة على التصدي غير المباشر للدعاية الصهيونية والعداء السافر ضد العرب فى أوربا .

●كانت الدار تطبع من كل ترجمة ثمانية آلاف نسخة يقرأ كل نسخة حوالى خمسون قارىء ، حسب المعدل العالمى لقراء اللغة الانجليزية .وتذكرت شيئاً ..

● .. «إن وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية المجتمعين فى مؤتمرهم الخامس فى الدوحة بدولة قطر (فبراير ١٩٨٠) ... بعد ان أجروا مشاورات ومداولات مستفيضة حول الحملات الاعلامية الجائرة التى توجه الى الأمة العربية وبصورة خاصة الدول العربية فى منطقة الخليج من قبل أجهزة الاعلام الأجنبية ، فانهم يرون أن على الدول العربية واجباً قومياً هو القيام بجهود اعلامية منسقة وفى اطار نظام اعلامى عربى جديد يوضح التوجه الحقيقى الصادق لشعوب الأمة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة والتقدم الانسانيين ومناصرة الحقوق المشروعة وترسيخ الاستقرار ونشر الرخاء والسلام فى ارجاء العالم » (من اعلان الدوحة) .

● قلت لصاحبى : ما الذى يحتاجه مشروعك كي يستمر بنفس نشاطه السابق ؟ قال وهو يحدق فى وجهى مبتسماً ، ويمس جرحاً ما بداخلى : إننى احاول ان اقنع بعض الجهات العربية رسمية أو اهلية بان تشترى من الناشر مباشرة كل عام عدداً من النسخ مساهمة فى تغطية الخسائر ، لا اريد أكثر من ذلك .

- هل لاقيت تجاوباً من أحد ؟

- إننى اتعثر ، ولم تسنح لي فرصة لتوصيل ما اريد .. انكم هنا مشغولون جداً ، هل تعتقد بان ما اطلبه كثير ؟

- لا ، اتمنى لك التوفيق .. يا سيد ديفيز .

- عبد الودود ، منذ أكثر من ثلاثين سنة واخوانى وأصدقائى وتلامذتى فى مصر يصرون على تسميتى عبد الودود .

● أيها السادة ، إن ما يطلبه الرجل من كل دولة عربية أقل من قيمة عجلة سيارة.



جو جول

مكسيم جوركى





محمود تيمور

توفيق الحكيم





الطيب صالح

محمود درويش

في وداع السيدة الخضراء

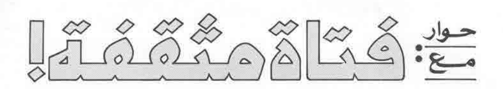


عندما يُغرقكِ المَدُّ
ويمحو ذكراكِ الأسفلتُ
وتبقينَ بجوفِ التُربةِ السَّمراءِ
عِرْقاً واهناً .. ذكرى حياةْ
لملايينِ البواسقْ
سيّداتِ الشَّجرِ المُعطِي ، وكُنْتِ امرأةَ البحْرِ ،
يذوبُ البحْرُ وجْداً عندما يجثو كليماً
يَغسِلُ الأقدامَ حُبّاً .. ثُمَّ يرحلْ
فإذا عادَ شرِبْتِ دمْعهُ المالِحَ ، كُنْتِ خادِمَ
البيتِ ، ملاذَ المُتعبِ المُضنَى ، وأُمَّ الفُقراءْ
حيْثما امتدَّتْ على الأرضِ فلاةْ
ثابِتٌ أصْلُكِ ، فرْعاءُ ، رذاذُ الغيْمِ يُقرِيكِ
سلامَ النَّهْرِ والبحْرِ وأجْرامَ السَّماءْ

ما الذي يُمْكنُ للطّفلِ الذي يَغفُو على حُضْنِي أقولْ
عِنْدَما يلْمحُ ظِلّاً لبقاياكِ بأطْرافِ الحُقولْ
ويُغنّي بعْضَ ما جُنَّتْ به الدُّنيا
وما تَتْ مِنْ تباريحِ أساهُ الشُّعراءْ

ما الذي يُمْكِنُ يا سيّدتي الخضْراءُ؟ والدُّنْيا تُغادِرُ
لوْنَها الأخْضَرَ ، والأرْضُ التي كانَ لها عُرْسُ البِذارْ
قتلَتْ أشْواقَها الحَرَّى
وقالَتْ للرِّجالِ الجُوفِ : هاتُوا
كُلَّ ما تبْغونَهُ أسْمنْتَ وقارْ.

علي عبد الله خليفة



د. يحيى الجمل

لم تكن مجرد فتاة جامعية وإنما كانت اكثر من ذلك سعة ثقافة وقوة شخصية ورغبة صادقة فى فهم الحياة وزيادة المعرفة ، وكانت إلى جوار تفوقها فى دراستها الجامعية تحب الاطلاع وتهوى القراءة وتحاول كتابة القصة وتتذوق الشعر ، ولم يكن إطلاعها قاصراً على العربية ، بل كانت ذات باع واسع فى معرفة اللغة الانجليزية والاطلاع على ادابها ، ولذلك كله فان الحوار معها ـ رغم فارق السن الكبير وما قد يكون من فوارق اخرى كثيرة ـ كان يشعرنى بغير قليل من المتعة والراحة فى وقت عز علينا فيه معشر الأساتذة أن نجد بين طلابنا والقريبين منا من يحسنون حتى إلقاء السؤال او الاستماع إلى جوابه .

وكانت إذا بدأت حواراً حول موضوع تحرص على ان تحدد هدف الحوار ولا تحب أن تقفز من موضوع إلى اخر دون ان تستوعب ما بدأته ، او دون أن يصل النقاش إلى غاية ، وكانت تضجر من زملائها وزميلاتها عندما ينتقلون من موضوع إلى آخر لاصلة له به أو عندما يطرحون أموراتبدو لها تافهة لا تستحق مجرد الاثارة فضلا عن المناقشة .

جاءتنى يوما تزف إلى نبأ حصولها على منحة علمية تتيح لها ان تسافر إلى بلد من بلاد الحضارة تقضى فيها عاماً جامعياً ، وكان وجهها ينبىء عن سعادة غامرة ، وهى تسالنى الرأى فى امر سفرها واغترابها عن اهلها ووطنها لمثل هذه المدة الطويلة لأول مرة ، وزادت سعادتها عندما وافقتها على قبول المنحة وشجعتها على السفر قائلا إنها إضافة ضخمة يا ابنتى لحياتك وتجربتك وثقافتك . اذهبى على بركة الله ولكن لا تنفصلى عن جذورك واصولك . اذهبى يا ابنتى وحاولى أن تحصلى من العلم قدر ما تستطيعين وحاولى ايضاً قبل ذلك وبعد ذلك أن تثرى حياتك وان تعمقى جوانبها نتيجة لاحتكاكك باقوام آخرين وبانماط من السلوك والتفكير مختلفة عما تألفين .

وكنت أعرف انها خرجت لتوها من تجربة فاشلة من تلك التجارب التى يمر بها الشباب فى مثل سنها ، ويحسبون أثناءها أن الكون كله قد توقف عند تلك التجربة حتى إذا انتهت إذا بهم يفاجاون أن الكون هو هو لم يتغير فيه شىء قط ، وأن هذه التجربة لا تزيد عن أن تكون نقطة مضافة فى تيار الحياة المتدفق .

الحياة السعيدة

وانتقل بنا الحديث من موضوع إلى موضوع ... إلى أن سالتنى :

ـ ما رأيك فى الحياة السعيدة على ضوء ما مر بك من تجارب الحياة ؟

وانصت غير قليل ، ثم قلت لها :

هل تقبلين أن أدخل على سؤالك نوعاً من التعديل اليسير ؟

قالت : لا ضير ، ولكن ما هو ذلك التعديل الذى تريد أن تدخله على السؤال ؟

قلت لها : دعينا نتحدث عن الحياة الموفقة بدلا من الحديث عن الحياة السعيدة .

وأجابت : لا باس ولكن ما الذى يدعوك إلى هذا ؟ عهدى بك انك حريص الحرص كله على انتقاء اللفظ واختيار الكلمات ، ولابد أن يكون لذلك التعديل هدف تقصد إليه من ورائه .

نعم ، يا ابنتى ، ذلك أن الحديث عن السعادة أمر يضرب بنا فى غيابات بغير حدود ، وأنا أعرفك ، تحبين الكلام الواضح المحدد ، وما أظن أن الحديث عن السعادة والحياة السعيدة يمكن أن يكون حديثاً واضحاً محدداً ، إذ كيف يكون الوصف واضحا إن لم يكن الموصوف كذلك ؟ ما اكثر ما اختلف الفلاسفة والمفكرون حول معنى السعادة ولا يزالون مختلفين . قد اقول لك ـ وهذا هو رايى على اى حال ـ إن السعادة تقوم على أمرين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ومع ذلك فهما وثيقا الارتباط : الشعور بالرضا والشعور بالاستغناء أرأيت يا ابنتى اننا منذ البداية سنضرب فى غيابات يتوه فيها أمثالنا ممن عركوا الحياة وعركتهم الحياة ، فما بالك انت ، وانت تدلفين ببراءة على عتبات الحياة ؟ اليس الأولى بنا أن نتحدث عن الحياة الموفقة ؟ إننا عندئذ سنكون أقرب إلى الأرض وإلى واقع الحياة . واحب أن اتاكد انك تعنين بالسؤال الحياة الموفقة بين الزوج والزوجة ، اليس هذا هو ما تقصدين من وراء السؤال ؟ .

قالت ، بل هو ذلك ، وإن لم أرد أن أضع السؤال على هذا النحو المكشوف ، وآثرت أن أطرحه عاماً بغير تحديد . قلت لها : لك العذر ، ففى مثل سنك لا يطرح

السؤال إلا على النحو الذى طرحته ، ولا يفهم إلا على النحو الذى فهمته ، فهو إذن يا ابنتى سؤال لا ينقصه الوضوح ولا التحديد .

والحق معك يا ابنتى ، فالحياة الخاصة الموفقة هى مطلب كل فتى وفتاة بل هى مطلب كل رجل وكل امراة فى كل مكان ومع ذلك فما اكثر ما نرى حولنا من حيوات ممزقة ومن كائنات تعيش مع بعضها لا يكاد يجمع بينها شىء على الاطلاق . وما اكثر ما ينجم عن ذلك من تعاسة وإحباط .

دعائم ثلاث

اتصور يا ابنتى ان الحياة الموفقة تقوم على دعائم ثلاث ، إن اجتمعت أدت إليها ، وإن اختفت عز معها التوفيق ، أما هذه الدعائم فهى : الاحترام المتبادل ، والفهم المتقارب ، والمقدرة على التسامح .

الاحترام المتبادل يجعل لكل من الطرفين قيمة فى نظر صاحبه . يجعل العلاقة بين طرفين حقاً . تصورى انك تعيشين مع إنسان لا تجدين فى نفسك احتراماً له ، إنك بالضرورة لن تجدى له فى نفسك مكاناً ، ومن ثم لن تقـــوم علاقـــة حقيقيـة بينكما ، وهــذا الاحترام المتبادل لابد وان يستقر على قيم موضوعية ، يجدها كل طرف لدى الطرف الآخر .

والعلاقة السابقة على الحياة الزوجية بالغة التاثير على هذه الحياة عند قيامها ، وهناك أمور لا تنسى ، وهناك أمور تحفر فى الذاكرة حفراً ، وقد تتصرف الفتاة قبل الزواج بخفة او بحسن نية أو نتيجة الثقة الزائدة تصرفات معينة مع زوج المستقبل ، فاذا بهذه التصرفات تكون هى بذاتها سبباً لعدم وجود احترام الفتى للفتاة ،او العكس ، ولابد ان يلقى هذا بدوره ظلالا كئيبة على الحياة الزوجية قد تؤدى إلى تحطيمها تحطيماً .

الاحترام المتبادل يا ابنتى اساس صلب للحياة الموفقة ، واوشك ان اقول إن هذا الشعور ضرورى للاستقرار النفسى عند الفتاة اكثر منه عند الفتى ، وعلى ذلك فقد يكون هذا الشعور مطلوباً عندها بدرجة أكبر مما هو مطلوب عند صاحبها وقد يكون ذلك احفظ لحياتها المقبلة ، واصح نفسيا للاطفال عندما يجيئون إلى هذه الدنيا . إن الشعور بالأمان لدى الطفل احد مصادره الكبرى : صورة الأب والأطفال مرهفو الشعور ، إلى درجة قد لا يعيها معشر الكبار ، وإحساس الطفل باكبار امه لأبيه واحترامها له ، يعمق الشعور بالأمان لدى الطفل ، ذلك انه فى العلاقات النفسية فان الأب مصدر الشعور بالأمان أساسا ، ذلك على حين ان الأم هى مصدر الشعور بالحنان ودفئة الأمران لازمان لكى ينشا الطفل نشاة نفسية سوية .

أرأيت يا ابنتى ان هذا الاحترام المتبادل أساسى وجوهرى للحياة الموفقة

الدعامة الثانيــة

ـ حقاً ما تقول ، لقد انتهت تلك التجربة السريعة التى مررت بها لاننى احسست بعد فترة قصيرة اننى لا استطيع ان اجد ما أحترمه لديه احتراماً حقيقياً . ثم ماذا عن الدعامة الثانية ؟ .

ـ مساحة من الفهم المشترك يا ابنتى .

لابد من قدر من اللقاء الذهنى على أمور واهتمامات مشتركة . لا أقول إن الأفكار يجب أن تكون متطابقة ، فان ذلك ادخل فى باب المحال ، ولكنى اقول إن هذه الأفكار يتعين الا تكون متناقضة تناقضاً كاملا إذا كنت يا ابنتى ممن يهتمون بالقراءة والاطلاع مثلا ، فلن تجدى راحة مع رجل يكره الكتاب وينفر من الاطلاع . وإذا كنت ترين الحياة هى السهر والنوادى والمجتمعات فانك لن تجدى الراحة مع رجل يحب الهدوء والبيت ويميل إلى العزلة ، والعكس أيضاً صحيح . وإذا كنت ممن يحبون جمع المال واكتنازه ، فانك لن تجدى نفسك مع رجل كل همه ينصرف للبحث العلمى مثلا هذا هو ما أعتقد يا ابنتى ، وجود مساحة من الأرض الذهنية المشتركة ، مع يقينى أن التطابق غير ممكن ، بل قد يكون غير مرغوب فيه ، حتى لو كان ممكنا ، ذلك أن التعدد فى المواهب يعطى الحياة نوعا من الثراء والتكامل .

قالت : لكانك تعنى ما كان من أمر تلك التجربة العارضة التى بدأت بنوع من الاعجاب العارض ثم تكشفت ، فاذا بنا نجد ان كلا منا يعيش فى عالم مبتوت الصلة بعالم الآخر واهتماماته .

القدرة على التسامح

أما الأمر الثالث يا ابنتى فهو القدرة على التسامح . إذا كان فى امكانك أن تتصورى إنساناً كاملا ، إنسانا بغير



حوار مع: فتاة مثقفة!

اخطاء ، إنسانا بلا نواقص ، فقولى إن التسامح فى الحياة غير ضرورى ، أما حياتنا هذه فلا يوجد فيها من لا يخطىء ، ولا يوجد فيها الكمال ، لأنها بطبيعتها محدودة وناقصة ، فانها لا يمكن أن تسير وتستقيم بين اثنين إلا إذا كان لدى كل منهما الرغبة والمقدرة على التسامح احيانا .

هذه يا ابنتى فيما أرى دعائم الحياة الموفقة ، إن اجتمعت كان من نتاجها حياة رضية هنية تنتج خيرا ، وان فقدت تهدد تلك الحياة من المخاطر بقدر ما نفقده من العناصر الجوهرية .

قالت : أوشك أن اتفق معك فى كل ما قلت ، ولكنى اخالك نسيت امرا خطيرا بالغ الخطورة .

ـ وما هو ذاك الأمر الخطير ؟!

ـالحب . الحب يا سيدى الأستاذ . هل تتصور الحياة الموفقة تقوم بغير حب ؟

لقد كنت انتظر ذلك السؤال وكنت قمينا أن اتعجب لو لم تساليه .

ـ الحديث عن الحب يا ابنتى مثله مثل الحديث عن السعادة يدخل بنا إلى الغيبيات من اوسع أبوابها ، الحب يا ابنتى هو أعمق ما فى الحياة ، وأغلى ما فى الحياة ، وأروع ما فى الحياة ، وهو لذلك كله ، ومن أجل ذلك كله عصى على التحديد والتعريف . وعندما اصف الحب على هذا النحو ، أعنى الحب الناضج ، ولا أعنى تلك الضرورات التى يحس بها الشباب تثور احيانا ثم تمور وكانها ما كانت ، وهى أمور طبيعية فى حياة الشباب لابد وأن تكون ، ولكنها يا ابنتى ليست هى الحب ، وأخشى أن أقول لك إن الحب نفسه ذلك الاحساس الرائع والعميق ، يصعب أن يوجد ويستحيل أن يستقر وأن يستمر بغير احترام متبادل وفهم مشترك ومقدرة على التسامح بين الحين والحين .

وثقى يا ابنتى أنه ليس احب إلى نفسى من أن أراك أنت ولداتك تعيشين تلك الحياة المرضية الموفقة التى يفتقدها فى دنيانا هذه كثيرون .. كثيرون .

د. يحيى الجمل

الترويض

مريد البرغوثي

تقول : الفضاء الفضاء
وتركض نحو الشباك !

الا تستطيع التلاقى بنفسك ؟
كل المرايا تكذبك الآن
لا أنت ذاك المزنر بالشمس
والمتلالىء كالبحر عند الشروق
ولا انت كالصورة المطمئنة فى صفحة فى الهوية
كل ملامحك اليوم مسلوبة
والمسافات زائفة من خطاك .
لقد حددوك كان الفضاء حواليك سور
وقد حاصروك كان الخلاء حواليك يوم النشور
وقد أفردوك كان البلاد خلت من سواك !

ومازلت تستهجن الحادثات
وتبكى كطفل نجا بعد قتل ذويه

وتسمع عبر المسافات من غابة العنف صوتا
تصيح : «هو الصوت»
لكنما
يجيء مروضك المتبهرج
بالسوط ، والسكرية ، والمكر ،
والزركشات المضيئة فى ضجة العازفين
وفى بهجة المذبحة :

على عنق النمر سلسلة من ذهب
على لبدة السبع شال الحرير
على قدم المهر خلخال فضه

تساقطت الآن كل الصفات عن الوحش
إذ اتقن الركض بين الاطارات
حتى تمكن هذا المروض ان يعتليه
فما عاد فى قاعة الضوء وحشا
وإن عاد للغاب اضحى فريسة من يشتهيه !
روضت
ـ لم أكتهل ـ
غير أنى أضعت صباى
تساقطت الآن عنى خصالى وأوصاف قلبى
فبت أرى فى المرايا سواى !
واستهجن الحادثات
وأبكى
كشيخ نجا بعد قتل بنيه

ومازلت أسمع صوت المروض
مبتهجا
وتعاليمه مستجابه
يروض وحشا ، فيحرق غابه !

مازلت أسمع عبر المسافات من شجر العنف
صوتا ، يحاول أن ..
يقترب .

حسان عطوان

ملامح الشعر الخليجي القومي في مرحلة ما قبل ظهور النفط

لا أظن أن الدراسة المتأنية للشعر العربى فى الخليج ، تكتسب توازنها ، ما لم تقف وقفة موضوعية أمام الأطر التاريخية ، التى شكلت حضارة هذه البلاد العربية الاسلامية ، الضاربة عمقاً فى جذور الزمان ؛ الى حقب قد لا تعيها الذكريات ؛ فى محاولة للربط الموضوعى بين (ثقافة الجزيرة العربية والخليج) من جهة ، كأساس ومنبع ؛ وبين ثقافة الشمال العربى وغربه ؛ فى المساحة الممتدة ما بين (العراق ، والشام ، ومصر والشمال الأفريقى) من جهة ثانية .. إذ لا معنى من فهم الشعر العربى فى الخليج والجزيرة ـ خارج إطار المعطيات الحضارية العربية الاسلامية الواحدة .. وكل دراسة أو فهم خارج هذا الواقع الموضوعى ؛ يعد خاطئاً ومبتسراً ...

إذاً .. لا مناص من إطلالة سريعة ، ومكثفة .. على العمق الثقافى للخليج ...

الجذور العربية فى الخليج

توافق المؤرخون ان «بلاد العرب» الأولى ؛ هى تلك البلاد المترامية من (سورية) وبلاد ما بين النهرين فى الشمال ؛ وفى هذه الرقعة المترامية الأطراف تنامت حضارة مزدهرة .. منها (الأكادية ؛ والبابلية والآشورية والفينيقية فى الشمال) ؛ و (المعينية والسبئية فى الجنوب) .. وخلقت هذه الحضارة فى نهاية الأمر امة عربية متجانسة ؛ وكان الشعر قبل الاسلام .. عاملاً وحد العرب ثقافياً ونفسياً وهيأهم لقبول الاسلام وتبنيه ؛ والذى نزل بلغة عربية (قرشية) صافية .. إذ كانت تلك الأقوام العربية الأولى تتخاطب بالشعر وتتفاهم به ؛ وتضمنه بوحها وشجونها ؛. وكانت الجزيرة العربية مفتوحة دائماً للتمازج والاندماج الحضاريين منذ القديم إذ أشعت عليها أنوار التأثيرات المصرية ؛ والبابلية ؛ والبيزنطية ؛ هذا الاتصال الحضارى .. جعل الخليج غير معزول عن التفاعل مع الحضارات الانسانية منذ القديم .. والى أزمنة لا تعيها الذكريات .

بلاد العرب مهد الاسلام

- لا معنى من فهم الشعر العربي في الخليج خارج إطار الثقافة العربية الإسلامية
- تـألق الشعر العربي في الخليج .. عبر أصوات شعرية خالدة
- استجاب الشعر القومي الخليجي لمخاضات الأمة العربية وعبر عن ظواهرها العامة

كان الخليج العربى ؛ على اتصال وثيق بحضارة (السومريين والآكاديين) منذ أقدم العصور ، يكاد يرجع الى (٣٠٠ ق.م) حيث نشأت صلات تجارية بين السومريين والاكاديين والبحرين ، لاستيراد النحاس والخشب من منطقة (مكان) ..

ونتيجة لازدهار الحضارة فى الألف الأولى قبل الميلاد ؛ فى جزر اليونان وحوض المتوسط وبروز الحاجة الى مواد التجارة الأولية من جنوب بلاد العرب ... فقد أصاب المنطقة العربية ثراء كبير ؛ وظلت هذه المنطقة معبراً تذرعه القوافل؛ ولا يخفى ما لهذا الوضع من آثار اجتماعية وثقافية واقتصادية ... حتى سميت هذه البلاد (ببلاد العرب السعيدة) .

قال المؤرخ اليونانى الشهير (هيرودتس) عام (٤٠٠) ق.م «إنها اغنى مكان فى العالم وأكثره ثراء ورخاء .. وان فى العاصمة السبئية (مارب) ؛ قصوراً لها أبواب من ذهب مليئة باوانى الفضة مما جعل المنطقة العربية . مطمعاً مهماً للغزاة» .

غير ان العرب لم يفقدوا سطوتهم .. فظلت مملكة (الحيرة) جنوب العراق قوة ضاربة فاسست دولة اللخميين فى المنطقة الممتدة بين (الامارات العربية) الآن وبادية الجزيرة الفراتية ، على حفافى الفرات الأعلى ، غير بعيد عن مدينة (الرقة) السورية الآن أو (الرها) .. كل هذا يقطع لنا بالدليل الأكيد . أن (الخليج والجزيرة العربية وبلاد العرب الأخرى) شكلت وحدة ثقافية وفكرية . نابعة من جذور حضارية واحدة ..

الاسلام والوحدة الثقافية

اذا تجاوزنا العصور الموغلة فى القدم .. حيث يتناهض الاسلام .. ليوحد بشكل جذرى القبائل العربية فى بوتقة وإطار فكرى وسلوكى واحد ؛ نجد شعراء من العرب المسلمين .. يشيدون بالاسلام .. وفتوحاته فيما بعد .. وليسهم الشعر ايضاً جنباً الى جنب فى توطيد أركان الدولة العربية .. فتقرأ لشاعر (خليجى) من قطر .. وهو «قطرى بن الفجاءة» كان خارجياً إذ يقول :

أقول لهـا وقد طـارت شـعاعاً
من الأبطـال ويحـك لن تراعـى
فانك لو سـألت بقـاء يـوم
على الأجـل الذى لك لم تطاعـى
فصبراً فى مجـال الموت صبـراً
فما نيـل الخلـود بمستطاع
سبيل الموت غايـة كل حـى
فداعيـه لأهـل الأرض داع ..

وتعاقبت على الخليج .. دعوات فكرية .. حققت انعطافات مهمة فى الفكر العربى والاسلامى . منها (حركة الزنج)التى امتدت فيما بين (العراق والبحرين) بقيادة «على بن محمد» (٨١٦ ـ ٨٨٣ م) و (الحركة القرمطية) بقيادة (ابى سعيد الجنابى) وامتدت بين (البحرين ؛ والمناطق الشرقية وقطر) .. حتى سقوطهم امام (العيونيين ـ نسبة الى العيون بالاحساء) ..

ولا سبيل الى الخوض فى تفصيلات ادبية .. وشعرية فى هذه الحقبة ؛ إذ يكفى ان نعرف أعلام الشعر العربى فى الاسلام . والعصر الراشدى . والأموى . والعباسى .. لنقول : إنهم نتاج هذه الحضارة التى تنامت بكل معطياتها وتفاعل احداثها ؛ فيما بين الخليج والجزيرة وبقية البلاد العربية الأخرى ؛ التى انضوت تحت لواء الاسلام ..

وتوالت فيما بعد الغزوات الاستعمارية المعروفة على الوطن العربى الكبير ؛ فأصاب الخليج ما أصاب بقية الدول العربية . من استعمار (برتغالى) عام ١٥٠٨ م ؛ و (اسبانى) عام ١٥٨٠ م . و (هولندى ، وفرنسى ، وعثمانى) فيما بعد ..

إزاء كل هذه الظروف الطبيعية الواحدة فى الخليج والجزيرة العربية تشكلت ثقافة وحضارة واحدة ، وذات سمات متجانسة ومتشابهة إذا لم نقل متطابقة .. وهى فى التحليل النهائى ؛ غير منفصلة ولا بعيدة عن ثقافة بقية المناطق العربية الأخرى شمالا أو غرباً .. وما يدلل على ما نذهب اليه (تقارب اللهجات الشعبية) و (توحد الكيانات اللغوية العربية) .. وهم بالتالى قد كتبوا أدباً وشعراً وفكراً يتسم بطوابع مشتركة وملامح متقاربة وموحدة .. وقد طرقوا مواضيع واحدة لاشتراكهم فى بيئة ومناخ وتحديات وحدت رؤيتهم وفكرهم وأنشطتهم .. وهذا ما نجده فى شعر رواد الخليج ..

مع الرواد الأوائل

ولعل اية اضاءة لمرحلة الرواد من مثقفى وشعراء الخليج تقتضى من الباحث تقصى أولئك الشعراء الذين مثلوا المراحل التاريخية التى مر بها الخليج أصدق تمثيل .. من هؤلاء (عمرو ابن قميئة) .. وهو شاعر جاهلى من قبيلة بكر بن وائل ، وقد استوطن (البحرين الكبرى) .. واود ان انوه هنا ان البحرين الكبرى تطلق على الخليج من البصرة حتى عمان .. فيما يطلق اسم (اوال) على (البحرين الحالية) .. ومن أولئك الرواد (سعد بن مالك) جد الشاعر طرفة بن العبد ..

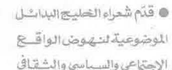
ومن شعراء الخليـج أيضـا .. (المتلمس) العبدى . و(المرقش الأكبر) المتوفى عام ٥٥٢ م و(المرقش الأصغر) و(المثقب العبدى) و(الممزق العبدى) وهو فحل من فحول شعراء البحرين ؛ و (الجمال العبدى) .. وهو شاعر بنى عبد القيس ؛ و (نفيل العبدى) و (ابنته) ولها مراثى شعرية عذبة . و (الخرنق) وهى أخت (طرفة بن العبد) .

ومنهم ايضا ظهر شعراء خليجيون ؛ فى العصر الجاهلى هم :

(توبة بن مضرس) و (مالك بن عروة) و (حريث بن الزبرقان) و (المفضل العبدى) و (المخضع) و (الحصين)

ملامح الشعر الخليجي القومي

في مرحلة ما قبل ظهور النفط



● قدّم شعراء الخليج البدائل الموضوعية لنهوض الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي

و (جدل بن اشمط) و (أسامة بن ربيعة) و (ثعلبة بن حزن) و (ربيعة بن توبة) و (منقذ بن هلال الشينى) و (هرم بن حيان) و (عمرو بن هبيرة) و (انس بن مساحق) و (معارك بن مرة) و (زيد بن خذاق) و (مسعود بن سلامة) و (مويلك ابن قابس) و (نشــبة بن عمــرو) و (النعمان بن حنظلة) و (عمرو بن مرة) و (عطارد بن حاجب) و (عمرو بن أوس ابن عصـية) و (مقـاتل بن مسـعود) و (سلمة بن حباية) .

وما إن حل الاسلام .. حتى رأينا من شعراء الخليج من الامويين والخوارج : (نصر بن نصير) و (الجارود بن بشر) و (محمد بن سهل) و (الصلتان العبدى) و (زياد الأعجم العبدى) و (الأعور الشينى) و (كعب الهجرى) و (رشيد الهجرى) و (ابن الجويرية) و (عمرو بن اسوى) و (ابن ثمامة العبدى) و (قطرى ابن الفجاءة) و (كعب بن جابر العبدى) و (عيسى الحظلي) .

أما فى العصر العباسى .. فمنهم : (يحيى العبدى) و (الاعصم القرمطى الشهير ، و (ابن أسلم العبدى) و (كشاجم) القرمطى ؛ و (علي بن المقرب العيونى) .. وهو من كبار شعراء الخليج (والشيخ ميثم) وفيما عاش فى الخليج شعراء فى العصور المتاخرة حوالى القرن العاشر الهجرى : (ابراهيم بن سلمان القطفى) و (حسين بن مفلح) و (عبد الرؤوف المسوسوى) و (محمد آل شبانة) و (ماجد الصادقى) و (ابو البحر جعفر الحظلي) و (محمد سعيد آل عمير) و (أحمد آل عبد القادر) المتوفى عام ١١٩٤ هـ ؛ و (حسين بن غنام) المتوفى (١٢٢٥ م) ؛ و (احمد بن مشرف) المتوفى (١٢٥٨ م) و (أبو بكر الملا) و (محمد بن أبى جمهور) و (يوسف بن احمد الدرازى) و (أحمد بن مهدى) و (علي حسن البلادى) و (حسن علي البدر) و (عبد النبى المانع) .

شعراء العصر الحديث
التيار الوطنى

يتميز شعر (أجيال ما قبل النفط) بتيارات متعددة منها (التيار الوطنى) والتيار (القومى الوحدوى) والتيار (الاصلاحي) .. والتيار (التأملى) ..

ولعل أبرز ملامح شعراء التيار الوطنى ؛ أنهم أسهموا بقسط وافر فى تسجيل وقائع الحروب والمعارك ؛ ومن أبرز أولئك الشعراء (عبد الجليل الطباطبائى) العراقي الأصل والمولد ، الكويتى المقام .. الخليجى الثقافة . وقد اضطلع بمهام سياسية مهمة فى (امارة العتوب) الناشئة بزعامة (آل خليفة) .. وانتقل بعدها عام (١٨١٠ م) من (الزبارة) فى قطر الى المحرق فى البحرين .. وفى عام ١٨٤٣ .. هبط الكويت بعد حياة عاصفة مضطربة . وتوفى عام ١٨٥٣ ميلادية .

ونجد أن من سمات شعر هذا الجيل ؛ كان المديح والوصف يغلب على خصائصه الشعرية العامة شىء من محاكاة الشعر الجاهلى . مع مسحة دينية واضحة ومن هؤلاء الشاعر احمد ابن مشرف .. إذ يصــف صــراع السعوديين مع غيرهم من القبائل بقوله:

لك الحمـد اللهـم ما نـزل القطـر
وما نسـخ الديجـور من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخــاء وزعزعــاً
على نعــم لا يستطاع لهـا حصر
فمن ذلك الفتــح المبيـن الذى لــه
تهلل وجـه الديـن وابتسم الثغـر ..
فناهيك من فتح بـه أمن الفــلا
وأسفرت البلــدان وابتهج الحضر
قبــائل عجمـان وفيهـا شـوامر
ومن لحســين ينتمــون وما بروا ..

وقد صور هذا الجيل بصدق ؛ واقع التناحر القبلى .. وشجعوا على تاجيج نار الحروب .. دون أن يكون لهم أى موقف اصلاحى .. أو رادع .. فها هو




خالد محمد الفرج

الشيخ محمد عبده

الشاعر يهدد جميع البوادى العربية والقبائل التى لا تنضوى للطاعة ..

فقـل للبوادى : قد نكثتم عهودكــم
وذقتــم وبال النكث وانكشف الأمــر
فعودوا الى الاسلام واجتنبوا الردى
وإلا فلا يؤويكم السهل والوعــــر
وننذركم من بعدهــا ان مــن عصى
فافسد أو شقّ العصا دمــه هــدر

ويتابع (الشاعر ابن عثيمين) هذا الخط . مادحاً : وهو المولود فى السلمية عام ١٨٥٣ من أعمال الخرج .. وتنقل بين الجزيرة العربية والخليج ؛ وعاش فترة الاضطرابات تلك مساهماً فى تغذية أوار الحروب والتطاحن ؛ وهو يقلد فى شعره مطالع أبى تمام كقوله :

العز والمجــد فى الهندية القضــب
لا فى الرسائل والتنميق للخطـــب
(عبد العزيز) الذى ذلــت لسـطوته
شوس الجبابر من عجم ومن عــرب
قال النزال لنا فى الحــرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثيا على الركـــب ..
فسار من نفسه فى جحفل حـــرد
وسار من جيشه فى عسكر لجـــب
صب الاله عليهم ســوط منتقــم
من كف محتسب للــــه مرتقب
فتح به أضحت الاحساء طاهـــرة
من رجسها وهى فيما مــر كالجنــب

التيار القومى

وشهدت منطقة الخليج العربى ، موجات عاتية من الغزو الاستعمارى (البرتغالى ، والاسبانى ، والعثمانى .. والبريطانى والفرنسى) واتخذت اشكالا متعددة ، وابتداء من القرن التاسع عشر حيث خرجت من القبضة العثمانية .. لتفرض بريطانيا هيمنتها على الخليج بعد فشل كل الوعود التى قطعتها بريطانيا للشريف حسين ، إذا وقف مع الحلفاء فى حربهم ضد العثمانيين والالمان .. فكان أن برزت بوادر انتفاضات جماهيرية فى الخليج .. وقد وجد

الشعراء انفسهم امام استعمار (فرنسى – انجليزى) .. وقد تاثر الشعراء باشعاعات ثورة مصر عام ١٩١٩ وثورة عام ١٩٢٠ فى العراق . وبدأت منطقة الخليج تغلى ، والشعراء الخليجيون يتحسسون ذلك بعمق . وبدأ القمع والكبت الذى مارسه الاستعمار يحفر قسمات واضحة فى الشعر . وكانت آراء جمال الدين الأفغانى و محمد عبده ورفاعة الطهطاوى تزيد فى ارادة الحرية وتوقظ همم الأدباء .. فكان عليهم أن ينادوا بمزيد من الاصلاح . والشورى ، وشيوع التعليم ، بمعزل عن الحركات التبشيرية الغربية ، أو آراء الغرب الاستعمارى . وتجسد ذلك فى الفترة ما بين الحربين العالميتين ١٩١٨ – ١٩٤٥ .

ولعل الدراسة ، تسوقنا منطقيا ، كى نقف عند ابرز شعراء هذا الاتجاه ، القومى .. وبداءة يمكن الاطمئنان الى نتيجة مفادها ، أن حدة التناحر والحروب قد تضامنت ، بين القبائل العربية .. امام الخطر الخارجى .. وبعد سيادة السعوديين على منطقة الجزيرة العربية .. ضد خصومهم .. فبرز شاعر ؛ يعد ظاهرة متميزة فى هذا الاتجاه القومى .. وهو الشاعر خالد الفرج .. اما لماذا يعد ظاهرة ؛ فلأنه تجاوز الشعر الوصفى المدائحى ؛ الى شعر قومى عام .. منطلقا من انتمائه الوطنى .. وقد واكب بعمق تفاعلات الأحداث السياسية فى منطقة الخليج والجزيرة العربية .. غير بعيد عن مرافقة ومصاحبة قادة العرب آنذاك ومنهم الملك عبد العزيز بن سعود . والشيخ عيسى حاكم البحرين ؛ وحين كانت الظروف تشتد وتدلهم كان يواجه بوعيه القومى .. وإذا ضاقت به السبل ، فانه لا يستسلم بل يرحل الى الهند ليصدر من هناك عام ١٣٤١ هجرية وعبر المطبعة التى انشاها اشعاره القومية المناهضة للاستعمار الذى كان هيمن على وطنه ، وقد اكسبه هذا القلق والهم القومى رؤية شمولية عريضة ، مكنته من رسم ملامح تلك المرحلة .. وقد رفدت مواقفه السياسية القومية ، ثقافة انسانية ..وانتصاراً للحق فى كل مكان ويعتقد أن لمعاناته تجربة الهند المريرة ضد الاستعمار – بحكم وجوده هناك – عام ١٩٢٢ – دوراً اساسياً فى بلورة حقده على الاستعمار .. وقد كتب عن غاندى الزعيم الوطنى الهندى :

قطعة من نسيج قطن خام
خشن حول هيكل من عظام
هزت الهند بالمحيط بهملايا
وما بينها من الأقوام
وحدت حولها الملايين ممن
خلقوا وسط بؤرة الانقسام ..
يتحدى القوى الكبيرة بالروح
فيعنو لأمره كل هام
بسلاح من التقشف والزهد
ويرمى قنابلا من صيام

انطلق خالد الفرج (١٨٩٨ – ١٩٥٤م) فى وعيه ؛ لواقع أمته المفككة ووطنه المجزأ .. فكان رائداً فى وعيه لدور الانسان فى مجتمعه إذ يرى أن عليه أن لا يحمل خنجراً يجرح به صدر الوطن ، بل عليه أن يقدم (البلسم والدواء) إذا مرض هذا الجسد :

يا قوم إن مرضت بكم اوطانكم
كونوا من (الآسين) لا العواد
ومتى أتت فرص القيام فشمروا
عن ساعد الاقدام باستعداد
(بالعلم) نقدر ان نعيد تراثنا
حتى نرى الأحفاد كالأجداد
(والاتحاد) هو الأساس وإنه
كالخنصر المبدوء بالتعداد !

ولأن خالد الفرج .. قد فهم موضوعيا ، أن تحديث المجتمع العربى لا يتم إلا عن طريق العلم والعقل سبيلا اوليا للخروج من شرنقة الموت .. يقول :

(والجهل) افة كل شعب فى الورى
كالقز تهلك نفسه حشراته
قد خدر الأعصاب فعل سمومه
وعلى جفون القوم ران سباته
كيف السبيل الى الرقى واهله
متخاذلون أباته وحماته ..

لقد كان اشعاع نهوض (القوميات) فى اوربا يؤثر فى فكر المثقفين العرب الرواد فى العصر الحديث .. وكان نجاح تجارب الوحدة الوطنية فى ايطاليا والمانيا وبقية الدول الأوربية .. يلقى آمالا جديدة على امكانية نجاح الوحدة العربية .. من هذه الخلفية الفكرية انطلق خالد الفرج فى مناداته للوحدة ... ولتكن البداية من الوحدة الوطنية . يقول :

هل فى الجزيرة غير شعب واحد
قد مزقت بيد العدا وحداته
من لى (ببسمرك) يضم صفوفه
وعليه تجمع نفسها أشتاته
شعب بنو (قحطان) ركن أساسه
وبنو (نزار) فى العلا شرفاته
بدر له هالاته : (احقافه)
و (خليجه) و (فراته) و (سراته)

ولعل خالد الفرج فى وعيه القومى ، انطلق من ان التحديات ، المطروحة امام العرب كانت واحدة ، وامام الخطر الواحد .. المتمثل بالغرب الاستعمارى الزاحف والمهيمن على الأرض العربية .. يقول :

يستجمع الغرب قواه لكى
يستعبد العالم فى صولته ..
مصالح العالم من نهبه
وساكنو الأقطار فى سخرته ..
والشرق – ويح الشرق – من جهله
وهى به الاحساس من علته
يعلل النفس بأجداده
وآيات المجد من دولته
فإن دهاه الغرب فى بأسه
فللقضا التفريج من ازمته
يكلف الأقدار إسعاده
يحلم بالآمال من رقدته ..
كآكل الأفيون يسرى به
السم ويسترسل فى لذته ..

ولقد أفضى هذا الانتماء القومى بالشاعر خالد الفرج الى تسفيه واقع التجزئة والانقسام امام التحديات الكبرى .. إذ كيف نبرر واقع التجزئة السياسية ، لأمة عربية واحدة ضاربة الجذور فى عمقها التاريخى ، ونموها الاسلامى .. فهل يصح ذلك ؟ .. يقول الفرج ساخراً من التجزئة :

هذى بلاد العرب فى ضعفها
لا يعطف الجار على جيرته
فى كل شبر دولة تاجها
كصاحب التمثيل فى جوقته

ويترك كل بهرجة لفظية فى سبيل تقديم نماذج شعرية ، مفهومة للمتلقى ؛ إذ لا يهتم خالد الفرج بالصياغة اللفظية قدر اعتنائه بتوصيل المضمون .. ولذا يقع فى (المباشرة) و (التقريرية) حتى لتستحيل القصيدة عنده الى (تحليل سياسى) .. ولكن لا يهم مادامت غايته تحريك الواقع الراكد .. (يقول) :

والغرب لا يسمع صوتاً لنا
إن لم يك المدفع فى نبرته
لا يدفع الغرب سوى بأسه
أو قوة تسمو الى قوته
أو لا فان لم نجتمع عاجلا
ونحصر العنصر فى وحدته
ستأكل الهرة أولادها
ويحصل القط على حصته
فحسبنا الاسلام من جامع
ونحن من يعرب فى دوحته

● ● ●

البقية : العدد القادم

درويش مصطفى الفار

مستقبلنا والموجات الكهرومغناطيسية

● كيف وقعت هذه الموجات تحت طائلة الجشع التجاري؟
● لماذا لا نضمن لهذا الجيل المعرفة العلمية الصحيحة؟

لما تبوأ العرب ، بالاسلام ، مقعد قيادة البشر ، أعطوا للبحث العلمى عطاء غير محدود ، واحترموا العلم والتجربة العلمية احتراماً يفوق كل وصف ، حتى حدثنا التاريخ عن القيادة السياسية العليا ، فى شخص خليفة كالمأمون بن هارون الرشيد ، مثلا ، ممن كان لا يجد غضاضة فى ان يصحب ، الباحثين والعلماء ، فى تجربة ميدانية ، لقياس مقدار درجة خط العرض ، على سطح الأرض ، بالأميال ، مع ما فى ذلك من مشقة بدنية وعقلية ، لا يتحملها إلا الرجال .. ودفع حب العقيدة واحترام العلم ، المسلمين ، فمنحوا الحضارة الانسانية ، عدداً ـ لم يحصره العد بعد ـ من كبار العلماء فى الرياضيات البحتة والتطبيقية بكل فروعها ، من حساب وهندسة فراغية ومقابلة ، ولوغاريتمات ، وحساب مثلثات وهندسة فراغية للخطوط المستقيمة والأقواس ، وتسطيح (أى اسقاط) الكرة والمخروط للمساحة والتخريط ، وفن الحيل الهندسية (الميكانيكا) والحسابات الفلكية ، والملاحة ، بحيث مهدوا الطريق باشعاعات النور من جامعاتهم ومعاهدهم ـ فى الأندلس على وجه الخصوص ـ لقيام النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة ، ولكى يظهر فى اسكتلندا عبقرى فذ من علماء الرياضة هو «جيمس كلارك ماكسويل» ، الذى تنبأ بمعادلاته الرياضية النظرية البحتة ، بوجود (الموجات) الكهرومغناطيسية ، وهى التى منها موجات الراديو وموجات الضوء التى نراها ، والتى لا تراها العين تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وقال ان هذه الموجات تسير فى الفراغ أو (الأثير) وظل أمر الموجات الاشعاعية أو الكهرومغناطيسية أكاديمياً بحتاً ، حتى قام عالم فيزياء المانى ، هو «هينريخ هيرتز» ، باثبات وجود تلك الموجات عملياً ، بتجاربه المشهورة على الملفات الكهربية ، وطور العلماء والباحثون هذه التجارب ، حتى استطاع الايطالى «جوليلمو ماركونى» ، ان يجعل المواصلات لاسلكياً ، أى بغير اسلاك كالهاتف ، أمراً عملياً ، محققاً أفكار ماكسويل لدى رجل الشارع ، ثم استطاع الامريكى «جنكنز» والبريطانى «بيرد» ـ بعد قائمة طويلة من العلماء والباحثين ـ استخدام الموجات الكهرومغناطيسية فى نقل الصور مع الكلام والغناء ، فاصبح التلفاز العادى ، والملون جزءاً من حياة الناس ، فى كل أقطار الأرض ، المتخمة والجوعى ، النامية والمتقدمة ، النائمة واليقظى ، لا سلطان لهم عليه ولا حيلة لهم فى درء بلائه ، ولا استطاعة عندهم للامتناع عنه وعن الاجتماع اليه والاحاطة به ، ليلا أو نهاراً ، شيباً وشباناً وأطفالا ، رجالا ونساء ، سوداً وبيضاً ، جهلة ومتعلمين ... وأصبح هذا الاستخدام لموجات صاحبنا ماكسويل ، خارج نطاق البحث العلمى للمعرفة الأكاديمية ، واستكناه أسرار نواميس الله فى كونه ، تحت طائلة الجشع التجارى الذى يقضى منطقه ، وتسير فلسفته ـ بصرف النظر عما يعود على علمة الناس من نفع أو ضر ـ بانتهاج طريق انتاج الأجهزة ولزوميات الأجهزة ، من أغان ، وأناشيد ،

ماركونى فى مختبره



ورقصات ، ومسلسلات ، واحاديث ، ومحطات ، وافلام ، ومعامل حيث لا عناية إلا بجلب المكاسب والارباح .. وبعد ذلك فلبات الطوفان .. وامام الأمة الاسلامية ـ والوطن العربى هو قلبها وفؤادها ـ فرصة سانحة ، غير محدودة فى حاضرها ذاك الذى نعرفه ، ولا نعرف من ماضيها شيئاً مثله .. لتسخير الموجات الكهرومغناطيسية المسموعة والمرئية ، كسلاح ، دونه كل الأسلحة والمعدات ، لرأب صدوعها ، وسد ثغراتها ، واستعادة كرامتها ... اذا وفق الله القائمين على مرافق الاذاعات السمعية والبصرية فى كل ارجاء الوطن العربى ، الى ما يلى : ـ

أولا : اصدار وتطبيق تشريعات حازمة باتة ، بألا ينقل الأثير العربى ، أية أغنية ، أو حديث ، أو مسلسل ، بغير اللغة العربية السليمة نحواً وصرفاً ، مما يفهمه كل الناس بين الخليج والمحيط ...

ثانياً : الضرب بيد من حديد ، على كل البرامج التى تفوح منها رائحة اية شبهة تسيء الى الدين أو تخالف قواعده ، وقيمه ، ومثله ، وآدابه ، وتعاليمه ، واقصاء كل المتسللين للاساءة للتراث والقيم من بعيد او قريب ، وبالتالى منع كل برامج الغناء والسفه والسقوط والتفاهة .

ثالثاً : وضع البرامج الصادقة ، التى تبصر اجيال هذه الأمة بتراثها ، وتوضح معالمه بايدى من يحسنون الأداء فكراً وعلماً ممن لا تشوب سلوكهم النقائص والجروح ، وممن تتمزق قلوبهم حسرة على حاضرنا ومهانتنا بين الناس ...

رابعاً : منع الاذاعات منعاً باتاً عن الخوض فى النزاعات التى تطرأ بين (الحكومات) وحفظها مترفعة عن السباب والشتائم ، بل دفعها دفعاً لازالة الصدوع ، والتبصير بمغبة الخلافات والمنازعات .

خامساً : اقتطاع أكبر قدر من وقت الاذاعات ، للتعليم بمختلف مستوياته ، وشرح قواعد ونظريات أصول العلم والتقنية لكل الاعمار ، بما يرفع المستوى الثقافى للناس ، على أصول صحيحة ، ولعمرى لأن يشرح التلفاز للناس كيفية دوران محرك السيارة تفصيلا ، خير الف مرة من كثير من التوافه التى لا هم لصانعيها إلا الحصول على المال ...

سادساً : اتخاذ الاذاعات وسيلة جادة لتعريف الشباب بوطنهم الكبير ، وبالعالم حولهم ، باسلوب علمى فنى جاد ليس فيه فجاجة أو سطحية ، بما يضمن نشأة جيل يؤمن بهذا الوطن الكبير عن معرفة علمية صحيحة ، وبوجدان صادق حى ...

ذلك قليل من كثير يمكن به فى هذا القرن الخامس عشر ان نجعل موجات ماكسويل نافعة مفيدة لمستقبل اجيال هذه الأمة ، بدل تركها ضمن مجموعة المعاول التى تهدم وتفرق ، وتبث الجهالات والسطحيات

بلاغة الإمام الشافعي وحكمته

كان الامام الشافعى عالما لغويا اديبا ، وكان بحكم عروبته وثقافته وتطلبه اللغة والادب والشعر صاحب بيان ضخم وتعبير جزل ، وقد أثرت عنه مجموعة ضخمة من الكلمات البليغة الوجيزة المركزة ، وتناثرت فى الكتب التى كتبها او التى كتبت عنه ، ومنها :

- من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ..
- فقر العلماء فقر اختيار .. وفقر الجهال فقر اضطرار .
- أصحاب المروءات فى جهد ..
- من تزين بباطل هتك ستره ..
- من ولى القضاء ولم يفتقر فهو لص ..
- من سمع بأذنه صار حاكيا ، ومن اصغى بقلبه كان واعيا ومن وعظ بفعله كان هاديا .
- من غلبته شدة شهوة الدنيا لزمته العبودية لأهلها .

غاية الوجود

ظهر فى الأندلس فى القرن الثانى عشر للميلاد مفكر عربى عظيم هو ابن طفيل ، وكان فى كل دراساته لا يعترف إلا بالبراهين العلمية ، وقد رأى ان الأخلاق الحميدة توجب على الانسان أن يزيل العوائق التى تعترض نموه وتحقيق غايته من الوجود . وحمل الانسان مسئولية السكوت على الخطا أو الظلم .. وقال ان الأخلاق الحميدة تحتم علينا اصلاح الخطا والسعى الى الخير العام والصالح العام ، فاذا وقع بصرنا على نبات قد حجبه عن الشمس حاجب أو تعلق به نبات آخر يؤذيه ، وجب علينا أن نزيل ذلك الحاجب !

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة

لأمير الشعراء أحمد شوقي

رسوم: جمال قطب

هذه المسرحية

عندما توفى امير الشعراء احمد شوقى فى ليلة ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢ كان قد ترك وراءه كثيرا من الأعمال الفنيــة التى لم ينشرها فى حياته ، وبعض هذه الاعمال كان يكتبها وينشرها بأسماء مستعارة بسبب بعض الظروف السياسية التى كانت تحيط به ، وكان شوقى كثيرا ما يحتاط فى هذا المجال لشدة حرصه على أن يكون شاعر الأمة كلها ، لا شاعر فريق واحد من هذه الأمة ، وكان شوقى دائما يميل الى أن يكون موضع الاجماع من الأمة ، فلا تختلف حوله ، وكان هذا الطبع متاصلا فيه ، ولذلك كان فى بعض المواقف يكتب شعرا ، وينشره ، دون توقيع ومن ناحية اخرى فقد كان الراى العام الادبى والفنى ينظر الى شوقى على انه اكبر شعراء العصر ، ويربط بينه وبين الأحداث الكبرى التى تمر بالبلاد ، وكان هذا الأمر يفرض على شوقى بعض التحفظ والحذر ، وهما تحفظ وحذر لا يتلاءمان مع طبيعته الفنية المتحررة المنطلقة ، فقد كان شوقى يكتب كثيرا من الشعر الفكاهى الساخر ، وكان كثيرا ما يكتب الاغانى «باللهجة العامية» ، وخاصة بعد أن اكتشف الفنان محمد عبد الوهاب كملحن ومطرب فى اوائل العشرينات حيث كان شوقى يكتب له معظم اغانيه ذلك الحين ، وكانت كثير من هذه الاغانى بالعامية ، وإن كانت عامية راقية ورقيقة ، ونقية تقترب من الفصحى ، وكثير من هذه الأغانى العامية أصبح مشهورا ، دون أن يكون منسوبا الى شوقى ، ومن بين الآثار التى لم ينشرها شوقى فى حياته بعض المسرحيات الاجتماعية التى كتبها ، ولم يقدمها



أحمد شوقى

للمطبعة ولا للمسرح ، إما لأنه لم يكن قد اعطاها صورتها النهائية ، وانه كان يريد ان يعيد النظر فيها ، او لانها كانت تعالج مشاكل اجتماعية دقيقة كان مترددا فى إثارتها لسبب او لآخر .

والمعروف ان شوقى قد مات فجاة ، فقد عاد الى منزله ليلة وفاته قرب منتصف الليل ، بعد ان قام بجولته اليومية المعتادة ، وكان آخرها زيارة جريدة «الجهاد» التى كان يراس تحريرها محمد توفيق دياب ، ولذلك فقد ترك شوقى وراءه كثيرا من الاعمال الادبية التى لم يكن قد رتبها او اعدها ـ نهائيا ـ للنشر .

وقد قام الدكتور محمد صبرى السربونى بعد وفاة شوقى بنشر مجلدين كبيرين بعنوان «الشوقيات المجهولة» ، جمع فيها الكثير من الآثار الشعرية والنثرية التى لم تكن معروفة لشوقى ، وقد اشار الدكتور السربونى فى الشوقيات المجهولة الى مسرحية «البخيلة» ونشر فقرات موجزة منها . وها هى «الدوحة» تبدا فى نشر المسرحية الكاملة ، وقد عثرت على النص الكامل للمسرحية فى مكتبة الفنان المعروف سعد الدين وهبه الذى عثر عليها بدوره فى «متحف المسرح المصرى» الذى تشرف عليه السيدة ليلى جاد .

وكانت النسخة التى حصلنا عليها مكتوبة بالآلة الكاتبة ، وبصورة انطمست فيها كثير من الكلمات والحروف ، مما جعل قراءتها عملا صعبا بذلنا فيه كل الجهد لكى يخرج هذا الأثر الأدبى التاريخى الى النور ، تاركين للقراء والنقاد تقدير قيمة النص من الناحية الفنية والشعرية ، وإن كان مما يسعدنا حقا ان نقول : إننا بنشر هذا النص نصحح تاريخ شوقى الشعرى ونساهم فى إكماله ، بعد ما يقرب من خمسين عاما على رحيله وقد كان النص الأصلى للمسرحية بعد وفاة شوقى ـ فيما علمت ـ عند الدكتور سعيد عبده الذى كان يراجع اعمال شوقى الشعرية ويقدم له الاقتراحات بشانها ، وقد سلمها الدكتور سعيد عبده لمتحف المسرح المصرى حيث عثرنا عليها .

وقد دفعت الدوحة بالمسرحية الى الشاعر والباحث الشاب حسن طلب لمراجعتها وكتابة التعليقات والهوامش اللازمة لها ، حتى تبدو المسرحية اقرب ما تكون الى اصلها الصحيح الواضح .

رجاء النقاش

تمهيد

زمن الرواية : ١٩٠٧

مكان الرواية : القاهرة

أشخاص الرواية

الست نظيفة : «البخيلة»

جمـــــال : «حفيدها»

حُسْــنى : «خادمتها»

عبد السلام : «طبيب»

رشــــاد : «سمسار»

عزيــــز : «من أبناء الذوات»

الفصل الأول

«قهوة جميل بميدان لاظ اوغلى» (١) جمال ورشاد على مائدة يتحدثان وآخرون متفرقون» .

يدخل صبى القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن ويقول :

هنا ساده هنا القرفه هنا الشاى . ثم ينتقل الى مائدة جمال ورشاد ويقول :

خشاف سيدى . والبانزهير لمن . (٢)

جمال : البانزهير لي انا . (٣)

رشاد : وشيشتى يا مصطفى .

الصبى : طلبتها يا سيدى .

يمر بائع الجرائد منادياً ـ اللوا

البائع : اقراوا حديث مصطفى (٤)

اقراوا خروج المعتمد . (٥)

رشاد : كرومر ؟ خروجه متى ؟ (٦)

البائع : غداً أو بعد غد .

رشاد : من قال ذلك .

البائع : (ويمشى) ـ مصطفى . (٧)

رشاد : التفت الأفكار حول مصطفى كالقائد .

جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد .

رشاد : أمن معى بمصطفى كفى تعنتا كفى .

والعقلا ...

جمال : كُلْهُمُوا . (٨)

رشاد : والأذكياء .

جمال : اشرَبْهُمُوا .

رشاد : ما أنت .

جمال : لست منهمو . (٩)

إننى انا مع البلـــــــد

إن قام قمـــت أو قعـــد

لم يرنـــى فيــه احـــد

«إثنان على مائدة يتحدثان عن جمال»

الأول : تامل المكثر من اعجابه

بنفسه ينظر فى ثيابـــه

تلفت الطاووس فى إهابه

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة

لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثاني : لله ما أظرف . يا له من فتى
قد أبدع البارى تعالى شكله
لو كان هذا ولدى وواحدى
خرجت قبل الموت من مالى له (١٠)

الأول : من الفتى يا أخى ؟
الثاني : جمال .

هـذا الذى يخلـف البخيلـه
على الدكاكيـن والضيـاع
والثـروة الضخمـة الجليلـه
هـذا الذى يفترس الأكياسـا
ولا يرى الأحـلام إلا ماسـا
فإن صحا شكا لك الإفلاسـا (١١)
يأخذ من هذا وذاك بالربـا
يعطى نحاسا ليرد ذهبـا
وقيل شيء فـوق ذا ... (١٢)

الأول : وما يقولون ؟
الثاني : عجب
الأول : ماذا ؟
الثاني : بلاط بيتهـا
مركـب على الذهب
الأول : وذلك الآخر من ؟
الثاني : ذاك من السماسر . (١٣)

يبيـع كل عامـر يصيبه وغامر
وكـم وكـم زوّج أو طلّق من حرائر
تلقاه فى كل طريق كالغبار السائر
من قهـوة (لبيرة)(١٤) لمنتدى لسامر
ويدفع الشباب في الـ وحول والمخاطر
فمن يـدى مُسـلّف الى يدى مقامر
ومن سموم حانـة الى لعاب عاهر
لا يبغض اللـه ولا رسـوله
ولا العبـاد كالمرابيـن فئـة (١٥)

الأول : أى ربا يشترطون يا ترى ؟
الثاني : عشرون أو ما فوق ذاك في المئة ؟ (١٦)

انظر الى السمسار يسحر الفتـى
وانظر الى الغلام كيف استحسنـه
عندى الف ما ملكـت وغيرهـا
من لـي بها الفين إن فاتـت سـنه

الأول : عندك الف انت .
الثاني : ألف ذهباً .
الأول :

تريد تعطيها بفاحش الربـا
إذن لقد كنت ترائى يا أخـى
ولم تكن تقواك إلا كذبـا

جمال يرفع صوته :
(١٧) بالله من هذا الحديث دعنـا
وانظر معى هذه الكرنبـه (١٨)

«ينظر الى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم» ويقول :
ومن يكون الوجيه ؟
رشاد :

هـذا مقـاول يكبـرون كسـبه
وكل يوم عليه نعل ، وكل يوم عليه جبـه
تراكم المال فى يديه من حبة أمس صار قبه (١٩)

جمال :
وما فتن الحظ بالكركـدن (٢٠)
وما أعجب المـال من سحته ؟
رشاد :
ومن عجب بعد هذا المشيب
(٢١) بنى باثنتين على زوجتـه
(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيـب
فما قبلـوه على ثروتـه ؟

جمال : وما تلك ، من هى بنت النقيب ؟
رشاد : فتاة هى البدر فى ليلته .
جمال : وما بيتها ؟
رشاد : قصر آبائها
طويل العماد عريض الغرف
جمال : وما مالها ؟
رشاد : القصر عنوانه
أليس القصور «رموز» الترف
جمال : وما سمعة البيت ؟ (٢٣)
رشاد : ماذا تقول
أما فى قديم البيوت الشرف ؟



جمال : ولم أبت الشيخ وهو الغنى ؟
رشاد :
وهل كل ما فى الزواج المهور ؟
وهل يملأ التيس عين المهـاة
وهل تحمل الكركـدن القصور

جمال : رشاد أهى حلوة ؟ (٢٤)
رشاد : وذات قصر ، وكفى .
جمال : ما ضر لو انى صاهرت الغنا والشرفا . (٢٥)
رشاد : واعرف الأم يا جمال .
جمال : كيف ومن اين ؟
رشاد :

لـي ببيت النقيب من نشأتى اتصال (٢٦)
أمـى كانت اليـه تغـدو
إذ أنـا طفـل . ولا تـزال

جمال :
ماذا ترى رشاد إن طلبتهـا ؟
ترى تردنى إذا خطبتهـا
رشاد :
اصغ لي ، انت مثل ما تتمنـى
زينب ، تجمع الغنا والجمالا

جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذى .
رشاد : أنا أهذى ؟
جمال : أجل وتخلط .
رشاد : لا ، لا

انت فوق النقيب دخلا وريعـا
بعد حين وانت أكثر مـالا
جدة تجعل الحديد على المال
وتحمى الأبـواب والأقفـالا

جمال :
لكنهـا يا صديقـى
أشـد منـى ومنـكا
رشاد :
صبـراً فعمـا قليـل
سيفرج اللـه عنـكا

جمال : وجمالى ؟!
رشاد : (يخرج مرآة)
أفى جمـالك شـك ؟
خذ تأمل . انظره فى مرآتى (٢٧)
سوف تسبى فؤاد زينـب
جمال : من زينب ؟
رشاد : هذا يا صاحبى اسم الفتاة .
جمال :
رشاد ، اسمع ، عقدت العزم فاذهب
وامك فاخطبا لـي اليوم زينـب
رشاد :
(٢٨) وهب لي ريالين تحت الحساب
وبعد غد نلتقى ها هنـا

جمال :
يناوله الريالين ـ :
قبلت فخذ
رشاد : «بعد ان ينظر امامه» :
(٢٩) انتظر يا جمال
بربك فالحظ قد احسنا
(٣٠) فهذا اخو زينب مقبلا
فسر حيث شئت ودعنى انا
عزيز :
رشاد انت ههنا
منذا الذى كان معك ؟
رشاد :
انظر الى ثيابه
ولونها كيف اتحد
انظر الى حذائه
من النظافة اتقد
والبنطلون مستو
لم ينكسر ، لم ينعقد
(٣٢) اعرنى السمع اعر
عندى لكم شيء يسر
عزيز : ما ذاك ؟ هات ما الخبر ؟
رشاد :
هذا جمال وحيد جده
بخيلة ، يا عزيز ، جِلْدَه (٣٣)
عزيز : وعمر يا رشاد ؟
رشاد : يربو على الثمانين .
عزيز : تلك مده
والمال ؟
رشاد :
ما شئت من فدادين (٣٤)
ومن بيوت ومن دكاكين
والذهب الصب كل ناحية (٣٥)
فى البيت ، من مخبا ومدفون (٣٦)
عزيز : والآن ماذا تبتغى ؟
رشاد اريده لزينبا .
عزيز : وكيف هل يقبلها ؟
رشاد :
كلمته فما أبى
فامض الى امك يا
عزيز بلغها النبا (٣٧)
لقد وصفت القصر للـ
ابله وصفا عجبا
ولم ازل اطرى له الـ
جد وامدح الأبا
وانعت المجد القديم
واحلى النسبا
وقلت عن امك خيرا
وامتدحت زينبا
عزيز : وقد نسيتنى انا .

رشاد : لا . بل اطلت الكذبا .
عزيز : وما الذى قلت عنى ؟
رشاد :
قلت : فتى ما افاقا
بالليل يغشى الملاهى
وبالنهار السباقا
تسالنى عزيز رايى ؟
عزيز : لم لا ؟
(٣٨) الست من زمن المهد اخا ؟
رشاد :
انتم عزيز يا اخى فى ازمة
ولا يفك ضيقكم إلا الغنى (٣٨)
فى المال وحده خلاصكم
لابد منه اليوم وإلا فغدا (٣٩)
عزيز :
اجل بغير المال لا عيش لكم
وكيف ؟ من اين يجيء ؟ افتنا (٤٠)
رشاد :
مما نخوض فيه منذ ساعة
من الفتى ، من موت جدة الفتى
عزيز :
وما الذى نفعل كى نصيده
لابد من مصيدة

رشاد :
تلك انا
(٤١) اسمع اخى عزيز انتم اسرة
لم يبق من وجودها إلا شفا (٤٢)
(٤٣) قصركم من قدم مهدم
(٤٤) قد خاط فيه العنكبوت وبنى
سكنتموه ههنا وههنا
كالبوم كل بومتين فى فضا
ملاتموه خدما اشداقهم
دائرة على الرغيف كالرحى (٤٥)
انظر الى القصور كيف اصبحت
لم يبق من مقدم ولا إغا (٤٦)
احتجب القوم وراء ظلها
(٤٧) لا يسال البواب إلا قال لا

عزيز :
كفى رشاد ضعة
لبؤسنا ، كفى كفى
ولا تعذب مهجتى
ولا تهج لي البكا
(٤٨) وامض واجتهد رشاد فى
تزويج اختى بالفتى
إذا كان لها اهلا

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

رشاد :

(٤٩) ولم لا يا اخـــــى . لم لا ؟
فتـــى لم يحكــه الشــبان(٥٠)
هنداماً ولا شـكلا
ولم ينكــر له الاخــوان
لا ظرفــاً ولا عقــــلا
ومن بيـــت يـــرى النـــاس
عليـــه الخيـــر والنبـــلا
ابـــوه كـــان إنســـانا

عزيز :

وهـــذا كلـــه فضـــلا
عمـــا وراء جدتـــــه

رشاد :

وعن عظيـــم ثروتـــــه
يا ليتنـــى فى حالتـــه
اسـمع عزيـــز يا اخـــى
انـــا وانـــت لا نـــرث
امـــلط يا رب كما خلقتنـــى
راض على قلـــة ما رزقتنـــى

عزيز :

دعنا من الهزل . هـــــلا
اخـــذت فـــى الجـد ساعة
رشـــاد انـت صديـــق
ماذا تـــرى فـــى البضاعـه
ادخل بنـــا فى الجد يا رشـــاد
متـــى تـــراه ؟

رشاد : فى غد أراه .
عزيز:لم تقل لي عن الفتى ما ابوه ؟ (٥١)
رشاد : كان فخر الرجال كان مديرا .
عزيز : والفتى كيف شغله ؟
رشاد : فى الدواوين .
عزيز : إذن قد نراه يوما وزيرا .
رشاد : لم لا

«ثم لنفسه» .

قلتهـــا ومـــن أيـــن أدرى
ربما صار حاجبـــا او خفيـــرا

«ثم لعزيز» : ـ

لا تســـلنى ما ابـــوه يا اخـــى
او مـــن الام وســـل ما جدتـــه

(٥٣) لا ولا ما شـــغله وما جاهـــه
فى الدواويـــن ولا ما رتبتـــه
فجمـــال فى غـــد او بعـــده
بوزيريـــن تســـاوى ثروتـــه

«بعد لحظة» : ـ

ولم لا وجدتـــــه نملـــة(٥٤)
إذا وقفـــت او مشـــت حصلـــت
وتدخـــل فى بيتهـــا ما تصيـــب
ولا يخـــرج الدهـــر ما ادخلـــت
او انقلبـــت فى جميـــع الجهـات
(٥٥)على القش فى فمهـــا ما انفلـــت (٥٦)
ترى المـــال فى بيتهـــا فى اللحـــاف
وتحـــت البـــلاط وحشـــو الشـــلت(٥٧)

عزيز :

عجبت . ياتى البخيل المال وهو يرى
ان البخيـــل اليـــه غير محتـــاج
وقلّ ما جاء حـــرا ماجـــدا ومشى
الى الكريم الكثيـــر الهـــم والحـــاج(٥٨)

اه ما اكثر حاجـــــتى
من بحاجاتـــى اناجـــى
أزمـــة درت فلـــم (٦٠)
الـــق لها وجـــه انفراج

رشاد : عزيز أنت مفلس .
عزيز : ما شئت فى ذاك فقل .

رشاد :

(٦١) على البـــلاط يا عزيـــز
كلنـــا ذاك الرجـــــل

عزيز :

إذن جمال صفقـــة رابحـــه
لنا كلينا قد فهمت ماربـــى

رشاد :

ولست انسى فضلكم عندى ولا
ما طوقـــت امـــك أمـــى وابى

عزيز : اذهب إذن رشاد فاخطبه .
رشاد : لمن ؟
عزيز : لي ولزينب وأم زينب .
رشاد : للأم والابن وللبنت ؟ (٦٢)
عزيز : اجل . وكل من مت لنا بالنسب
رشاد : أصبت يا عزيز انت فطن .
عزيز : لا بل هو البؤس يفطن الغبى

رشاد :

(٦٣) وركوبـــى يا صديقـــى
وذهابـــى وإيابـــى

عزيز :

امض انفـــق ما تشـــاء اصبـــر(٦٤)
الى يـــوم الحســـاب
انـــا لـــو بيـــع بفلس (٦٥)
لم يجـــد ســـوقا جرابـــى
كلانـــا رشـــاد علـــى زورق
كسير ومـــوج عنيـــف شـــقى
فان ننج ننج بخير المتـــاع
وإلا غرقنـــا مـــع الـــزورق

● ● ●

«ثلاثة اخرون جلوس على مائدة (٦٦) بالقهوة احدهم يقرا جريدة والآخران يتحادثان ....»

احدهم :

(٦٧) من ذلك المطل من لحيتـــه
كالبغل من وراء مخلاة رنـــا

الثانى :

نســـال عن ذاك الـــذى انحنـــى على
(٦٨)صحيفـــة يقـــرا وولانـــا القفـــا

الأول : اجل اجل هذا القفا . (٦٩)
الثانى : هذا هو الدكتور .





الأول : من ؟
الثانى :
عبد السـلام مرتضـى
يقرا ما صـادف مـن جريـدة
من صدرها الاول حتى المنتهـى
(٧٠) وتستوى صحف الصباح عنـده
(٧١) وصحف ظهرن من عـام مضى
تذاكر الدفـن التى يكتبهـا
(٧٣) فى الشهر اضعاف تذاكـر الدوا (٧٢)
وعيبـه البخـل
الاول : فيه بخل ؟
الثانى : ابخل من جارتى نظيفة .
الاول : من يا اخى هذه ؟
الثانى :
عجـوز
(٧٤) فى الخط من اسرة شريفـة
ليس لهـا فـى الحيـاة إلا
عبـادة المـال من وظيفـة
حتى لقد صارت حديث الحـارة
وضحـك الجـار وسخر الجـاره (٧٥)
كلهمو يحسـدها بمالهـا
ويتمنىٰ حالـه كحالهـا
وهكـذا الأنفس فى ضلالهـا
الأول : ما غناها يا أخى .
الثانى:اكثر هذا الخط مالا .
الأول : ومن الوارث إن ماتت .(٧٦)
الثانى : فتى يدعى جمالا .
الأول : هذا ما در (٧٧)
الجوع يا أخى ولا الأكل معـه
لقد دعانى للغـداء مـرة
فقسم البيضة بين اربعـه
وجـيء بالشـواء

الأول : ماذا جرى ؟
الثانى :
اوحى الى خادمه ان يرفعـه
راى فيه عيباً وإن لم نجـد
على اللحم عيباً سوى قلتـه
فقد كان انضج لحم رايـت
(٨٠) وقد كان كالمسـك فى نكهته

ومن بخله تفتح القهـوات(٨١)
وتغلق وهى على «شـيشته»
يقضى بها طرفـى يومـه
ويمضى بها طرفـى ليلتـه
الأول : ومرضاه ؟

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة

لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثاني :

يلقاهمو فى الطريـــــق

حينا وحينا على قهوتـــه

«غلام يدخل القهوة صائحا»

الغلام : أين هو الدكتور ؟

احدهما : ذاك .

الغلام : «للدكتور»

سـيدى اخـى يسـقط

تحـت التـــرام

الدكتور :

فليكـــــــن

(٨٢) او تحت وابور الزلـــط

فما الذى أصابـــــه ؟ (٨٣)

الغلام : انفلق الرأس ؟

الدكتور : فقط ؟

الغلام : دكتور ؟!

الدكتور :

(٨٤) هيـا ولـو انـى مـا

عالجـت فى الشـارع قط

الغلام :

اللـــه فى عـون الجريح

(٨٥) امض جـراح القـطط

ستار .

«البقية فى العدد القادم»

مسرحية البخيلة تعليقات وهوامش

يكتبها : حسن طلب

حين دفع إلى رئيس التحرير بهذا المخطوط النفيس المجهول ، وعهد إلى بتحقيقه ، سعدت سعادة حقيقية بأن أشارك فى إظهار هذا النص الى النور ، ومن ثم ، فقد فرغت له فراغا تاما حتى يظهر على أفضل نحو ممكن.

والحقيقة ، فان النص ، على الرغم من كونه منسوخا على الآلة الكاتبة، فقد كان حافلا بالكثير من الأخطاء التي شوهت المعنى احيانا واخلت بالوزن احيانا اخرى ، ومما زاد الطين بلة ، أن النسخة التى بين ايدينا ليست هى النسخة الأصلية ، بل هى صورة بالكربون ، انطمست فيها بعض الكلمات وضاعت معالمها ، وكانت عملية إعادة قراءتها تحتاج الى الكثير من الأناة والكثير من إعمال الخيال .

وإنى اسجل هنا ، انى عجزت فى بعض المرات عن الوصول الى القراءة السليمة ، ولم يكن مرجعى الأخير إلا رئيس التحرير الذى كان يتدخل بخبرته ، فيجلو ما غمض ويحل ما استشكل .

وقد التزمت التزاما صارما بالنص ، ولم اتدخل إلا لأصحح خطا او تصحيفا او اقيم وزنا او اقوم معنى .. ، وعلى الرغم من ان هناك بعض التصحيحات بالقلم الحبر ثم بالرصاص ، إلا ان ذلك المصحح المجهول (أو المصححين) فاته الكثير .. ، واذا كانت التعليقات تبدو فى ظاهرها كبيرة الحجم ، فهى فى حقيقتها مضغوطة الى اقصى حد لاعتبارات نشر النص فى دورية ، ولولا ذلك لبلغت اضعاف ما هى عليه .

وهذه هى الهوامش والتعليقات .

(١) ميدان لازوغلى : ميدان صغير فى القاهرة يتوسط شارعى خيرت ونوبار .

(٢) البنزهير : هو الليمون او صنف منه (الليمون البلدى) ، والكلمة فارسية الأصل ومعناها : ضد السم ، اى الترياق (الدرياق) .

(٣) فى الأصل : (لى انا) وهو تصحيف ، والصواب ما اثبتناه .

(٤) اقروا اللواء (اراد : (اقرءوا) مخفف لاقامة الوزن ، و (اللواء) جريدة مصرية ، يومية ، سياسية ، أسسها مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى (انظر هامش رقم ٧) فى سنة ١٩٠٠ ، وراس تحريرها ، وعند وفاته سنة ١٩٠٨ انتقلت رئاسة تحريرها الى الشيخ عبد العزيز جاويش وتوقفت عن الصدور ١٩١٤ .

(٥)المعتمد : هو المعتمد البريطانى فى مصر ، الذى كان الحاكم الفعلى للبلاد والمتصرف فى شئونها ، ويعتبر كرومر من اشهر من شغلوا هذا المنصب فى تاريخ مصر (انظر الهامش التالى) .

(٦) كرومر : إيرل افلن بيرنج كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١٧) ، كان قد تقلد عدة مناصب ادارية فى المستعمرات البريطانية فى الشرق ، قبل ان ياتى الى مصر سنة ١٨٨٣ عقب الاحتلال ، حيث عينته بريطانيا قنصلا عامـا ووكيلا بريطانيا ، وعلى الرغم من كفاءته الادارية ، فقد قمع الحريات واهمل النظام النيابى وقيد سلطة مجلس شورى القوانين ، حدثت فى اواخر عهده ماساة دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٦) ، وكان هو المسئول الأول عن احكام الاعدام التى صدرت ضد الفلاحين المصريين فى هذه القرية (دنشواى) ، مما اثار سخط المصريين والب عليه الراى العام حتى لقد اضطر الى ان يستقيل فى ابريل ١٩٠٧ ، ومما يذكر انه كان ـ على الرغم

مصطفى كامل — اللورد كرومر — أحمد لطفي السيد





من انهماكه فى الشئون السياسية والادارية ـ كاتبا نشطا مرموقا ، ومن مؤلفاته المشهورة «مصر الحديثة» ١٩٠٨ ، و «الاستعمار القديم والحديث» ١٩١٠ .

والجدير بالذكر ان شوقى ندد بكرومر حين قال من قصيدة له بمناسبة حادثة دنشواى :

نيرون لو ادركت عهد كرومر　　لعرفت كيف تنفذ الأحكام

(٧) مصطفى كامل : (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨) ، زعيم وطنى مصرى معروف ، يعتبر من ابرز المدافعين عن حرية مصر واستقلالها فى التاريخ الحديث ، ولد بالقاهرة وتخرج فى مدرسة الحقوق ثم انصرف الى السياسة ، فدعا الى الحركة الوطنية وقادها فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، استغل كل الوسائل الممكنة ، فكان ينظم اللقاءات والمؤتمرات ويشارك فيها ، ويستغل الخطابة ، ويكتب فى الصحف (خاصة صحيفة المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف) ، ثم لم يلبث ان أسس صحيفة اللواء سنة ١٩٠٠ ، التى كانت تصدر بالعربية فى مصر وبالفرنسية فى فرنسا وبالانجليزية فى بريطانيا ، ثم اسس الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وكان هو اول رئيس له . مات فى ريعان شبابه (حوالى ٣٤ عاما) ، بعد ان افرغ كل طاقاته فى العمل السياسى الوطنى وربما يكون قد مات مسموما .

(٨) و (٩) ربما كان فى ذلك اشارة الى انصار حزب الامة الذى شارك فى تاسيسه احمد لطفى السيد ، وكانت جريدة (الجريدة) هى المعبرة عن ذلك الحزب ، الذى عرف بانه كان اكثر تحفظا وتعقلا فى حل المسالة الوطنية .

(١٠) خرجت قبل الموت من مالى له : يقصد : انفق من ماله على المساكين فى سبيل ذلك الابن .

(١١) «الافلاسا» : فى الأصل (الافلاس) وهو خطا لانه لا ينسجم مع حركة قافية الأبيات .

(١٢) : ما بين قوسين اضافة بخط اليد (بقلم الحبر) .

(١٣) ذاك هو السمسار : فى الاصل : (ذاك من السمسار) ، وما اثبتناه اكثر انسجاما مع السياق .

(١٤) البيرة : اراد : (البار) ، فاكتفى بدلالة الشىء على المكان الذى يقدم فيه .

(١٥) ولا فى العباد كالمرابين فئة : اراد (ولا فى العباد ...) فحذف حرف الجر لاقامة الوزن .

(١٦) فوق ذاك فى المئة : (ذاك) كانت غير موجودة ثم اضيفت بخط اليد (بقلم الحبر) ، والاضافة صحيحة وبغيرها لا يستقيم الوزن .

(١٧) بالله : فى الاصل (بالله) ، وبها لا يستقيم المعنى ولا الوزن .

(١٨) الكرنبة : من الخضروات ، نبات من الفصيلة الصليبية ، وهو غذاء معروف ذو رأس مليء بالأوراق الملفوفة ، معروف منذ قدماء المصريين وتستخدم الكلمة هنا على سبيل السخرية للاشارة الى الرجل الملفوف (كالكرنبة) .

(١٩) من حبة امس صار قبة : تضمين للمثل المعروف ، (جعل من الحبة قبة) ويضرب للدلالة على الأمر التافه الصغير يجعل منه صاحبه أمرا عظيما . ونلاحظ ان المثل هنا مستخدم على غير وجهه .

(٢٠) الكركدن : حيوان ثديى من ذوات الحافر ، من آكلات العشب ، يتميز بعظم جرمه وغلظ بدنه وجلده . ويستوطن افريقيا وبعض مناطق اسيا ، اهم ما يميزه أن له قرنا انفيا او قرنين لدى بعض الانواع . من اسمائه الاخرى الخرتيت ووحيد القرن .

(٢١) بنى باثنتين : يقال تزوج فلانة او بنى بها بمعنى واحد .

(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيب : لعله يقصد (نقيب الاشراف) وهى وظيفة شرفية معروفة منذ العباسيين . وكان يختار النقيب من ال البيت ، ومن واجباته الحفاظ على سجلات السلالة الشريفة وسمعة افرادها .

(٢٣) وما سمعة البيت : فى الاصل (سمعت) وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢٤) اهى حلوة : يلاحظ تسكين الهاء فى «اهى» حتى يستقيم الوزن .

(٢٥) ما ضر لو صاهرت الغنى والشرفا : هذا المصراع يحتوى على «وتد مجموع» زيادة فى تفعيلاته ، ولم نهتد الى وسيلة نحذف بها هذا «الوتد» ونحافظ فى نفس الوقت على سلامة المعنى ، ومن الطريف ان الشعر الحر يستخدم فى تفعيلاته مثل هذه الزيادة كثيرا ، وهى على كل حال ليست مضرة بالايقاع بل انه يصعب تبينها ، ذلك ان هذا «الوتد» يعتبر فى حد ذاته وحدة ايقاعية مقدارها نصف تفعيلة من «مستفعلن» والمصراع من بحر الرجز .

(٢٦) طبيعة اتصال رشاد ببيت النقيب ستتضح اكثر بعد قليل ، حين يقول رشاد موجها الشكر الى (عزيز) :

ولست انسى فضلكم عندى ولا　　ما طوقت امك امـى وابى

(٢٧) انظره فى مراتى : فى الاصل (انظره) ولابد من استبدال الف القطع بالف الوصل حتى يستقيم الوزن .

(٢٨) إذن اعطنى ليرة :

ا ـ فى الأصل (اعطنى) بدون همز ، وهو خطا لانه يخل بالوزن .

ب ـ استخدام (الليرة) هنا ليس غريبا ، حيث كانت معروفة انذاك بوصفها عملة تركية بدأ سكها منذ سنة ١٨٤٥ م ، وكانت تسمى ايضا بالمجيدة ، واللفظ لاتينى الاصل .

(٢٩) فى الأصل (لا تمضى) والصواب ما اثبتناه .

(٣٠) الصواب (اخو زينب) ولكنه خضع للضرورة الشعرية .

مثل هذا شاذ فى اللغة العربية ، ومن هذا الشذوذ قول رؤبة بن العجلج يمدح عديا بن حاتم الطائى :

بابه اقتدى عدي فى الكرم　　ومن يشابه «ابه» فما ظلم

وكان ينبغى ان يقول (بابيه) و (اباه) .

(٣١) الطربوش غطاء تقليدى للراس كان يستخدم فى الكثير من البلاد العربية والاسلامية حتى وقت قريب ، ولكنه اوشك الآن على الانقراض ، وقد قاوم مصطفى كمال اتاتورك استخدامه فى تركيا حتى قضى عليه . والكلمة فارسية الاصل .

(٣٢) فى الاصل (اعره) وهو خطا ، والصواب ما اثبتناه .

(٣٣) بخيلة يا عزيز جلدة : تعبير شائع فى العامية المصرية للدلالة على البخل .

(٣٤) الفدان وحدة مساحية لقياس الاراضى الزراعية بمصر ، وتبلغ مساحته حوالى اربعة اضعاف مساحة الهكتار .

(٣٥) يريد بالذهب الصب ، الذهب الخالص ، والتعبير دارج .

(٣٦) كلمة (مخبا) تقرا على انها اسم مفعول من الفعل الثلاثى خبا حتى يستقيم الوزن .

(٣٧) حذف همزة (النبا) للضرورة الشعرية .

(٣٨) فى الأصل : (الست من زمن المهد) وبه لا يستقيم الوزن .

(٣٨) فى الأصل (إلا الغنا) وهو تصحيف .

(٣٩) فى الأصل (فولا فغدا) وهو تصحيف .

(٤٠) (افتنا) كانت فى الاصل بدون همز ، وصححناها حتى يستقيم الوزن .

(٤١) كلمة (اخى) مطموسة فى الاصل .

(٤٢) (شفا) كل شىء هو حرفه او طرفه او حافته ، والشاعر يريد انها على وشك الموت .






علي يوسف — سليم تقلا — بشارة تقلا

(٤٣) فى الأصل : (قصركم من قديم) وهو تصحيف وبه لا يستقيم الوزن ، والصواب ما أثبتناه .
(٤٤) يعتبر العنكبوت ونسيجه رمزين لما هو بال أو فان او متداع ، يقول أحمد ناجى :

والبلى ابصرته رأى العيان — ويداه تنسجان العنكبوت
قلت يا ويحك تبدو فى مكان — كل شىء فيه حى لا يموت

(٤٥) (رحا) و (رحى) واحد ، وجمعها أرح وأرحاء ورحى وأرحية .
(٤٦) فى الأصل : (لم يبق من مقدم ولا من اغا) وهو مكسور ويستقيم الوزن إذا قلنا (لم يبق من مقدم ولا اغا) أو (لم يبق من مقدم أو من اغا) ، والمقدم رتبة عسكرية فوق الرائد ودون العقيد ، والأغا كلمة تركية معناها الرئيس أو الشيخ أو السيد ، وكان صغار الضباط حتى رتبة يوزباشي (نقيب) ، يحملون هذا اللقب .
(٤٧) فى الأصل (لا تسالوا) وهو تصحيف .
(٤٨) فى الأصل (وامضى) وهو خطا والصواب ما أثبتناه .
(٤٩) فى الأصل (ولم يا أخى لم لا) ، وقد أضفنا (لا) الأولى حتى يستقيم الوزن .
(٥٠) تضمين لمثل مصرى شعبى معروف .
(٥١) تعبير (ما أبوه) صحيح ، حيث أن (ما) تستخدم احيانا بمعنى (من) وقد جاء فى القرآن :
(ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء) .
(٥٢) يسكع ويتسكع بمعنى واحد ، والشاعر تجاوز هنا عن حرف الجر لاقامة الوزن .
(٥٣) تعبير (لا ولا تسال به) سليم ، فقد جاء فى القرآن : (فاسال به خبيرا) .
(٥٤) البيت فى الأصل متداخل ، والشطرة الأولى تنتهى عند كلمة (نملة) كما اثبتناها .

(٥٥) فى الأصل (على القش) وهو تصحيف صوابه القرش كما اثبتنا ، والقرش عملة مصرية معروفة .
(٥٦) لم اجد اتفلت بمعنى تفلت ، والشاعر اضطر لاستخدامها لتستقيم قافيته .
(٥٧) (الشلت) فى العامية المصرية جمع (شلتة) ، وهى الحشية أو الوسادة ونحوهما ، وعادة وضع النقود أو المال فى (الشلت) وتحت (البلاط) كانت معروفة وسائدة حتى وقت قريب ، خاصة بين الطبقات الشعبية .
(٥٨) استخدم الشاعر (حلج) بمعنى حاجة ، وهو استخدام وارد فى الشعر العربى .
(٥٩) الدمى من العاج أو المعدن أو الحجر ، معروفة منذ الحضارة المصرية القديمة ، وكانت تصنع لأغراض دينية ، وقد عرف العرب القدامى هذه الدمى وكانوا يضربون بها المثل فى الجمال ، والشعر العربى حافل بصور عديدة تشبه فيها المرأة الجميلة بالدمية .
(٦٠) فى الأصل (درت) وهو تصحيف .

(٦١) تعبير (على البلاطة) مثله مثل (على الحديدة) ، يستخدم فى العامية المصرية للدلالة على الافلاس .
(٦٢) كانت فى الأصل (والبنت) ، ثم تداركها مصحح النسخة (بقلم الحبر) فاستقام الوزن .
(٦٣) اراد (واجر ركوبى ؟) فحذف المضاف لدلالة المضاف اليه عليه .
(٦٤) فى الأصل (ما تشاء) فحذفنا الهمزة حتى يستقيم الوزن .
(٦٥) (فلوس) فى العامية المصرية بمعنى (نقود) .
(٦٦) فى الأصل (جلوسا) واثبتناها مرفوعة لأنه لا وجه لنصبها هنا .
(٦٧) فى الأصل (ذلك) وبها يختل الوزن .
(٦٨) خفف الشاعر همزة (يقرا) ليستقيم له الوزن .
(٦٩) فى العامية المصرية يكنى بـ (القفا) عن الانسان العظيم الجرم البليد العقل .
(٧٠) حتى يستقيم الوزن يجب ان تسكن الحاء فى كلمة (صحف) الأولى ، وتحرك فى الثانية .
(٧١) (الأهرام) هى الصحيفة المصرية اليومية المعروفة الآن ، وقد اسسها كل من سليم وبشارة تقلا سنة ١٨٧٥ ، و (اللواء) سبق الاشارة اليها ، انظر الهامش رقم (٤) .
(٧٢) حذف الشاعر همزة (الدواء) للضرورة الشعرية ، مثلما فعل بهمزة (اللواء) فى البيت السابق .
(٧٣) كلمة (تذاكر) معروفة فى اللغة العربية ، ومفردها (تذكرة) وتعنى كل ما تستذكر به الأمور او كل ما يدعو منها الى العبرة والذكر ، وقد ورد فى القرآن : (كلا إنها تذكرة) . اما (تذكرة) بمعنى (بطاقة) ، فهى محدثة .
(٧٤) (الخط) بفتح الخاء تعنى الطريق ، وبكسرها تعنى المكان المختط للعمارة أو البناء ، والذى أراده الشاعر هو (الخط) بضم الخاء ، بمعنى موقع الحى من المدينة .
(٧٥) سخر منه سخرا وسخرا (بضم السين او فتحها) بمعنى سخرية .
(٧٦) (أو ماتت) لم تكن موجودة بالأصل ، ثم اضيفت (بقلم الرصاص) ، على غير الاضافات والتصحيحات السابقة والتى كانت كلها بقلم الحبر . وهى اضافة سليمة من حيث انها متممة للمعنى مقيمة للوزن .
(٧٧) (مادر) هو ابخل العرب ، فى مقابل حاتم الطائى أكرمهم ، ضرب به المثل فى البخل ، وقابل ابو العلاء المعرى بينه وبين حاتم الطائى فى لاميته الشهيرة ، فقال :

إذا وصف الطائى بالبخل مادر — وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس انت كليلة — وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة رخيصة — ويا نفس جدى إن دهرك هازل

(٧٨) خفف الشاعر (أوما) ليستقيم الوزن .
(٧٩) كلمة (نحن) لم تكن موجودة فى الأصل ، وقد اضيفت بقلم الرصاص ايضا كالاضافة السابقة ، مما يدل على أن المصحح الذى اتى بالاضافتين واحد ، والاضافة هنا صحيحة ، إذ لا يستقيم الوزن بدونها .
(٨٠) (المسك) ضرب من الطيب معروف برائحته وليس بنكهته كما يشير الشاعر ، ويتخذ المسك من دم بعض انواع الغزال ، يقول المتنبى فى سيف الدولة :

فان تفق الأنام وأنت منهم — فان المسك بعض دم الغزال

(٨١) أراد الشاعر (المقاهى) فاستعصى عليه الوزن ، فاستبدل بها (القهوات) ، وهى كلمة تستخدم فى العامية بمعنى (المقاهى) ، ولكنها فى الأصل العربى جمع قهوة ، والقهوة هى الخمر او اللبن الخالص ، وتطلق ايضا على مشروب البن المسحوق ولكنها بهذا المعنى تعتبر مولدة . واستخدامها بمعنى الخمر هو المشهور والمعروف منذ الجاهلية ، يقول الأعشى ميمون بن قيس :

وقهوة مزة رووافها خضل

(٨٢) (الوابور) كلمة معربة تستخدم فى العامية المصرية للدلالة على بعض الآلات من ذوات المحركات او من غيرها .
(٨٣) فى الأصل (اصابة) بدون همز .
(٨٤) فى الأصل كلمة (خلفى) مطموسة .
(٨٥) كلمة (امض) غير واضحة فى الأصل .



قصة قصيرة بقلم : يوسف الشاروني



ثلاثون عاماً راح خلالها ثلاثون قتيلا اخذاً بالثار فى قريتنا الجبلية الصغيرة آخرهم كان ضحية صبى فى الرابعة عشرة من عمره ، كان أبوه قد سبق ان مات مقتولا وهو مايزال جنيناً فى رحم امه ، فلما ولدته لم ترضعه ولم تطعمه إلا هدفاً واحداً فى الحياة : ان ينتقم من قاتل ابيه . وكما انتهت ماساة قريتنا ـ حتى الآن على الأقل ـ بصبى فانها بدأت بصبى .

● ● ●

كان رفاعة من أسرة ابو دومة يصطاد العصافير ـ فى احد العصارى ـ بنبلته فى الحقول المجاورة لبيوت القرية ، غير انه اخطا ـ ذات مرة ـ هدفه واصاب عين طفل من أسرة الدرمللى . وقد ثار سالم الدرمللى والد الطفل ـ الذى لم يكن قد بلغ العاشرة ـ وحلف بالطلاق الا يكون انتقامه بأقل من أن يذبح الصبى المفزوع رفاعة ابن الثانية عشرة او الثالثة عشرة وقد توسط أهل الخير وحاولوا عبثاً أن يفهموا الوالد المكلوم ان الاصابة غير مقصودة وانها من صبى لا يدرك عواقب الأمور ، وعرضوا عليه دفع دية او تعويض ، غير ان الوالد الثائر ركب راسه كما يقولون ، وقد أقسم فكيف يحنث فى قسمه ؟

وحين فشل وسطاء الخير واتضحت خطورة العواقب لهذا الموقف المتصلب ، تدخل عمدتنا واقترح حلا قد يرضى الجميع فمادام الرجل قد أقسم فلينفذ قسمه ، ولكن على شرط أن يمر بالسكين على رقبة الصبى بحدها غير المسنون ، او بمعنى آخر أن يمثل عملية الذبح كما يفعل الممثل فى المناظر المشابهة على المسرح ، بذلك يبر قسمه دون أن ينفذه . وعندما بدا ان سالم الدرمللى قد اقتنع بهذا الحل بعد ان فقد الجميع الأمل ، واضطرت أسرة ابو دومة الى قبوله ايضا وإن كان على مضض ، فقد كانوا فى شك ان ينفذ سالم الدرمللى تعهده ، والا يستغل طيبة العمدة لينفذ قسمه ، فدماغه كانت ناشفة .

وفى الموعد المتفق عليه ذهب كبار اسرة ابو دومة بصحبة الصبى رفاعة الى المكان المتفق عليه وهو دوار العمدة ، كما ذهب سالم الدرمللى وبعض اقاربه . وبعد ان شربوا الشاى دورين ، صنع الرجل حلقة ووقف رجال كل أسرة فى مواجهة الأخرى . وأدرك رفاعة ان دوره قد حان ، فهم بالبكاء فزعا وتشبث بأبيه لولا ان اخرسته نظرة منه ، فاستجمع شجاعته وتقدم وسط الحلقة ، بينما قدم العمدة السكين بنفسه ـ ولكن مقلوباً ـ الى سالم الدرمللى .

ووسط جو مشحون بالتوتر امسك سالم السكين ، وفى لحظة اقل من اللحظة ، عدل السكين ومرره بكل عنف على رقبة الصبى المكشوفة المستسلمة لتتفجر دماؤه بشدة حتى اصاب رشاشها الواقفين : ثيابهم ووجوههم . وترنح الصبى وهو يرفرف كدجاجة مذبوحة . وفى لحظة خارج الزمن انطلقت الرصاصات من أسرة ابو دومة تتهاوى متسابقة مرشوقة فى جسد سالم الدرمللى : ثلاثون رصاصة ـ كما جاء فى تقرير الطبيب الشرعى ـ اخترقت جسده من رأسه الى أسفل بطنه حتى أصبح كالغربال .

تلك كانت البداية ...

وجه مدينة من فلسطين



حيفا
قلادة على صدر الوطن

موقفان تراجيديان واجهتهما في مستهل الجولة التى نقلتنى الى المدينتين الحبيبتين الرائعتين : القدس الخالدة .. محارة اديان السماء ، وحيفا الفاتنة قلادة الشوق التى تزين صدر وطننا الفلسطينى المغتصب !

لقد تعرضت لهذين الموقفين الغريبين وواجهتهما بأسلوب أعترف بداية انه سلبى وقد لا يرتضيه الكثيرون ! ولكن ما حيلتى وانا لا أملك غير الدمعة السخية الدافئة اسكبها على وطنى بعد أن عز على امتى العربية الاسلامية أن تسكب الدم فداء للقداسة والطهارة والكبرياء !

أول الموقفين حدث اثناء احدى الجمع الرمضانية المباركة حيث انطلقت من مدينتى صباحاً فى طريقى الى القدس الحبيبة لزيارتها وللصلاة فى المسجد الاقصى المبارك . وفى العاشرة والنصف اردت تجديد وضوئى استعدادا لأول فريضة أصليها فى ثالث الحرمين الشريفين .

اتجهت الى «سبيل» رئيسى فى الساحة قبالة مسجد الصخرة ، فرأيت عشرات المسلمين متحلقون حول صنابير المياه ، فانتظمت فى دورى ، وبعد اكثر من عشرين دقيقة استطعت الوصول الى احد ها !

بدأت فى الوضوء وكل كيانى منغمس حتى النخاع فى مستنقع نفسى جاوز الحد الأعلى للتعاسة البشرية قاطبة !

وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى أن وضوئى لم يكن منظما ولا متواليا فبدأت الوضوء من جديد ، وانا أذوب خجلا من نفسى ومن الرجال الذين ينتظرون أدوارهم خلفى !

وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى خطئي فى ترتيب فرائض الوضوء للمرة الثانية ! .. وبدأت من جديد أغسل وجهى ، وهنا نفد صبر الرجل الواقف خلفى مباشرة . فصرخ بلهجة فلاحينا البسطاء : هيه يا رجل .. قم الى بيتك لتتعلم الوضوء فيه ولا تضيع علينا صلاة الجمعة !!

واسقط فى يدى ووجدانى وكل ذرة فى كيانى .. فنظرت الى الرجل فى ذل وانكسار وتمنيت ان يهبه الله حكمة لقمان كى يدرك ما بى من حزن يعقوب ، وحسرة يوسف ، وبلوة أيوب ، وألم أدم ! وتمنيت لحظتها أن تكون دموعى بلون دمى حتى يدرك صاحبى اننى اتوضأ وضوءاً أخر لا عهد له به ، وتذكرت قول الشاعر :

لم يخلق الدمـــــع لامرىء عبثاً
الله أدرى بلوعة الحـــــزن !

• • •

اما الموقف الثانى فقد حدث على قمة جبل الكرمل .. حينما كنت مستغرقا متأملا بصمت واجلال منظر مدينة حيفا



الآية الرائعة التى أبدعت يد الله صنعها جبل الكرمل يحتضنها ، والأبيض المتوسط يهدهدها ، ، والنجوم تداعبها ، والسهل يناغيها ، والجمال نفسه يغار منها ، وعيون الحساد تخاف عليها ، إنه بلا شك امتع منظر تغرق فيه الابصار بفلسطيننا المغتصبة ... ولكن من الذى يحصد هذا المحصول الجمالى الفريد ؟ ان الاجابة الموحشة عن هذا التساؤل كفيلة بتشييد اهرام جديدة من الوجد والألم على صدرى المترع بالاحزان .. ولم يكن هذا الواقع وحده هو الموقف التراجيدى الوحيد الذى اعني فلقد رأيت اغرب منظر لا اخلاقى وقعت عليه عيناى فى طول حياتى وعرضها ! والذى اتورع حتى عن استحضار صورته البشعة فى خيالى خشية أن أخدش عفة هذا الخيال بشيطانية ذلك القبح ، وإنى لمشفق على كرام القراء من تفصيله .. لكن عز على نفسى ان أراه حادثا فى وطنى .. وفى أكرم شهر من شهور ربى وبتلقائية شديدة ... انداحت على وجهى حبات الدموع ... ثم سحت عينى خيراتها المدرارة واخذت اردد قول الرصافى :

أأمنع عينى أن تجود بدمعها
على وطنى إنى اذن لبخيل

وبعد أن عشيت عيناى من طول البكاء وبكى بعضى على بعضى معى كما يقول احد شعراء الاندلس اخرجت نفسى من محنتها ، وقلت ان تدارسنا لحياة حيفا انفع واجدى الف مرة من بكائنا عليها ، ونواحنا على ضياعها !

جنة الله

تتربع مدينة حيفا الفاتنة على قمة سفح جبل الكرمل الشامخ ، وهو يكون الجزء الشمالى الغربى من جبال نابلس ، حيث يبدأ من وادى الملح وينتهى على شاطئ الأبيض المتوسط عند حيفا ، ويبلغ طوله ١٥ كم ، وعرضه حوالى ثمانى كيلو مترات . اما اعلى قمة فترتفع ما يقرب من ٥٥٠ مترا عن سطح البحر .

ولقد اكتشف علماء الآثار فى كهوفه ومغاوره بقايا هياكل بشرية ترجع الى العصر الحجرى القديم مما يدل على وجود حياة بشرية فيه منذ آلاف السنين.

وقد ورد فى الأساطير المصرية القديمة ان «ايزيس» خرجت تبحث عن زوجها اوزوريس فى احد كهوف جبل الكرمل ، فرأت القمح ناميا فى مدخل الكهف . وهى اشارة تدل على ان القمح قد عرف للمرة الاولى فى فلسطين وبوجه خاص على هذا الجبل .

وقد ورد فى الأدب اليونانى القديم ان الفيلسوف الرياضى الشهير «فيثاغورس» عاش فترة من الزمن على جبل الكرمل ، التقى خلالها مع بعض تلاميذه .

وبعض الناس يدعونه «جبل مار الياس» بحجة انتصار هذا النبى





جانب من حيفا القديمة ويبدو فيه جبل الكرمل



المدينة تطل على شاطىء البحر

على أعدائه من الوثنيين اليهود فوق الجبل .

وفيما بعد حفل الجبل بالنساك والموحدين الذين تناثروا فى ارجائه يعبدون الله ويتقربون اليه .

أما كلمة «كرمل» ذاتها فهى كنعانية الأصل ، وتعنى كرم الله ، او جنة الله» وهى تسمية لها من اسمها نصيب ، حيث كسا الله هذا الجبل باشكال مختلفة من الأشجار والفواكه منذ قديم الزمن فتواجدت فيه أشجار الصنوبر ، والسريس والبلوط ، والسنديان ، والعبهر ، والخروب ، والجميز ، والتين ، والزيتون . إضافة الى أنواع عديدة من الرياحين والأزهار .

واذا وقف المرء على أماكن محددة على جبل الكرمل يستطيع أن يكحل عينه برؤية عكا وفنار صور شمالا ، والى ما وراء قيسارية جنوبا ، والى جبال الجليل وجبل الشيخ شرقا ... اضافة الى منظر الأفق الممتد بعيداً وهو يعانق البحر ويحنو عليه فى لهفة ودلال . انها بلا ريب مشاهد فريدة من إمتع ما تقع عليه العين فى وطننا الفلسطينى المستباح .

تاريخ المدينة

حيفا كلمة عربية ، و «الحيفة» معناها «الناحية» ، وقد ورد ذكرها فى القرن الرابع الميلادى باسم «ايفا» .

ويرجح انها أنشئت زمن الكنعانيين العرب ، ولكنها عاشت كقرية متواضعة لم تثر اليها انتباه التاريخ القديم ، وانحصرت عزتها الكبرى فى موقعها الطبيعى النادر ، وكذلك لم يرد لها ذكر ما فى مصادر الفتح العربى الاسلامى ، ولعل أقرب ذكر لها كان فى عام ١١٠٠ ميلادية ، حينما استولى عليها الصليبيون بعد هجومهم على الحامية المصرية الصغيرة التى كانت تدافع عن البلدة .

وقد اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية بوجه خاص ، إلا أن ذلك التحصين لم ينقذها من قبضة الجيش الاسلامى بقيادة البطل الظاهر بيبرس ، حيث فر الصليبيون واتاحوا الفرصة لدخول الامراء العرب اليها ...

وغفت حيفا فترة وجيزة من الزمن ثم استيقظت فجاة على وقع اقدام نابليون الذى أقام قيادته على جبل الكرمل .

وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت «مركزاً» لقضاء يحمل اسمها ، وتولى «احسان بك التركي» منصب قائم مقام القضاء ... ومع مرور الزمن اتسعت المدينة .

وقد سمح السلطان العثمانى عبد العزيز للجالية الالمانية بتاسيس حي لها فى حيفا .. فقام المهندس «شوماخر» برسم الخريطة وتنفيذها فى القسم الغربى ... واصبح ذلك الحى فيما بعد من اجمل احياء المدينة وانظفها ، واتفق سكانه منذ البداية على أن لا يبيعوا شيئاً من أراضيه لغير الألمان أنفسهم ... وقد صدقوا النية في عقدهم ولم ير حتى الآن انهم باعوا شيئاً من أراضى الحى لغريب عنهم» .

استيطان اليهود فى حيفا

لقد كان اليهود الوطنيون «السفارديم» يسكنون فى حيفا منذ زمن قديم ، وبرغم أن حالتهم الاجتماعية فيها كانت سيئة إلا انهم كانوا يرفضون النزوح عنها .

أما اليهود الغربيون «الاشكيناز» فقد كانوا قبيل الحرب العالمية الأولى يقطنون فى القسم الغربى من حيفا ، ويشتغل أغلبهم فى التجارة التى برعوا فيها واغتنوا من ورائها . ومن اجل نماء هذه التجارة حصروا بيعهم وشراءهم فيما بينهم فقط .. وافتتحوا لهم فرعاً لمصرف «انجلو فلسطين» ، والذى لا يتعامل إلا مع اليهود فقط . اضافة الى انه يبتاع اراضى واملاكا وعقارات مختلفة ويعطيها لشباب اليهود وفقرائهم اضافة الى اقراضهم اموالا يستطيعون بها تنمية مواردهم ، ويستطيعون بعد ذلك اداء ما عليهم على أقساط طويلة الأمد .

وقد اهتم اليهود فى حيفا بنشر اللغة العبرية ، فقاموا بفتح بعض المدارس التى كان يؤمها مئات التلاميذ يومياً .

خمسة أيام حاسمة

هناك خمسة أيام حاسمة وحافلة فى



مصيف ناتانيا

حياة حيفا المعاصرة ...

اليوم الأول كان فى عام ١٩٠٥ ميلادية .. حينما شهدت المدينة ميلاد أول خط حديدى لأول قطار ينطلق من محطتها او ينتهى اليها . فلقد تحرك فى ذلك اليوم قطار سكة حديد الحجاز فربطها بدمشق وحوران وعمان والحجاز

وبعد ان كانت حيفا وثغرها مقرا متواضعا لصيادى السمك وصغار التجار أصبحت تنمو وتتوسع فى نهضتها وتجارتها ولكن على حساب جارتها عكا !

فصارت حيفا ميناء هاما تصدر منه حبوب المنطقة المجاورة ، وتصل بواسطته البضائع المختلفة القادمة من شتى بقاع العالم .

واليوم الثانى من أيام حيفا الحاسمة كان فى عام ١٩١٨ حيث بدأ عهد جديد خيم بظلاله السوداء فيما بعد على حيفا فلسطين فالشرق الأوسط ، وذلك حينما احتل المدينة الجنرال اللنبى والكولونيل ستانتون وهما يقودان الجيوش البريطانية التى اشتبكت فى معركة حربية مع فلول الجيش التركى الذى كانت مدفعيته الالمانية تتمركز فى غابات الصنوبر فى الكرمل . وكذلك عندما أوصل اليها الجيش البريطانى أول قطار يربطها بمصر حيث صار معظم المسافرين يمرون بها وبخاصة الذين يسافرون بين مصر وسورية وبالعكس .

واليوم الثالث فى حياة حيفا كان فى عام ١٩٤٠ عندما بدأ الجيش البريطانى فى تحريك أول قطار متجه من بيروت وطرابلس خلال الحرب العالمية الثانية . وبهذه الشبكة المهمة من الخطوط الحديدية ارتبطت حيفا بخطوط العالم الرئيسية ، واصبحت المدينة ذاتها محطة يتدفق اليها الوف العمال العرب طلبا للرزق ، كما رحل اليها بعض كبار التجار السوريين والمصريين واللبنانيين اما اليوم الرابع فى حياة مدينتنا الساحرة فقد كان فى عام ١٩٣٣ ... وفيه عدة خطوط عريضة برزت فى تاريخ المدينة ..

فلقد افتتح مدير شركة بترول العراق اول أنابيب البترول الممتدة من كركوك الى حيفا تحمل اليها نصف ما كانت تصدره العراق من بترولها ومنها يصدر الى أوربا وغيرها .

ومما زاد فى ازدهار حيفا وجعلها مقصد الرزق للكثيرين من داخل البلاد وخارجها بناء مصفاة حيفا الشهيرة .

وشهد نفس العام تدشين ميناء حيفا ليكون أعظم موانىء البحر المتوسط بعد مينائى مرسيليا والاسكندرية وبلغ عرض مدخله ١٧٣ مترا ، فاصبح الشريان الحيوى لفلسطين والأردن وسوريا والعراق وايران وغيرها من الأقطار الآسيوية .

ومما ساعد على ازدهار المدينة فى المجال الاقتصادى توفر أعمال البناء وصناعة الاسمنت والسجائر والنسيج والصابون ومطاحن الدقيق واخيرا صناعة تكرير البترول .

يقول استاذنا المرحوم محمـــــود العابدى : لقد كانت حيفا تشكل قوة مغناطيس تجذب اليها العامل العربى من سائر بلاد الشام دون حساب الحدود السياسية المصطنعة ، ولذلك كان جنيه حيفا يداعب خيال كل طموح ولا سيما التاجر السورى الذى نجح نجاحا باهرا فى مزاحمة اليهود تجاريا ، لذلك كانت حيفا مركز العمل والعمال فى فلسطين .

ومن الخطوط العريضة التى برزت كذلك فى عام ١٩٣٣ استقبال حيفـــا لجثمان المغفور له الملك فيصل الأول حيث خرجت الجماهير عن بكرة أبيها تحيي الزعيم العربى الراحل ، وأقامت له بعد ذلك نصبا تذكاريا امام جامع الاستقلال ، والملك فيصل هو فيصل الأول ابن الحسين الهاشمى يعتبر من أشهر ساسة العرب فى العصر الحديث وقد نودى به ملكا على العراق عام ١٩٢١ ثم وافته المنية فى سويسرا بعدئذ .

وقد خلد شاعر فلسطين الراحل ابراهيم طوقان هذه المناسبة بقصيدة مطولة جاء فى مطلعها :

شيعى الليـــل وقومـــى استقبلـــى
طلعة الشـــمس وراء الكرمـــــل
واخشعى ، يوشك أن يغشى الحمـــى
يا فلســـــطين سنى من فيصـــــل

وخامس الأيام المشهودة فى حياة حيفا هو يوم الثالث والعشرين من نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ . وفيه انسحب البريطانيون من حيفا وتركوها لقمة هنية فى أفواه الصهاينة . لقد حدث ذلك برغم أن الأدارة البريطانية قد اكدت مرارا فى بياناتها الرسمية انها لن تتخلى عن حيفا قبل انتهاء الانتداب يوم الخامس عشر من مايو (أيار) من نفس العام ، وانهم مسئولون عن الأمن حتى ذلك التاريخ . ولم يقف البريطانيون عند هذا الحد بل عمدوا الى شطر المدينة شطرين ، ووقفوا على منافذها يمنعون وصول النجدات العربية اليها ، بينما ساعدوا اعداءنا على التمركز والتحصن!

الرحيل .. الرحيل

لقد اجمع المؤرخون الذين رصدوا مراحل النكبة الفلسطينية على بطولة المجاهدين الفلسطينيين من ابناء حيفا وقراها المجاورة .. فلقد قاتلوا اليهود

خمسة اشهر كاملة سبقت سقوط المدينة فقتلوا خلقا كثيرا من اعدائهم ، ونسفوا معامل التكرير التابعة لشركة بترول العراق البريطانية ، ودافعوا عن ارضهم وعرضهم دفاع الصناديد . برغم ان عدد المناضلين الحقيقيين فى حيفا لم يتجاوز فى اى وقت من أوقات النضال عن الاربعمائة مناضل ولقد اظهروا من ايات البطولة والفداء ما يستحق التقدير والاعجاب ....

وبعد ان انسحب البريطانيون من منطقة الميناء ، قام اليهود بهجوم صاعق على المنطقة العربية مهدوا له بضربها بالمدافع وقاذفات الالغام ، وصد الانجليز نجدة عربية قادمة من قرية الطيرة ومنعوها من الدخول إلا إذا تخلت عن أسلحتها :

وزلزل الناس زلزالا عنيفا .. وغلبوا على امرهم .. ونفد الجهد .. ونفذت ارادة الله وسقطت حيفا فى مستنقع الاحتلال الصليبى من جديد .

ويصف لنا الاستاذ قسطنطين خمار احد المشاهد المأساوية للهزيمة فيقول : لقد هرع الذين بقوا على قيد الحياة الى الميناء ، ومعظمهم حفاة بثياب النوم ، فركبوا الزوارق قاصدين عكا او لبنان ، وبلغ الزحام فى هذه الزوارق اشده حتى انقلب بعضها وغرق ، ومن الامهات من نسيت صغارها وقد اوصدت باب منزلها دون ان تعي شيئا لهول الموقف .. وكان لكل عائلة قصة من هذا . ولكل فرد رواية ولعل افظعها قصة تلك الأم الذاهلة التى نزلت المركب وهى تحمل لفافة حرصت عليها حرصا شديدا وهى تظنها وليدها ، فلما وصلت الى ميناء عكا وافاقت من هول الصدمة هالها أن ترى أن ما كانت تحمله لم يكن إلا وسادة فاغمى عليها فورا .

... وهكذا وفى ساعات سوداء من ايام قاتمة فى تاريخ العرب وفلسطين فرغت المدينة او كادت من خمسة وسبعين الف عربى كانوا يشكلون نصف سكانها ، ويمتلكون سبعين بالمائة من عقاراتها وانشاءاتها .

اما اليوم فيقدر عدد سكان حيفا وضواحيها بحوالى ٤٥٠ الف نسمة ، بينما يقدر عدد العرب بحوالى ٢٥ الف نسمة .



مصيف ناتانيا بالوطن السليب

تقسيمها الاداري

كان قضاء حيفا فى نهاية الانتداب البريطانى على فلسطين يضم ٥٢ قرية عربية ، وما يقرب من ستين مستعمرة يهودية ، سبع منها فقط أسست فى العهد العثمانى والبقية فى عهد الحكم البريطانى اللعين .

كما كان فى هذا القضاء ما لا يقل عن (١٨) قبيلة من الاعراب منها قبائل : التركمان ، الزبيدات ، السواعيد ، الخوالد ، الزوايده ، العلاقمة ، المنسي ، العوادين ، وغيرهم .

اما القرى العربية فقد دمر الأعداء غالبيتها العظمى باستثناء تسع منها هى : شفا عمرو ، اعبلين ، ابطن ، عارة ، كفر قرع ، عرعرة ، عسفيا ، اجزم ، دالية الكرمل

لقد كان عدد اليهود فى هذا القضاء ايام الحكم العثمانى لا يزيد عن ٣,٥ بالمائة من مجموع السكان ، ثم اضحوا فى اواخر العهد البريطانى الأسود ٤٦,٥ بالمائة .

هذا وينسب الى قضاء حيفا عدد كبير من الشخصيات الفلسطينية البارزة منها:

●● نجيب نصار ١٨٦٢ ـ ١٩٤٨ م : صحفى مرموق ، تولى اصدار جريدة «الكرمل» الأسبوعية فى حيفا عام ١٩٠٩ ميلادية . طاردته الحكومة العثمانية بعد ان اقفلت الجريدة ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاود اصدارها الى ان أمرت الحكومة البريطانية باقفالها عام ١٩٤٠ . توفى فى الناصرة فى عام النكبة الأولى .

● رشيد الحاج ابراهيم ١٨٨٩ ـ ١٩٥٣م وجيه مرموق ، وسياسى بارز ، مثل فلسطين فى كثير من المؤتمرات التى عقدت لمجابهة الانتداب البريطانى والهجرة اليهودية . كان واحدا من رجالات فلسطين الذين نفتهم بريطانيا الى جزيرة سيشل عام ١٩٣٧ ، تزعم شئون القتال فى حيفا قبل ضياعها . هاجر الى الأردن وفى عمان أدركته الوفاة

●● نقولا الدر ١٩٠٩ ـ ١٩٦٧ : من مواليد قرية شفا عمرو ، تخرج من كلية «تراسنطة» فى القدس عام ١٩٣٦ ، نزح بعد النكبة الى الاسكندرية ، وبعد عام انتقل الى بيروت حيث اخذ يمارس



كاتب المقال داخل مدينة حيفا



جانب من حي الميناء بالمدينة

نشاطه الصحفي والادبي ، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة (ديلي ستار) الانجليزية التي تصدر في بيروت . وفي عام ١٩٦٤ انتخب نائبا لرئيس المجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس ، ثم تولى رئاسة دائرة التوجيه والاعلام بمنظمة التحرير الفلسطينية . حسبه فخرا كتابه الرائع «هكذا ضاعت وهكذا تعود» الذي صدر عام ١٩٦٣ وتضمن شرحا علميا وافيا لخطر النفط العربي وعلاقته بكارثة فلسطين وتحريرها .

●● حسن البحيري ١٩٢٠ ـ .....
ولد في حيفا ، وأنهى الصف الابتدائي الرابع ، عمل في سكة الحديد ، ودرس على نفسه الانجليزية والعبرية ، نشر قصائده ومقالاته في الصحف الفلسطينية والمصرية واللبنانية ، اشترك مع الفدائيين العرب في نسف «المطحنة الكبرى» وكثير من الأماكن اليهودية المهمة ، بعد النكبة الأولى نزح الى دمشق حيث عمل مراقبا للقسم العربي في الاذاعة العربية السورية ، ثم عين استاذا للادب العربي في بعض ثانويات دمشق . له عدة دواوين شعرية ومترجمات مطبوعة ومخطوطة .

حيفا .. والواقع

تعتبر حيفا ثالثة اكبر المدن الفلسطينية المحتلة بعد القدس وتل ابيب حيث تبلغ مساحتها حوالى مائة كيلو متر مربع .

وهي مركز مهم للصناعات اليهودية الثقيلة المقامة على خليج عكا ، مثل مصانع الاسمنت ، والاسلاك الكهربية ، والزجاج ، والسماد ، والكيماويات . وفيها مصفاة البترول وغيرها . اما الميناء فهو بمثابة القلب البحري النابض للكيان الصهيوني ، وحركة العمل فيه نشيطة جدا تعادل نحو ٥٦ بالمئة من مجموع حركة العمل في الموانىء الفلسطينية الحالية الثلاثة : حيفا وأشدود وايلات .

ويعتبر مرفأ المدينة مركزا للاسطول الحربي اليهودي ، وفيه ترسانة ضخمة لبناء السفن واصلاحها .

ووزارة السياحة الاسرائيلية تحاول ان تجعل من حيفا نقطة انطلاق للرحلات السياحية الى مدن وقرى الجليل . وتركز الدعاية السياحية على الجمال الطبيعي للمدينة ، ووجود الميناء نفسه في مقدمة الأسباب التي تساهم في زيادة السياحة في المدينة حيث تتوقف معظم ناقلات الركاب في هذا المرفأ الحيوي .

ومن أهم الأماكن التي يدعى السياح لزيارتها بالمدينة هي : بناية «داغون» لطحن القمح وترتفع ٦٠ مترا وهي أعلى بناية في وطننا المغتصب ، وسبعة متاحف هي : المتحف البلدي ، متحف الفن الحديث ، متحف الفولكلور ، المتحف الملاحي ، متحف الفن الياباني ، المتحف الموسيقي ، متحف الطبيعة وما قبل التاريخ .

ويوجد بالمدينة اكثر من خمسين فندقا مختلفة الدرجات ، وبعض بيوت الشبيبة . وعدد كبير من المطاعم بعضها له صبغة شرقية ويقدم المأكولات العربية مثل اللحم المشوي والفلافل والفول والحمص ، والمتبل ، وتدعي الكتيبات السياحية الصهيونية أن هذه المأكولات هي أطعمة اسرائيلية خاصة !

اما اهم الأماكن السياحية في المدينة فهو «المعبد البهائي والحدائق الفارسية» ويوجد في الحدائق البالغة الجمال تماثيل من الحجارة لمؤسس المذهب البهائي . كما يوجد بناء يحتوي على مكتبة ضخمة تضم الكتب والمخطوطات والوثائق التي تخص الحركة البهائية .

ومن مشاهد حيفا الرئيسة (معهد اسرائيل التكنولوجي ـ التخنيون) ، وكان يعرف في العهد البريطاني (بمعهد حيفا الصناعي) وتشمل الدراسة فيه الهندسة المدنية ، والصناعية ، والمعمارية ، والكيميائية ، وهندسة الطيران ، وتخطيط المدن .

وفي الفترة الأخيرة الحقت به دوائر متعددة منها العلوم النووية ، وعلم الميكروبات والجراثيم العامة ، والدراسات العامة ، والتربية ، ويبلغ عدد طلابه حوالى تسعة الاف طالب .

وفي عام ١٩٦٤ ميلادية تاسست «جامعة حيفا» ، وتضم الكثير من الأقسام العلمية والنظرية ، وبها مكتبة ضخمة تحتوي على ما يقرب من مائتي الف مجلد !

● ● ●

اثناء عودتنا الى خان يونس اخذت اردد بلوعة واسى مع حسن البحيري شاعر حيفا وابنها المتيم قوله :

حيفا .. وانت مزاج الروح في رمقي
وعمق جرح الهوى في موجعي الخفق
عيناي انت .. وانت العمر اجمعه
وانت عرش المنى في ماملي الألق
يشدني اليك شوق لو غمست له
يراع شعري في صوب الحيا الغسق
لجف حبري ولم ابلغ قراءة ما
ضمت جوانح صدري من لظى حرقي

نبيل خالد الأغا

مدخل لدراسة الفولكلور الخليجي

محمد علي عبد الله

- ملامح التشابه الثقافي في فنون شرق الجزيرة العربية
- الزخرفة العربية هي نتاج روح الشعر العربي



واجهة معمارية من البحرين يعلوها ما يشبه المقرنصات الاسلامية .

باب قديم في متحف قطر الوطني

إن الثقافة المادية لمنطقة الخليج العربى ، هى من الثقافات التى مازالت مجهولة وغائبة عن إهتمام كثير من الباحثين التراثيين للخليج ، وقد يرجع احد أسبابها إلى قلة المراجع التى تناولت هذه الناحية .

والثقافة المادية ، هى كل ما صنعه الانسان بيديه ، ليؤدى به الى غرض معيشى ، امنى ، أو فنى .

وإن اكثر المراجع الموجودة عن منطقة الخليج ، والساحل العربى بالأخص ، هى مراجع تخص الجزء التاريخى او السياسى أو بعض الملاحظات لبعض الرحالة العرب ، او الأوروبيين منذ نهاية القرن الثامن عشر !

ولذا فان الدخول فى موضوع لا يوجد له رواد خاضوه من قبل ، واعدوا عنه ارضية يقف عليها من يجيء من بعدهم ، لمن الأمور التى تدخل إلى كثير من المتاهات والافتراضات التى تتحقق صحتها او يحدث العكس مع مرور الزمن

هذا البيت البسيط

لقد بدات منذ فترة فى جمع بعض الملاحظات عن الثقافة المادية فى قطر ومقارنتها بباقى منطقة الخليج العربى ، ولم اتعجب عندما وجدت ان وحدة ثقافية كبيرة تجمع بين هذه المنطقة ، ومن هنا وجدت نفسى اذهب إلى بعض مناطق الخليج لأخذ الصور والبحث عن مراجع إذا وجدت ، او الالتقاء بالباحثين فى التراث الخليجى والمناقشة فى آخر ما توصلوا إليه فى ابحاثهم .

وقد كانت زيارتى إلى الكويت فى شهر اكتوبر من عام ٧٨ ميلاديه ، بغرض الذهاب إلى مركز الفنون الشعبية ، وكم كانت دهشتى كبيرة عندما دخلت هذا المكان ، فهو عبارة عن بيت على شاطىء الخليج العربى ، وهو من البيوت الخليجية البسيطة التى كانت تؤدى اغراضا عظيمة فى الماضى !

ودهشتى كانت اكبر عندما اكتشفت ان دراسات ذات اهمية كبرى قد خرجت من هذا المكـــــان البسيط والذى لم ار باحثين يموجون فى بعض اروقته كما يحدث فى العادة ، بل فى إحدى أطراف هذا المنزل حجرة قالوا لى بانها مكتب الأستاذ صفوت كمال ، وهو رائد فى مجاله ، وقد وصل إلى الكويت فى الستينات ، وقام بابحاث عظيمة فى جمع وتدوين التراث الخليجى منذ تلك الفترة ، وتـــوج جهوده المثمرة بكتابين احدهما : المدخل لدراسة الفولكلور الكويتى ، والآخر : من عادات وتقاليد الزواج فى الكويت ، الكتابان تعرضا إلى الثقافه المادية وحددا وصفا لها .

التشابه الثقافى

وقد اجريت معه اثناء لقائى به هذا الحديث الذى سالته فيه عن التشابه الثقافى الموجود فى شرق شبه الجزيرة العربية ، واذا ما كانت هنالك اية تيارات ثقافية خارجية دخلت المنطقة ؟

وقال لى أن دراستنا للقبائل العربية تجعلنا نلاحظ ان كل هذه القبائل مشتركة فى جذورها ، بالاضافة إلى ان طبيعة المنطقة تدل على عدم وجود حواجز طبيعية شديدة بين اتصال القبائل مع بعضها كما ان متاخمة الصـــحراء للخليـــج العربى أوجـــدت مهنة البحر ، سواء فى الغوص على اللؤلؤ ، أو السفر للتجارة فيه .

وقال انه يعتقد بان الغوص كان اقدم من التجارة ، والدليل على ذلك انها ذكرت فى نصوص (جلجاميش) ودلمون .

ومن هنا نلاحظ ان الرقعة الثقافية واحدة فى عملية التصور الأسطورى فى البحث عن اللؤلؤ ، كما ان الحفريات التى تمت فى البحرين من عمل (جفرى. بى. بى) مع وضع التصور العلمى الخيالى ، وهو ان جذوراً ثقافيه اخرى دخلت المنطقة وبالاحرى من مصر القديمة ، بالاضافة إلى الاتصال القديم مع أفريقيا والحبشه والهند سواء عن طريق اليمن او عن طريق الجزيرة العربية ، كل ذلك يدل على ان البحر لم يكن حاجزاً فى وجه عملية الانتقال .

وإذا ما لاحظنا الجانب الثقافى الآخر وذلك فى طرق حياة البدو ، فاننا نرى فى التجارة على سبيل المثال البدو يقومون بنقل التمور منذ القدم ويتاجرون بها ، كما كانوا يقومون بوسائل وسطاء فى النقل ، ما بين فارس والهند ، وكذلك ما بين العراق والهند ، والوسيلة لم تكن عن طريق البر فقط بواسطة الجمال ، بل

كانت هنالك وسيلة البحر أيضاً ، ونستنتج من هذا الانتقال والاتصال النشط عن طريق البر والبحر ، أن التبادل البشرى الثقافى كان مستمراً وموجوداً أيضاً .

مشكلة نوعية الحياة

والدارس للتصورات الاسطورية الموجودة عند العرب ، وبجانب الأساطير العربية يلاحظ تصورات اسطورية اخرى وافدة من الهند وفارس وبلاد مصر القديمة ، وكذلك من بابل وآشور .

بالاضافة إلى أن طبيعة حياة البدوى وبحثه عن الماء والكلا ، خلفت عند الانسان العربى نوعا من الالفة مع المناطق الاخرى وثقافتها ، فاصبحت هذه المناطق مطروحه ، وجاءت فترة الاستقرار والتى بدأت تطور تصوراتها البسيطة إلى أشكال اعقد واكثر تطوراً ، ومن هنا تبرز اهمية تاريخ القبائل فى دراسة اتصال الثقافات وتأثرها ببعضها البعض .

والمشكلة التى تواجه الباحث فى التراث الشعبى ، أن المراجع التاريخية لا تخبرنا عن نوعية الحياة التى كانت موجودة فى الجزيرة العربية ، فالناحية الفنية تنعدم فى هذه المصادر ، فحضارة اليمن وسد مارب حضارة عمرانية وتشكيلية مازالت بقاياها موجودة حتى اليوم ، والزخارف فى البيوت اليمنية القديمة اليوم ، ومقارنتها ببقايا المنسوجات التى وصلت إلينا ، بما فيها من وحدة زخرفية معمارية تشابه الوحدة الزخرفية الموجودة فى المنسوج وأدوات الحلى ، والسيوف ، احتفظت بنقوشها مدة أطول ، وهذا دليل قاطع على ان وحدة ثقافية في المنطقة كانت موجودة .

فن التجريد الاسلامى

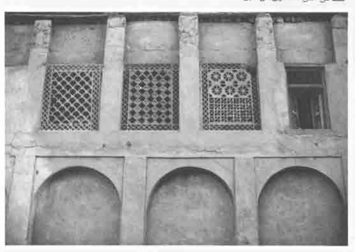
لم يكن هنالك شىء مثل اللغة فى توحيد وسهولة نقل الثقافة بين اجزاء المنطقة ، فهذه لم تكن حاجزا على الإطلاق ، ماعدا حواجز اللهجات والتى تخطاها ، وذلك بالتحدث بالعربية الفصحى ، وهذا راجع إلى فضل الدين الاسلامى والقرآن الكريم .

ومن المؤسف أن الموروث فى العصر الجاهلى قليل ، لأنها كانت تعتبر عصر جهالة وثنيه ، ولذا لم يهتم المؤرخون العرب بهذه الفترة ، ولا نستطيع التعرف على أشكال الحياة إلا من خلال الشعر الجاهلى ، ويمكننا التعرف على الثقافة المادية المتمثلة فى الشكل عندما يتغنى الشاعر فى شكل الأزياء و السيوف ، والدروع ، فهذه كلها ثقافة مادية كانت تزخر بها حياتهم .

والحضارة العربية كانت تعتمد على الكلمة ، ليس لأنها كانت مناطق انتقال ، فهذا لم يكن إلا جزءاً فالرحلات التجارية وسوق عكاظ كانت تمثل ملتقيات ثقافية بين شتى قبائل الجزيرة .

ثم ما معنى أن تعلق المعلقات فى سوق عكاظ . وقد قال بعضهم انها كانت تكتب على الحرير الدمشقى ، وتطرز بخيوط من ذهب وتحتوى كلماتها على وصف للدروع والسيوف .

وفى سير الأبطال ، مثل ملحمة عنترة ، نجد الوصف الثقافى (الاتنوغرافيا) ، ولكن بقاياها اندثرت ، وبقى ان نبحث عنها ، أما الموروث الشفاهى ، فقد حدث عليه تأثير استمر فى أشكال الحلى والتطريز ، وأرى انه يجب ان نركز تماماً على المنسوجات الشعبية ، لأنها تستطيع ان تعطينا صوراً عن الرؤية الفنية التشكيلية عند الفنان العربى القديم .



نمط من الفن المعمارى فى دبى .

زخرفة الأبواب .

والفن العربى عندما ظهر لم يكن مرتبطاً بمفهوم التجريد الاسلامى وإلغاء الصورة ، بل كان مرتبطاً بوحدة الثقافة . ونلاحظ أن كلمة نمنمة عربية ، ومعناها أثر الرياح على الرمال التى جعلت البدوى يلاحظ الآثار الدقيقة جدا ، ويستطيع التعرف على آثار المشي ومدتها وحالة الماشي البصرية والجسدية من أثر على الرمل ، فهذه قدرة على التأمل الشديد جداً المبنى على إدراك التغيرات البسيطة الجزئية .

ولهذا فان الزخرفة العربية المسماه بالأرابسك هى نتاج هذه الروح الموجودة فى الشعر العربى ، وهى تكرار النمنمة فيه ، فالشاعر يضع التفعيلة ويبنى عليها عشرات ومئات الأبيات ، وبقافية واحدة ، فهذه هى نفس نغمة الزخارف ، وكذلك الموسيقى فالتقاسيم فيها نمنمة ، وهذه كلها تعبر عن وحدة ثقافية لهذه المنطقة فى اعقد اشكالها !

المثلث على الأبواب

لقد كنت ابحث عن سبب وجود وحدة زخرفية معينة وهى المثلث ، وتكرارها فى معظم فنون وكماليات حياة الناس فى الخليج العربى ، مثل الأبواب ، وزخرفة الجبس ، وإطارات الأبواب الخشبية ، وعندما سألت احد الحرفيين عن تسميتها قال لى بأنها تسمى (بروج) والبرج عند اهل الخليج يرمز إلى الحماية والأمن ، وهذه الوحدة استعملت بكثرة فى فنون بابل فى بلاد ما بين النهرين وهى أقرب الحضارات القديمة من المنطقة .

والمثلث هو اصغر وحدة هندسية ، والمثلث هو اطوع وحدة هندسية فى تجميل الأشكال ، ومرتبطة بالخط المستقيم ، والمثلث المتساوى الأضلاع ، يصنع تقريبا اى شكل ، حتى الأشكال الدائرية . والتصور القديم للقاء الشمسى أو عالم السماء مع الأرض يكون نصف بيضة ، وهو التقاء شبه مثلث ، ولا مجال هنا للدخول فى فلسفة هذه الأشكال.

تدوين الفن الشعبى

لقد كان الانسان العربى مع الخط المستقيم كعنصر هندسى فى معظم شئون حياته ، كبناء المنزل والنسيج . وبناء السقف تحت ظروف رياضية وهندسية صارمة ، ومن هذا المنطلق كان تأثر الفنان العربى بالهندسة اكثر من اى شىء آخر فى بناء عناصر زخرفية ومثال ذلك الخط المستقيم والخط المنكسر .

إننا لا نستطيع فصل الفن التشكيلى عن الشعر ، فالاثنان وسيلتان للتعبير عن حالة واحدة .

وكذلك فاننا لا نستطيع تفسير نوع أو نمط من الفنون فى عزلة عن بقية الفنون وبالأخص الفنون الشعبية ، لأنها كلها تصدر عن فكرة واحدة ، وثقافة واحدة ، ولكن بوسائل مختلفة ، وتاتى لحظة نرى بأن كل هذه الفنون مشتركة ، ومثال ذلك ما يحدث فى احتفالات الأعراس ، فهنالك الرقص ، والغناء والموسيقى ، والتزيين .

القارىء لهذه السطور يستنتج بأن الفن الشعبى ليس ذلك الفن الناتج عن رجل الشارع أو الرجل الشعبى ولكنه فن تمتد جذوره آلاف السنين وهو يتعرض فى عصرنا الحالى إلى اندثار خطير وسريع يتوجب علينا أن نقوم بحفظه وتدوينه بشتى الطرق والوسائل الحديثة فى التدوين والتوثيق ، حتى نترك مادة لا بأس بها ، للأجيال القادمة ، قبل أن تتداخل الثقافة الانسانية ، بفعل وسائل الاعلام الحديثة ، وتنشأ عنها ثقافة محايدة ، لا تمثل أحداً ولا تنتمى إلى أحد وكل ما يبقى للناس وثائقهم التى قاموا بجمعها وتوثيقها .

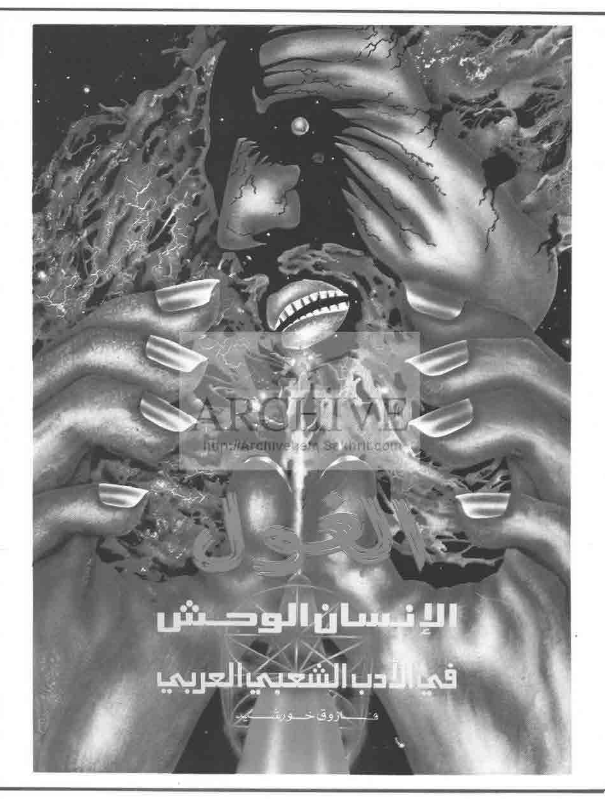
محمد علي عبد الله



قارب الصيد على شاطىء عجمان .



البيوت القديمة فى دبى .


ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com
الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي
فاروق خورشيد

● الخــــوف من المجـــهول جعــل الخيـــال الشـــعبي يرســم مخلوقات عنيــفة وقاســـية!

تعود الخيال الشعبى أن يجسد مخاوفه من المجهول على شكل مخلوقات عجيبة من طير السماء أو وحش الأرض أو الماء .. وتعود حين يرسم هذه المخلوقات ان يجمع لها كل صفات العنف والقسوة من ناحية ، وكل القدرات الخارقة التى تفوق قواه المحدودة من ناحية أخرى ، كما تعود أن يجمع فى مخلوقاته المتخيلة هذه ، سمات من هنا وهناك ، أى من حيوان البر أو وحش البحر أو طير السماء ، بحيث تخرج شيئا مزيجا من كل ما هو مهول مخوف من أعضاء هذه المخلوقات التى يراها ويعرف قوتها وبطشها ، ويعرف أيضا مواطن القوة والبطش فيها .. فيختار هذه المواطن أو يختار منها ، ويضيف بعضها الى البعض ، ثم يضيف من عنده ما يزيد هذه المخلوقات هولا على هول ..

ونستطيع ان نلحق الوحوش الخرافية بالمأثورات الشعبية والاساطير التى دارت حول الحيوان .

الوحوش الخيالية

وقد استمد الخيال الشعبى شكل وحوشه المخيفة من الحيوان ، وربط هذه الوحوش بمأثوره المتوارث حول الحيوان وربط هذه الوحوش بقوى الشـيطان والجن ، كما ربطها بقوى السحر ، وعلوم الاقلام .. ولهذا أخذت هذه الوحوش الخيالية صفات حيوانية من ناحية الشكل ، وصفات شريرة من ناحيـة المضمون ، واحيطت بالأسرار والهواجس ومظنة السحر والطلاسم .. الا ان الحيوانات سواء منها عابرة السماء أو سابحة الماء أو جائلة الأرض ليست وحدها الموجودات الحية التى يمكن ان يصدر عنها الشر ، فهناك أولا ودائما الانسان ..

ـــ فكما ان الحيـوان منه المستأنس النافع ، ومنه الوحوش الضارة ، فالانسان كذلك منه الطيب الخير ، ومنه الشرير الذى يبث الضرر ويحدث من المخاوف ما يرقى بـه مرتبة الحيوان الضار المخيف ، ومنذ حكاية قابيل وهابيل وهذه الطبيعة المزدوجة تلصق لصوقا كليا بالانسان فى كل عصر وكل مكان .. وبعض النـاس يقتصر شرهم على المحيط الضيق الذى يعيشون فيه ، وبعضهم عتيد يشمل المجتمع كله ، وبعضهم الآخر تمتد اذرع الشر التى يمدونها لتشمل الوجـود الانسـانى لعصرهم ، فيصبحون وحوش زمانهم كله ويتحولون الى اساطير للشر الخالص عبر كل زمان ومكان بعد ذلك .. ومن قابيل الى النمرود الى العماليق الى فرعون الى عوج بن عنق الى طالوت ، الى اهرمين وجمشيد والضحاك ، الى ست أو تتفون ، تمتد اسماء الرجال الذين يمثلون الشر والطغيان ، ويعيشون حياتهم فى سفك الدماء وتدمير كل قوى الخير فى عصورهم ..

وقد بالغ الضمير الشعبى فى صفات هؤلاء البشر مبالغات كثيرة تتفق مع ما تصوره لهم من قدرة على الشر والايذاء ، كما ربطهم دائما بالشيطان من ناحية وبعالم السحر الشرير ، والحكمة الخبيثة ، والاتصال بقوى الشر الخفية من ناحية أخرى الا أن الخيال الشعبى فعل فى وصف هؤلاء الرجال ما فعله فى وصف الوحوش الخيالية المخيفة ، فاضفى عليهم من الصفات ماجعلهم فوق المألوف من أشكال البشر فى الشكل وفى القدرة وفى الاعمار أيضا .. ويقول الثعلبى فى كتابه (العرائس) وفى وصفه لعوج بن عنق : «كان طول عوج ثلاثة وعشرين الف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول» ولست أدرى كيف يكون هذا ولكنه الخيال الشعبى الذى ربط عظم الشر بعظم الجثة وضخامة الحجم .. ويستمر الثعلبى فى وصف قدرات عوج بن عنق فيقول :«وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب من الماء ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله» هذه القدرة تجسد أضخم ما يمكن ان يصل اليه الخيال الشعبى .. وهذه القدرات الفائقة كلها لا تمنع عنه العقاب ولا تتيح له النجاة من غضب الله لانه جبار وعاص .. ويقول الثعلبى فى حكايته عن عوج بن عنق : «يروى انه اتى نوحا فى ايام الطوفان فقال له احملنى معك فى سفينتك ، فقال له اذهب يا عدو الله لم أومر بك ، فطبق الماء الأرض ، من سهل ومن جبل ، وما جاوز ركبته»



الغول كما تخيله الفنان التشكيلي وهو يشوى لحم الانسان .

السندباد والغول

وفى نص الثعلبى فى العرائس نجده يقول : «وكانت ام عنق هى احدى بنات آدم من صلبه ، ويقال أنها كانت أول من بغى على وجه الأرض ، وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين ، وكان موضع مقعدها خربه من الأرض ، ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا فقتلوها واكلوها» .. وهذا النص يقدم لنا تفسيرا لشيمة عنق ، وهو تفسير لم تقدمه لنا نصوص كتب التفاسير والأخبار فعنق هنا هى أم عوج ، وهى مثله فى الضخامة والبغى ، وهى مثله كافرة يرسل الله الوحوش ليريح الدنيا من شرها ، فهنا أيضا شخصية الوحش الانسانة .. ذلك المارد المهول وتلك الماردة اللذان جسد فيهما الخيال الشعبى كل مخاوفه من قوى الشر والطغيان من ناحيه، واللذان حملهما الخيال الشعبى أيضا خوفه

القديم الهابط من عصور وثنيته الأولى ، والهتها الشريرة الفتاكة الظالمة .. وهما هنا ليسا على صورة حيوان ، او تجميعا لكل ما هو مهول من وحوش البر والماء والسماء ، وانما هما هنا مستمدان من الصورة الانسانية للبشر .. ولابد لكى تكتمل صورة الايذاء ، ان يتحول فعل الشر من ميدان المعنى الى ميدان المادة المحسوسة ، وهكذا ربط الخيال الشعبى بين صورة هذا الوحش الانسانى وبين افتراس البشر افتراسا ماديا مجسدا فى أكل لحوم البشر ، وسنجد هذه الصورة مكتملة فى الف ليلة وليلة فى رحلة السندباد البحرى الثالثه .. ففى هذه الرحلة ترمى الريح مركب السندباد الى جبل القرود . وهم اقزام يشبهون القرود فى اشكالهم .

(وهم اقبح الوحوش ، وعليهم شعور مثل لبد الأسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم احد كلامهم وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم اربعة أشبار) وينهب هؤلاء الزغب السفينة ويحطونها على جبلهم ، ويقودون البحارة الى الجزيرة حيث يمكثون فيها مرغمين .. وواضح انهم وان لم ياكلوا البشر الا انهم فى خدمة الغول ساكن الجزيرة

وفى الجزيرة يرى الناجون من المركب قصرا عظيما فى وسطها فيقصدون اليه بحثة عن الامان ، وطمعا فى وجود انسان يدلهم على كيفية الخلاص من ورطتهم هذه ..

وفى الصباح التالى ترتج الأرض رجا تحت اقدام الغول الذى جاء يبحث بينهم عن طعامه ، ويصف السندباد هذا الغول بقوله : «شخص عظيم الخلقة فى صفة انسان ، وهو اسود اللون طويل القامة كانه نخله عظيمة ، وله عينان كانهما شعلتان من نار ، وله انياب مثل انياب الخنازير ، وله فم عظيم مثل البئر ، وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره ، وله اذنان مثل الحرامين مرخيتان على اكتافه ، واظافر يديه مثل مخاليب السبع» .. ووسط الرعب الذى احدثه ظهور هذا (الشخص) كما يسميه السندباد يتقدم نحوهم ليجسهم واحداً واحدا (مثل ما يجس الجزار ذبيحة اللحم) ، ثم يختار اسمنهم ، واكثرهم شحماً ولحماً ، وهو (ريس المركب) او الربان .. ويحكى السندباد ما فعله الغول به فيقول : «قبض عليه مثلما يقبض الجزار على ذبيحة ، ورماه على الأرض ، ووضع رجله على رقبته ، وجاء بسيخ طويل فادخله فى حلقه حتى أخرجه من دبره ، واوقد ناراً شديدة ، وركب عليها السيخ المشكوك فيه الريس ، ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه ، واطلعه من النار ، وحطه قدامه ، وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة ، وصار يقطع لحمه باظافره وياكل منه ، ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل لحمه ونهش عظمه ، ولم يبق منه شيئا ورمى باقى العظام فى جنب القصر «هذه الصورة التجسيدية لوحشية الغول ، واكله للحم الناس ونهشه لعظامهم لاشك تثير الرعب ، ولكنها ايضا ترسم صورة رمزية لوحشية الطاغية اينما كان ، وكيفما كان .. ويتغلون السندباد ومن يتبقى معه من بحارة ، بعد ان يصنعوا مركبا فى صبر وصمت وهو ياكل كل يوم منهم واحداً ، فياخذون (سيخين من حديد من الاسياخ المنصوبة ، ووضعناهما فى النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر ، وقبضنا عليهما قبضاً شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الغـول ، وهو نائم يشخر ووضعناهما فى عينيه وهو نائم فانطمستا) واستيقظ الغول وجعل يبحث عنهم وهو أعمى دون جدوى فخرج ، فهرع السندباد ومن معه الى المركب ، ولكنهم فوجئوا به يتعقبهم ومعه (انثى اكبر منه وأوحش) ، وركبوا المركب تتعقبهم الحجـارة يرميهم بها الغول وانثاه ..

الف ليلة وليلة

وتتردد صورة الغول فى ادبنا الشعبى فى أكثر من شكل وأكثر من مكان . ففى الليلة (٤٨٤) من الف ليلة وليلة ، ضمن حكاية حاسب كريم .. تلقى السفينة الغارقة بالملك جانشاه ومماليكه الى جزيرة فى البحر ، وفى وسطها يجدون رجلا جالسا الى جوار عين جاريه (فاتوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير ، فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ، ثم ان الرجل التفت يميناً ويساراً ، وبينما هم يتعجبون من ذلك الرجل اذ هو انقسم نصفين ، وراح كل نصف فى ناحية ، وبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم اصناف رجال لا تحصى ولا تعد ، أتوا من جانب الجبل ، وساروا حتى وصلوا الى العين ، وصار كل واحد



لوحة للانسان الغول من متاحف لندن .



غول من عالم الجان



الضخامة صفة من صفات الانسان الوحش

منقسماً نصفين ، ثم انهم اتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم ، فلما رآهم جانشاه يريدون أكلهم هرب منهم ، وهربت معه المماليك ، فتبعهم هؤلاء الرجال فاكلوا من المماليك ثلاثة وبقى ثلاثة مع جانشاه) .. وهؤلاء الغيلان هم انفسهم الذين سيقاتلهم جانشاه ومماليكه حين يأسرهم القرود ، وينصبونه ملكاً عليهم ليحارب معهم اعداءهم الغيلان الذين يحتلون نصف الجزيرة الاخر ..

والصورة هنا تضيف الى جانب الوحشية وأكل لحوم البشر ، مظهراً محيراً فى طبيعة هذه الغيلان التى تنقسم وحدها الى نصفين ، وتتكاثر بهذه الطريقة المزعجة تكاثراً يشبه الكوابيس المخيفة .. واذا كانت الغيلان صاحبة قدرة على التكاثر والانقسام فى حكاية ، فهى صاحبة قدرة على تغير أشكالها فى حكايات أخرى ، ونحن نقرأ فى الليلة الخامسة من الف ليلة وليلة فى (التاجر والعفريت) فى المجلد الأول أن ابن الملك ضل الطريق ، ويلتقى بجارية جميلة تبكى ، واخبرته انها بنت ملك من ملوك الهند ضلت طريقها ، فرق ابن الملك لكلامها وحملها على ظهر دابته ، وفى أثناء الطريق استأذنته فى قضاء الحاجة عند دغل (ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لا تعلم به ، فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها قد أتيتكم اليوم بغلام سمين) .. ويتخلص منها ابن الملك بعد ذلك ، ولكن الذى يهمنا من هذه الحكاية هو معرفته بأنها غولة بمجرد أن رآها على حقيقتها فى الدغل .. فصورة الفتاة الجميلة التى ظهرت له عند أول لقاء بها شىء يختلف تماماً عن الصورة التى رآها فيها بالدغل ، ولم يقل لنا ابن الملك كيف عرف انها غولة . ولكن اكتفى بأن نظر اليها فعرف فوراً انها غولة ، اذ تغير مظهرها بما هو مألوف عنده من مظهر الغيلان والغولان .. ولكن احتفظ للغولة بطابع اخر غريب ، اذ هى تسعى لتأتى لصغارها بالطعام ،

وهذه الصفة التى تقترب من وجود بذور خير فى اعماق الغولة نعرفها فى الحدوته الشعبية عن الشاطر حسن الذى يخرج باحثاً عن ست الحسن والجمال التى اختطفها المارد فيخبره الحكيم ان يسير فى سكة السلامة حيث سيجد فى اخر الطريق أمنا الغولة ، وقد جلست تسرح شعرها فى حرار الشمس ، فان وجدها قد جمعت شعرها الى جانب وجهها الايسر فلا يكلمها ابداً ، اما اذا كانت قد جمعت شعرها على جانب وجهها الايمن فليقرئها الشاطر حسن السلام وهى تدله على طريقة خلاصه ،

نحن هنا نشهد عملاً من أعمال الخير تقدم عليه الغوله ، حين يتعمد الانسان ان ينسى جانبها القبيح ، وأن يستثير عطفها بتعاطفه معها ، وأخفاء خوفه وكراهيته لها ، واعلان قبوله للجانب الحسن فيها ، وتجاهله الكامل للجانب الشرير فيها .

والحكاية الخرافية هنا تجعل السلام والمبادره مفتاحاً للجانب الخير فى الغوله كما أن الدعاء من القلب فى الحكاية السابقة كان المفتاح الى نفس الجانب الخير فيها ، ووسيلة الى تجنب شرها ، بل والحصول على مساعدتها .. وقد يكون فى هذه الحكايات جانب تعليمى ، وقد يكون فيها جانب خلقى .. الا انها على كل حال ترسى بذوراً خيرة فى كل نفس متوحشة شريرة ، حتى لو كانت نفس الغوله ، وهذه الحكايات تؤكد وجود الغوله الانثى الى جانب الغول الذكر ، فما هو الغول ؟ ..

هذا الحيوان الخرافى

تقول الموسوعة العربية الميسرة : «الغول حيوان خرافى اعتقد فيه العرب الجاهليون ، وهو عندهم من الخوارق ، وروى أن بعض الادميين تزوج من اناث الغيلان ، ومما يشير الى وجود علاقة بين هذا الحيوان الخرافى وبين الاساطير والديانات القديمة ما يروى عن علاقته ببعض الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد . والمشهور أن الغول يهلك بضربة واحدة من السيف فاذا ضرب الثانية عاش..» والواقع ان محور هذه الفقرة يرجع فى هذه الفقرة المختصرة الى ما اورده الجاحظ فى الجزء الأول والجزء السادس من كتابه الحيوان من حكايات عن الغول وعن الجان . وقد زخرت الأساطير العربية القديمة بحكايات الغيلان بصورة واضحة ..

فالغيلان إما صنف من الانسان المتوحش ، أو حيوان توحد فتوحش وتغول ، أو ابن من ابناء الجان ولد من بيضه من بيضات زوجته ، وإما خيال توهمه الناس المستوحشون فى القفار والغيلان واما رؤى تحدثها الكواكب فى حركاتها .. فهى اذن إما موجودة خارج الانسان كشىء حقيقى موجود يؤمن به وينسب قواه الى الجان ، واما شىء من خلق مخيلته يضيف اليه التهاويل

الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي

والصور . ولكن هذه الغيلان جميعا تشترك فى انها (كانت تتراءى لهم فى الليالى واوقات النهار) فيتوهمون انها انسان فيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق التى هم عليه وتتيههم) كما يقول المسعودى وربما استطعنا ان نضيف الى قوله ، انها ربما ايضا تراءت لهم على صورة حيوان او صيد ، وما اكثر قصص الغزالة التى تتراءى للصياد فيتبعها حتى تغيب عن عينيه ، ثم تقف له حتى يراها ويقترب منها ، فتعود وتهرب من امامه مغرية اياه ان يتبعها ، ويتكرر هذا منها ، ومنه حتى يجد نفسه قد ضل الطريق اخر الامر ، وهى (موتيفه) تتكرر كثيرا فى الف ليلة وليلة ، وسيف بن ذى يزن وغيرهما من الحكايات الخرافية والحواديت والسير الشعبية العربية الاخرى .. الا ان الذى يقربها الى هذا الافتراض ما يذكره المسعودى فى قوله : «ويزعمون ان رجليها رجلا عنز . وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون :

يا رجل عنز انهقى نهيقا
لن تتزلى السبيل والطريقا

أسئلة الجاحظ

وهناك الى جوار هذه السمات التى يمكن أن تكون رموزا وعلامات ، بعض الصفات التى يذكرها الجاحظ فى الجزء الاول من الحيوان فى مراحه الذى كتبه الى احمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة (التربيع والتدبير) .. ففى طوايا هذا المزاح يساله عن اشياء كثيرة من غرائب (المعرفة) ومنها يساله (كيف صارت الظباء ماشية الجن ؟ وكيف صارت الغيلان تعبر كل شىء الا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربة وعاشت من ضربتين ؟ ولم صارت الارانب والكلاب والنعام مراكب للغيلان ؟ «وهذه الاسئلة التى يسوقها الجاحظ انما تحوى بعض الرموز الوافدة او المتخلفة من المعتقدات الاسطورية القديمة . ويذهب الجاحظ الى انها انثى الجن فيقول (والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن اذا لم تتغول لتفتن السفارة» والمعنى المقصود بالتغول هنا التحول .



ملامح الغول قاسية وعنيفة

ويستأنف حديثه عن هذه الظاهرة ، وهى لاشك تفسر لنا حكايات النساء اللاتى يلبسن الريش ويطرن الى بلادهن التى لا احد فيها سوى النساء ، وهى موجودة فى سيرة سيف بن ذى يزن : «فمن هذا النتاج المشترك ، وهذا الخلق المركب عندهم : بنو السعلاة من عمر بنى يربوع ، وبلقيس ملكة سبأ» وهذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا اليه فى مقارنة حكاية بلقيس بهذا الرمز الواضح فى ساقى العنزة عندها وعند الغول . واذا كان يمكن لنا ان نحيل بعض ما جاء فى هذه الحكايات عن الغول الى موتيفات شعبية او اسطورية قديمة فان هناك رمزا يحيرنا لاتاويل له إلا التاويل الادبى ، وذلك هو ظهور الغول كنصف انسان او كشق ..

وقد رأينا هذه الصورة فى الحكاية التى ذكرناها عن رحلة الملك جانشاه فى الف ليلة ، ونحن نجد هذه الظاهرة عند الجاحظ الذى ينسب هذا الشق لا الى الغيلان وانما الى الجان فيقول : «ويقولون : ومن الجن جنس ، صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان ، واسمة (الشق) ، وانه كثيرا ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما اهلكه فزعا ، وربما اهلكه ضربا وقتلا» ويحكى فى ذلك حديث علقمة بن صفوان ابن امية جد مروان بن الحكم .. ويذكر هذا (الشق) القزوينى فى (عجائب المخلوقات) كما يذكره الدميرى فى (حياة الحيوان) .. الا اننا نراه فى حكايات الف ليلة غولا ياكل الناس ، ويحاربه القرود ، ويعيش فى شبه تجمع كبير ..

حكايات الرحالة القدماء

ووجود المجتمعات التى تاكل لحوم البشر شىء عرفه الجغرافيون القدماء ونقلا عن الرحالة الذين سجلوا ملاحظاتهم عن غرائب الأشياء التى صادفتهم فى رحلاتهم . وفى أرخبيل جزر الهند الشرقية جزيرة اسمها (بالوس) كان فيها حتى القرن التاسع عشر قبائل (الباناك) وهى قبائل من السود طوال القامة اكلى لحوم البشر ، ويحكى هيرودس المؤرخ الاغريقى القديم عن قبائل (الساجباتى) انها كانت تاكل اكبر شيوخ القبيلة سنا ، وهى تاكله حتى تحتفظ بحكمته وتجربته ، فقد كانوا يذهبون الى ان خبرة الانسان تكمن فى جسمه ، ويقول ايضا ان قبائل (البلديان) فى اقصى شرق الهند كانت تاكل من يمرض من رجالها ..

ويقول المؤرخ الرومانى (سترابون) انه شاهد الايرلنديين ياكلون اباءهم حين يمرضون او تدركهم الشيخوخة ، وإن هذا الطقس تقوم به كل اسرة على حدة .. وقضية قتل زعيم القبيلة او الملك قضية قديمة . وقد أورد (فريزر) فى (الغصن الذهبى) نماذج كثيرة على استمرار عادة قتل الشيوخ اصحاب الحكمة والقوة ، والملوك فى حالة الشيخوخة عند قبائل (الشلوك) فى جنوب السودان وقبائل (البوكو) فى حوض نهر (النيجر) وفى انجولا عند جنوب مضيق نهر الكونغو ..

* * *

وسواء كان الغول جنا ، او وحشا مسه الجن ، او انسانا تجاوز حدود طبيعته البشرية الى طبيعة الوحش الفتاك ، وسواء ايضا كان الغول ذكرا أم انثى أم شقا ، فقد لعب الغول دوره الهام بل والرئيسى فى ضمير الفنان الشعبى منذ المرحلة البدائية الاولى لوجوده فوق الأرض ، وحتى ضمير الحكاية الشعبية المعاصرة المتداولة بين ابناء الشعب الذين ورثوا حكاياته مع ما ورثوا من حكايات شعبية اخرى .. وتبقى حقيقة وجود فكرة الغول ، صاحب الشكل الانسانى الذى ياكل البشر ، أو يقتلهم سخرة ، فكانه ياكل وجودهم الانسانى نفسه ، أو يركبهم بالعبث ، فيعتدى عليهم أو يضلهم عن طريقهم ، كفكرة ثابتة مليئة بالتراكمات عبر العصور ومنذ اقدمها واكثرها بعدا فى الزمن كتجسيد للخوف الانسانى الكامن فى اعماق الانسان من اخيه الانسان ، الذى يتحول من عطاء الاذى والشر ، ومن العمل من اجل بناء الحياة الى العمل من اجل الاستئثار بها وابتلاعها لنفسه وحده مهما احدث من شرور واضرار ...

«فاروق خورشيد»

التوبة

تب قبل موتك بيوم واحد ، ولما كنت لا تعرف متى تموت ، فكن تائباً على الدوام.
«مثل يابانى»

القوة الحقيقية

لقد أدركت أن القوة الحقيقية هنا : عند الفقراء ، فى جامعة الألم ، فى رابطة المحبة ، فى نعمة الرحمة ، فى عظمة التضحية .
«الفنان اليونانى براكستيلس»

قلب المرأة

قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف إذا احبت الرجل ، وأعظم مكان للضغينة إذا كرهته .
«لوثر»



الزواج مستحيل !

سأل خليل مطران الشاعر الساخر إمام العبد : لم لم تتزوج ؟ .. وكان إمام العبد أسود اللون فاجاب :

يا خليلى وأنت خير خليل
لا تلم راهباً بغير دليل
انا ليل ، وكل حسناء شمس
واجتماعى بها من المستحيل

النور

أريد نوراً .. كثيراً من النور .
«جوته»
على فراش الموت

النظريات والقيم

على اساس النظريات يمكن أن تؤسس مدرسة ، اما على أساس القيم فيمكن أن تؤسس ثقافة او مدنية ، وان توجد طريقة جديدة لمعيشة الناس مع بعضهم البعض .




دخان

دخان يتبدد فى الهواء : حبك من لا يحبك !
«جان سارمان»

أكثر الشرور

قال الكسندر دوماس مرة لأحد أصدقائه :
أخطر الشرور التى تصيب الانسان شيئان : المرض .. و .. فقاطعه محدثه قائلا : والموت ! قال دوماس : لا .. الموت ليس مصيبة المصيبة الثانية هى .. الحاجة !

هموم

كلما امتلك الانسان أكثر مما يستعمل زادت همومه .
«برناردشو»



الصديق

.. إنه الشخص الذى له نفس أعدائك
«مارسيل مبينوا»

لغز

لقد ظل شعور الناس بالفخر حين يستذلون إخوانهم فى الانسانية لغزاً مغلقاً لا أجد له حلا .
«غاندى»

حرية ..

حر .. كالعرب .
«امرسون»
«كاتب امريكى كبير»

شعارات

شعار العمل فى الحرب : التصميم ، فى الهزيمة : التحدى ، فى النصر : الشهامة ، وفى السلام: النية الحسنة
«تشرشل»

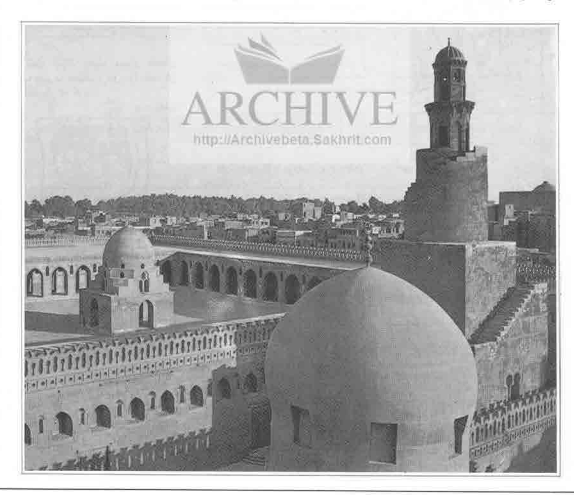
الجهل

الجهل شرط لازم للحياة ذاتها ، ولا أقول السعادة فقط ، ولو كنا نعرف كل شىء ، لم نقدر على احتمال الحياة ساعة واحدة ، والمشاعر التى تجعل الحياة حلوة أو محتملة على الأقل ، تنشأ من اكذوبة وتتغذى بالأوهام .
«اناتول فرانس»

أنور الجندي

التحدّيات في وجه الفكر الإسلامي

لاريب أن الفكر الاسلامى نشا فى حضانة الدعوة الاسلامية وله جذوره العريقة واصوله المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والأدب العربى وقد اكتمل مفهوم الاسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (اليوم اكملت لكم دينكم) وكانت قواعد الفكر الاسلامى الأساسية قد بدأت ونمت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وأن هذه القواعد لم تتغير من بعد ولم تجر اضافة أى شىء اليها فظلت قيمها الاساسية كما جاء بها وحى السماء (القرآن) وسنن النبى فى تفسيرها وتطبيقها وانما جرت حركة العمل من داخل الاطار الذى رسمه القرآن ولقد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الاسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو



مازالت مناهج المعرفة لا تستجيب لفطرة الإنسان وأشواقه الروحية

الفكرى كما نسميه بلغة العصر وبقيت الحقائق الاساسية قائمة .

اولا : الاسلام دين مميز

إن الاسلام ليس ديناً كسائر الاديان ولكنه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والاخلاق وان ميزة الاسلام انه نظريه كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة كلية كما نظر إلى الانسان كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

ثانيا : وحدة الفكر الاسلامى وتكامله

وفى الفكر الاسلامى المستمد من الاسلام يقوم منهج تكامل القطاعات والعناصر فى نسق واحد . فالاجتماع والسياسة والادب والتربية والاقتصاد هى اجزاء وعناصر من شىء واحد هو الاسلام واذا كان الفكر الغربى يجرى على الفصل بين العناصر والوحدات والاجزاء فان الفكر الاسلامى لايقر هذا الفصل ويرى فيه تدميراً للشخصية الانسانية وللمجتمع نفسه ويرى منه قصوراً فى النظرة باعلاء عنصر على عنصر . فالاسلام لا يرى ما يراه الفكر الغربى من استعلاء عناصر المادة والعلم والعقل والمحسوس على العناصر الأخرى ، ويرى أن الروح والمادة يتكاملان والقلب والعقل هما بمثابة عينين فى وجه واحد ، والدنيا والآخرة متصلان صلة جذرية فالحياة كلها تدور حول رسالة وتتصل بانسان له مسئوليته الفردية إزاء عمله وجزائه على هذا العمل . وانسان متصل بمجتمع متفاعل معه ، وانسان له قلب وعقل وروح وجسد لا انفصال بينهما .

ومن هذه الوحدة القائمة بين العناصر فى الفكر والحياة والالتقاء بين الأجزاء فى الفكر الاسلامى لا نجد قضية للخلاف بين العلم والدين ولا بين الدين والأخلاق ولا بين الدين والدولة .



لويس التاسع الذى قاد الحملة الصليبية

وفى ضوء هذا كله فانه ليس هناك فكر دينى او لغة دينية على النحو الذى يفهمه الغربى الذى يفصل بين المفاهيم وكذلك تختلف نظرة الفكر الاسلامى عن نظرة الفكر الغربى فى امور كثيرة :

فى الثوابت والمتغيرات ومفهوم التطور والنسبية .

وفى مفهوم البطولة .

ومن هنا فقد اقام الفكر الاسلامى منهجا للمعرفة خاصا به يختلف عن منهج المعرفة الغربى ، وهو غير المنهج العلمى التجريبى الخاص بالعلوم .

ثالثا : منهج المعرفة الاسلامى

اقام الاسلام منهج المعرفة المتكامل ذا الجناحين المستمد أصلا من المصادر الأولية الأساسية : الفطرة والعقل والقلب والوحى . هذا المنهج القائم على المادة والروح والعقل والقلب مخالفاً بذلك الفكر البشرى الانشطارى : القائم فى احد قطبيه على الروح وحدها او المادة وحدها او العقل وحده او المحسوس وحده أو الذوق أو البصيرة او الحدس . وكل من هذه المناهج مستقل باسلوبه وطريقته لا يعترف بالآخر ولا يرى انه وسيلة صالحة للمعرفة . وفى الصورة المعاصرة الآن : المنهج المادى فى عالم الغرب والمنهج الروحى فى الشرق الأقصى معتمداً على البوذية ومفاهيم الاديان الهندية وكذلك كان الامر قبل ظهور الاسلام : كان هناك الفكر الهلينى اليونانى القائم على التامل والمنطق المحسوس والفكر القائم على الحدس والاحساس الباطنى . فى وسط هذه التيارات والفلسفات من الفكر البشرى المنحرف ناحية الوثنية او المادية او الاباحية قدم الاسلام منهجه الجامع فى المعرفة واقامه على أساس التوحيد .

ومازال مناهج المعرفة تصطرع وتتضارب ولا تستجيب لفطرة الانسان ولا لأشواقه الروحية ، ويبقى منهج المعرفة الاسلامى الجامع وحده على مفهوم التكامل الذى يربط بين قوى الحواس والعقل والوجدان والروح وبين السمع والبصر والبصيرة والعقل قائماً أشبه بالمنار السامق الذى يهدى الانسان ويهدى الفكر الانسانى وينقذها من لجج الشك والالحاد والوثنية والمادية جميعاً .

والقران الكريم على التحقيق هو الذى رسم منهج المعرفة الاسلامى الجامع كما كان منطلق المنهج التجريبى .

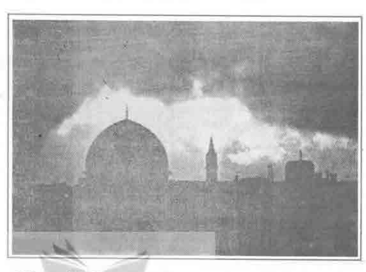
وتتمثل ابرز معالم منهج المعرفة الاسلامى فى الأصول الآتية :

اولا : التفرقة الواضحة بين مقاييس العلوم ومقاييس الانسانيات فمقاييس العلوم مقاييس مادية مستمدة من التجربة والاختبار الدائم التماثل الذى لا يتغير . وهذه المقاييس تعجز عن أن تخضع الانسان والمجتمعات والنفوس والأخلاق الى نتائجها ، فاذا حاولنا تطبيق مقاييس العلوم فى مجال النفوس اخطأت وفسدت .

ثانيا : الجمع بين إطار الثوابت الأساسى وحركة المتغيرات . وقد وضع الاسلام قاعدة الكليات ذات الاطار الواسع والافق الرحب ، وهى الثوابت التى تقوم عليها دعائمه ، هذه الدعائم التى تمثل الاطار المرن والذى تجرى من داخله حركة التغيير والاجتهاد فى الفروع المتجددة والمسائل المتغيرة بتغير الزمان والمكان .

ثالثا : تكامل العناصر وتلاقيها وتأثر بعضها ببعض فالنظرة الاسلامية متكاملة لا تتجزا ولا تاخذ بفرع دون

● التحديات التي واجهها الفكر الإسلامي منذ اتصاله بالفكر البشري



الآخر فكل فرع منها مؤثر فى الفرع الآخر متاثر به .

رابعاً : لكل قيمة وجهان : مادى ومعنوى ، لا انفصال بينهما بل تكامل .

خامسا : لكل نظرة دعامتان : الوحى والعقل .

سادساً : رفض اسلوب التقليد الموروث ، والتبعية وقيام النظرة على اساس الفحص والايمان المتجدد .

سابعاً : إن معرفة الانسان لقوانين الطبيعة لا تغنى عن الايمان بصانع الطبيعة ، بل من الحق ان تهدى اليه وتدل على عظمته .

فى مواجهة التحديات

واجه الفكر الاسلامى التحديات منذ اتصل بالفكر البشرى الذى كان يتمثل فى ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية بما حملت من مفاهيم الوثنية والالحاد والاباحة والمادية وتعدد الالهة فدخل معها فى معركة ضخمة استمرت قروناً ثلاثة حتى استطاع ان يتحرر منها باقامة مفهوم اهل السنة الجامع . وقد امتدت هذه الفلسفات الى مجال العقائد والتفسير والفقه والتصوف وادخلت عليها كثيراً من الشبهات او ما اطلق عليه الاسرائيليات .

وقد جددت حركة التغريب والغزو العثمانى هذه الشبهات واعادوا طرحها فى افق الفكر الاسلامى مرة اخرى فى العصر الحديث وفى ظروف تختلف عن ظروف القرن الثالث الهجرى وهى ظروف التحدى التى فرضها النفوذ الأجنبى وقد أطلق على هذه الحركة زعماؤها وعلى راسهم هاملتون جب : حركة التغريب : اى صبغ العالم الاسلامى بصبغة الغرب وإخراجه من طابعه الاسلامى المميز وصهره فى بوتقة الأممية وقد عمل الاستشراق على إثارة السموم فى مختلف المجالات وحملت رياح التبشر الغربى ذلك كله الى المدرسة والجامعة والصحيفة وبعد ان كان دوره مقصوراً على دور التعليم ظاهراً فقد تخفى وتدسس الى جميع فروع الثقافة تحت اسم نظريات جديدة وشاركت قوى التغريب فى مجال الاستشراق فتجمعت على طرح شبهات بعضها لخدمة الاستعمار والنفوذ الأجنبى وبعضها لخدمة الصهيونية وبعضها لخدمة الشيوعية فكان على حركة اليقظة الاسلامية مواجهة هذه التحديات التى تحاول ان تخرج الفكر الاسلامى من ذاتيته الخاصة وطابعه القرانى .

لقد قامت هذه المحاولة منذ وقت بعيد وكان اول من تحدث عنها لويس التاسع وذلك حينما قاد الحملة الصليبية السابعة الى مصر وهزمت هزيمة نكراء فى المنصورة . هناك فى ابان اعتقاله فكر ودبر وتامل ، وكتب فى مذكراته هذه الاطروحة الخطيرة قال : إن نتائج الحروب الصليبية بعد اكثر من قرن ونصف قرن تؤكد ان المسلمين لايمكن هزيمتهم عن طريق الحرب والقتال . فان دينهم قدم لهم منهجاً خطيراً فى هذا الشان هو الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيل حماية الدين . ولذلك فاعتقد ان الاسلوب الصحيح للغرب للسيطرة على المسلمين هو السيطرة على فكرهم وتحويله عن اصوله الحقيقية . إن أوربا اذا ارادت مقاومة الاسلام والقضاء عليه فانما يكون ذلك عن طريق الكلمة ، وعن طريق تحريف هذه المفاهيم وتفريغ الاسلام من تلك المقومات التى تعطيه القوة والصمود . ولذلك فاعتقد انه لو قامت مؤسسة مسيحية اوربية بهذا العمل فان ذلك من شانه ان يصير الاسلام دين عبادة وبذلك يمكن تفريغه من قوته الذاتية الخطيرة التى مكنته خلال القرون من الصمود فى وجه القوات الغازية . ومن هنا نشات تلك المحاولة الخطيرة التى اسموها التغريب واطلقت عليها الغزو الثقافي والتى قامت عليها مؤسستا التبشير والاستشراق واستهدفت تغيير «أصالة الاسلام» ومقوماته الأساسية واثارة الشبهات حول تاريخه ولغته وعقيدته ورسوله بهدف «توهين» هذا الدين فى نظر أهله واعلاء شان مناهجهم وأيدلوجياتهم وإخراج المسلمين من الاسلام .

وقد جرت تلك المحاولة فى عدة طرق :

اولا : إثارة الشبهات حول حقائق الاسلام وخاصة مفهومه الأساسى من حيث أنه منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة الشبهة بالقول بانه دين عبادى وتاويل مفهوم الجهاد فى الاسلام الذى هو كبرى فرائضه .

ثانياً : ضرب الاسلام من الداخل عن طريق قوى تحاول أن تحتضن ظاهرياً مفاهيم الاسلام ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق

● الأخطار التي اعترضت طريق المسلمين عندما اتجهوا لمناهج الغرب

الشريعة الاسلامية او مناهج التربية الاسلامية او حول الحدود القواطع فى الاسلام كالحدود والربا ومحاولة التشكيك فيها .

ثالثاً : تبنى دعوات ضالة كالقاديانية والبهائية واعتبارها من حركات التجديد الاسلامى ، وفتح الطرق امامها فى المجتمعات الاسلامية .

رابعاً : محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً ، على نحو ما يقول به البعض عن الحوار المسيحى ، وغيرها من القضايا بما يخالف الحقيقة التى تتمثل فى ذاتية الاسلام التى تختلف عن تفسيرات الأديان .

خامساً : إحياء الفكر الباطنى والاباحى والمادى سواء فى الفلسفات اليونانية او الفكر الغنوصى الشرقى .

ولقد عرف المسلمون مدى الاخطار التى واجهتهم عندما تركوا منهجهم الربانى والمصدر الانسانى الطابع والتمسوا مناهج الغرب سواء منها ما يتصل بالسياسة أو الاجتماع او الاقتصاد . وقد جاء هذا نتيجة اضطراب أساليب التربية والتعليم التى وجهت الرواد الى الانبهار والاكبار لفكر الغرب فى نفس الوقت الذى جهلوا فيه أبسط القيم الاسلامية ، كذلك فان القيم الخلقية الغربية التى نواجهها اليوم إنما ازدهرت فى جو الانحلال الذاتى فى بيئة غلبت عليها طوابع المنفعة والأنانية والفردية بينما يقدم الاسلام للبشرية طوابع الرحمة والغيرية والبذل والفداء .

كذلك فان الفكر الاسلامى يؤمن بأن القديم ليس فاسدكله أو مضطرباً . ذلك لأن قديمنا نحن المسلمين خاصة إنما هو ثمرة أصول ربانية جاءت بوحى السماء ، ثم كان هذا التراث تفسيراً لها وتعميقاً وفهماً . فهذه الصيحة المسمومة التى تقول بانتقاص القديم جملة إنما تحاول ان تنال من هذا الميراث العظيم الذى جاءت به النبوة للبشر من رب العالمين هدى وضياء . ولذلك فان معارضة القديم على إطلاقه هى من دعوات التغريب وما اظن أن امة ما حتى هذه الأمم التى تدعونا الى ترك القديم ، سواء اكانت امم الغرب ام الصهيونية ، قد تركت قديمها وتخلت عنه ، والحضارة الغربية عندما تجددت فى القرن الرابع عشر الميلادى بعد سقوط روما فى القرن الرابع وبعد انقطاع دام الف عام عادت تربط نفسها بالخط الهلينى فى القانون الرومانى والاجتماع والأدب . فكيف يترك المسلمون ميراثهم الممتد خلال أربعة عشر قرناً خوفاً من أن يتهموا بأنهم يحبون القديم .

فالمحافظة قانون طبيعى ومن سنن الكون التى لا تتخلف والمحافظة — لا الرجعية — هى التى تعصم المسيرة من الانحراف وتجعلنا فى إبان الأزمات والأحداث نتلفت لنرى هل نحن حقاً نلتمس من منابعنا الأصيلة أم انحرفنا عنها .

ثانياً : التبعية : ذلك هو الخطر الثانى الذى يواجه الفكر الاسلامى ويجىء هذا نتيجة التصور بأن فكر الأمم الأخرى التى لها قدر من القوة والسيطرة فى العصر الحاضر هو الأصلح وانه مادامت هذه الأمم قد نجحت بهذا المنهج فان علينا أن نقلده ونتبعه حتى نصل إلى ما وصلو اليه من تقدم وظاهر المعادلة يبدو صحيحاً ولكنه فى واقع الامر وفى النظرة الأعمق لا يؤدى إلا إلى إذابة الشخصية وتحللها حتى تصبح صورة مهلهلة مضطربة لذلك الأصل الذى تحاول الاقتداء به .

إن أخطر ركائز الفكر الاسلامى هو الأصالة والتميز واستحالة الاندماج والذوبان او الاحتواء فى دائرة الفكر الأممى ، ذلك لأن الاسلام منهج متكامل بينما تتسم مناهج الفكر الاخرى بالتجزئة والانشطار وهو الذى يمثل قمة الدين والفكر فى وحدة لا تنفصل وهو الذى يعتمد على الوحى والنبوة ورسالة السماء اساساً له ، ثم يكون العقل وسيلة من وسائله والعلم منهجاً يجرى فى مجراه .

إن أخطر ما حذرنا منه ديننا هو متابعة الناس بغير برهان والخروج من ذاتيتنا ومقوماتنا تحت سيطرة الأهواء والبريق ، ولقد كانت امتنا قادرة فى أشد أوقات المحن على أن تحفظ كنزها فى احضانها فلا تفرط فيه حتى تزول أزمة الاستلاب من حولها . ذلك أن الأمم التى استهانت بقيمها ومركبات شخصيتها من لغة وعقيدة وتراث وتاريخ ، هذه الأمم ضاعت أدراج الرياح ووضعت فى توابيت المتاحف . ان محاولة مضللة تحاول ان تقول بوحدة المعرفة او وحدة الفكر وهى دعوى تنبعث من المسيطرين بالنفوذ ، وأدوات الغزو ، تريد أن تحتوى فكر الأمة الاسلامية التى تمر الآن بمرحلة اليقظة والتى لم تمتلك إرادتها بعد كاملة . ومن هنا فان علينا أن نواجه هذه الدعوات إلى التبعية المقنعة بحذر شديد وان نعترف بأنها إنما تريد أن تبتلعنا فى اتونها الضخم .

نحن نؤمن بوحدة الجنس البشرى فى مصادره ووحدة الفكر فى أولياته ، ولكن المحاولات البشرية التى عملت منذ وقت بعيد على تشكيل مناهج لها تختلف عن الفكر الربانى وتغاير قيمه التى جاء بها الوحى عن طريق رسالات السماء ، هذه تحول دون تقبل دعوتها الى وحدة الفكر ، ذلك لأنها ترمى إلى اخراج البشرية من إطار التوحيد والايمان والمسئولية الفردية والأخلاقية والبعث والجزاء وقد نجحت هذه المحاولة فى بعض أطراف الأرض ، وهى التى تمتحننا نحن المسلمين أخطر امتحان ومحنة لتحطيم هذه القوة القائمة بالحق فى وجه الوثنية والمادية والالحاد والاباحية .

فضلا عن أن منهج أية أمة لايصلح لأية أمة أخرى .

والواضح أن هناك محاولات لصهر الفكر الاسلامى فى مفاهيم المسيحية والوثنية والاغريقية والمجوسية والفلسفات عن طريق إحياء مفاهيم الاعتزال والفلسفة وفلسفة التصوف والتأثير على تكامل العقيدة والشريعة والإخلاق عن طريق مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية والفرويدية والوجودية فعلينا أن نحافظ على أصالة الفكر الاسلامى وذاتيته الخاصة .

انور الجندى

تنسيق انتاج السلاح في الوطن العربي

محمود شيت خطاب

لا تخلو المؤتمرات العربية من فوائد ، لعل من أهمها تعارف المشاركين فيها ، واطلاعهم على أرجاء الوطن العربي ، وتعرفهم على معالم كل الأقطار العربية ، ومعايشتهم معالم تطورها الحضاري ، وتفقد آلامها وآمالها عن كثب .

ولكن هذه المؤتمرات ازدادت عددا وقلت مددا ، لأن أكثرها مكررة ليس في الأقطار العربية حسب ، بل في القطر العربي الواحد ، والمدينة الواحدة من القطر العربي الواحد ، بل الجامعة الواحدة في المدينة الواحدة من القطر العربي الواحد .

وقد شهدت بعض هذه المؤتمرات وتخلفت عن أكثرها معتذراً ، فلمست سمتين بارزتين فيها : الأولى الأسراف في النفقات والولائم إلى حد البذخ ، والثانية أنها اكتفت بالمقررات المكتوبة ذات الطموح الرفيع ، ولكن تلك المقررات بقيت حبراً على ورق دون تنفيذ .

ولا قيمة لأي مؤتمر لا تنفذ مقرراته ، لأن العمل هو المفيد ، أما الكلام فلا فائدة فيه .

ولكثرة المؤتمرات ، التي أصبحت لا وزن لها ولا طعم ولا رائحة ، ولتشابه أهدافها وتكرر مواضيعها وبقاء مقرراتها مجمدة ، وللأسراف المبالغ فيه في نفقاتها

فان المخلصين للعرب يتمنون أن تخصص نفقات المؤتمرات لانتاج السلاح العربي ، وهي مبالغ ضخمة جداً ، وأن يقتصر عقد المؤتمرات على ما يفيد العرب في حاضرهم ومستقبلهم كمؤتمر تنسيق إنتاج السلاح ، حتى يستغني العرب نهائياً عن استيراد السلاح الأجنبي ، لأعداد العرب لحرب قادمة



اللقاءات العربية مطالبة بتنسيق انتاج السلاح .

لاشك فيها ضد العدو الصهيوني ، لأن اللغةالوحيدة التي يفهمها هذا العدو ويحترمها في الوقت نفسه هي لغة القوة أما السلام فلا يؤمن به العدو الصهيوني إلا لتحقيق أهداف مرحلية ، وقد وصف بن غوريون بأنه : «إذا أراد الحرب ، تظاهر بالسلام» ، وهو وصف يصدق على زعماء الصهاينة بدون استثناء !

لقد فرضت الحرب على العرب فرضاً وهم يتحملون أعباءها دفاعا عن أنفسهم من التوسع الصهيوني العنصري الاستيطاني ، واستعادة لحقوقهم المشروعة المغتصبة ، فما كان للعرب أهداف عدوانية في يوم من الأيام إنما أهدافهم الدفاع عن النفس والمطالبة بحقوقهم ، وما ضاع حق وراءه مطالب .

والاعداد للحرب من أول شروط إحراز النصر فيها ، ولا إعداد مضمون النجاح بدون تخطيط دقيق ، والوسيلة الأولى لهذا التخطيط هي : عقد مؤتمر عربي لتنسيق إنتاج السلاح العربي .

أهداف التنسيق

يهدف التنسيق إلى عدم إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحا أو ذخيرة متشابهة دون حاجة إلى إنتاجها .

فاذا كان هناك مصنع ينتج سلاحاً خفيفا كالبندقية مثلا ، وكان ضمن طاقة هذا المصنع تسليح الجيوش العربية كافة بهذا السلاح ، فليس من الاقتصاد في الانتاج أن يتكرر مثل هذا المصنع في بلد عربي آخر دون مسوغ ، بل يمكن إنشاء مصنع آخر في ذلك البلد العربي أو في بلد عربي آخر ، ينتج سلاحا غير البندقية كالمسدس مثلا ، وبهذا يتم للعرب إنتاج سلاحين مختلفين بدلا عن سلاح واحد .

- مطلوب عقد مؤتمر عربي عاجل لدراسة وتنسيق إنتاج السلاح في الوطن العربي
- احصائيات دقيقة عن حاجة الجيوش العربية الى السلاح .. كمية ونوعية .. من أجل اتخاذ قرارات سليمة
- من أهداف التنسيق عدم إقامة معامل متشابهة في بلد عربي واحد، واختيار الأماكن العربية المناسبة
- تنسيق الإنتاج الحربي يعتمد على ثلاث دعائم: خبراء عسكريون، علماء اقتصاديون، وخبراء إنتاج السلاح



الاعداد للقوة العربية من أول شروط النصر .

كما أن نفقات توسيع مصنع ما ، هى أقل بكثير من نفقات إنشاء معمل جديد .

فاذا كان مصنع من المصانع الحربية عاجزاً عن تغطية احتياجات الدول العربية كافة من سلاح ما ، فبالامكان توسيعه لرفع طاقته الانتاجية بدلا من إنشاء مصنع جديد .

هذا التنسيق يهدف ايضا ، إلى زيادة التعاون الوثيق بين الدول العربية من ناحية التسليح ، فتتعرف كل دولة عربية تفاصيل حاجتها إلى السلاح والبلد العربى الذى تستورد منه سلاحا .

وفى الوقت الحاضر ، تنتج بعض الدول العربية بعض الأسلحة الخفيفة التى تفيض عن حاجة جيشها ، ونوعية إنتاجها لا يقل عن نوعية إنتاج امثالها فى الدول الأجنبية ، فليس من المعقول ان تستورد دولة من الدول العربية الأخرى ما تحتاج إليه من أسلحة خفيفة اجنبية ولا تستورد ما تنتجه الدول العربية !

إن التعاون العربى فى هذا المجال ، يؤثر أطيب الأثر فى العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ، وقد كان لاستيراد العراق من مصر كميات من الأسلحة الخفيفة سنة ١٩٦٣ احسن الأثر فى العلاقات الأخوية بين الدولتين العربيتين الشقيقتين فى حينه .

ويهدف هذا التنسيق أيضاً إلى عمل مخطط عربى موحد ، لانشاء المصانع الحربية تمويلا ونوعا ، بحيث تؤمن تلك المصانع على المدى القريب أو البعيد وبمراحل موقوتة كل حاجات العرب إلى السلاح والذخيرة .

ويهدف هذا التنسيق ايضا إلى الأفادة من المعامل غير الحربية التى يمكن أن تنتج للاغراض الحربية .

مثلا ، المصانع التى تنتج اجهزة الأذاعة المختلفة ، يمكن أن تنتج الأجهزة اللاسلكية والسلكية كالمرسلات والاخذات لسلاح الأشارة التى تعمل بالكهرباء وبالنضائد (البطاريات) .

ومثل هذا المصنع يغطى حاجات الجيش اللاسلكية المختلفة فى أيام الحرب ، كما يسد حاجات أبناء الشعب إلى أجهزة الأذاعة المسموعة والمرئية المختلفة وإلى النضائد ونحوها فى أيام السلام .

ومصانع السيارات يمكن تحويرها لتنتج المدرعات والناقلات والدبابات المسرّفه ونصف المسرّفه (المجنزرة ونصف المجنزرة) وسيارات النقل العسكرى ...

وكل ذلك يحتاج إلى تخطيط وتنسيق للمدى القريب والبعيد .

ويهدف التنسيق إلى توزيع المصانع الحربية على البلاد العربية ، واختيار الأماكن المناسبة لها فى الأقطار العربية .

إن المصانع المدنية يسيطر عليها العامل الاقتصادى الذى يفضل ان يكون المصنع قريباً من الموارد الخام ، قريباً من وسائط النقل المختلفة ، قريباً من الاسواق المستهلكة ، قريباً من الايدى العاملة الرخيصة ، فى منطقة ماهولة بالسكان تساعد على بيع الانتاج وتصريفه .. الخ ..

العامل الاقتصادى أولا بالنسبة للمصانع المدنية ، وعامل الأمن أولا بالنسبة للمصانع الحربية .

فالمصنع الحربى ، يقتضى أن يكون فى موضع امين ، بعيد عن متناول العدو بعيد عن تأثير نيرانه الارضية والجوية والبحرية .

بل ينبغى ان يدخل فى الحساب

● ثمن المسدس العادي المستورد يبلغ خمسة وعشرين دينارا، بينما يكلف إنتاجه نصف دينار فقط!

بالنسبة لانشاء المصانع الحربية المهمة كمصانع الطائرات مثلا ،خطر القصف بالقنابل النووية والهيدروجينية او الصواريخ ذات المديات البعيدة .

ومن الطبيعى ان المصنع الحربى الذى تنفق عليه الملايين ، يجب الا يكون تحت رحمة نيران العدو .

وما يقال عن المصانع الحربية ، يقال عن المستودعات الحربية ايضا ، إذ يجب الا تكون فى اماكن غير امينة والا تكون عرضة لنيران العدو .

ذلك هو موجز اهداف التنسيق لمصانع التسليح العربى من الناحية العسكرية ، التى تنقذ العرب من محاذير استيراد السلاح والعتاد من الدول الأجنبية .

وهى أهداف حيوية بالنسبة للمجهود الحربى العربى .

خبراء التنسيق

يعمل خبراء التنسيق باشراف جامعة الدول العربية ، لكى لا تتخلف اية دولة عربية عن حضور مؤتمر التنسيق ، إذ لا مسوغ لاقتصار الانتاج الحربى العربى على قسم من الدول العربية دون غيرها ، حتى لا يكون هذا الانتاج الحيوى خاضعا لنوع من التكتلات العربية ، وليكون الانتاج لجميع الجيوش العربية لا لقسم منها ، لأن المطلوب هو حشد الطاقات المادية والمعنوية العربية كافة للحرب ، لا حشد جزء من تلك الطاقات .

وتنسيق الانتاج الحربى للسلاح والعتاد ، يعتمد على ثلاثة أصناف من الخبراء بصورة رئيسة :

الصنف الأول ، هم الخبراء العسكريون ، ويكون واجبهم القرار على اسبقية إنشاء المصانع الحربية ، واختيار مواقع إنشائها ، وتقرير طاقاتها الانتاجية بالنسبة لحاجة الجيوش العربية ، ووضع خطة لحمايتها وأمنها وسرية إنتاجها .



الانتاج المحلى للسلاح هو ضمان التفوق على العدو

تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية

والبلاد العربية واسعة جداً ، فيها الجبال الشاهقة ، والارض المتموجة ، والسهول الفسيحة ، والصحارى الجرداء ، وهى صالحة إلى ابعد الحدود لانتشار المصانع وحمايتها وإخفائها ، لكى تنتج بكل طاقاتها دون إزعاج العدو فى ايام الحرب بخاصة .

وصحاريها المترامية الأطراف ، تيسر المناطق المناسبة لتجارب الأسلحة التقليدية والمتطورة ، ومن المعلوم ان فرنسا اجرت تجاربها النووية فى صحراء الجزائر قبل استقلالها .

وقد يكون من الصعب إخفاء عدد المصانع الحربية ونوعية إنتاجها ، نظراً لتطور اجهزة الاستمكان ، ولكن من السهل حمايتها فى وضعها باماكن نائية بعيدة عن مناطق القتال المحتملة ، او بالاستفادة من طبيعة الأرض ، او بالمدفعية ضد الجو .

كما يمكن إبقاء مقدار إنتاجها وتوقيته وتوزيعه على الجيوش العربية سرا من الأسرار .

ولابد ان يكون لدى هؤلاء الخبراء العسكريين إحصائيات دقيقة عن حاجة جيوشهم إلى السلاح كمية ونوعية لتعينهم على إعطاء القرارات السليمة عن حاجتهم فى الحاضر وتطوير المصانع لسد احتياجات الجيوش العربية فى المستقبل .

والصنف الثانى هم العلماء الاقتصاديون : واجبهم إعطاء القرار عن اقوم طريقة اقتصادية للانتاج ، لكى تسد حاجات الجيوش العربية إلىالسلاح فى الحاضر والمستقبل .

وواجبهم ايضا ، المساهمة المالية لمبايعة المصانع ونقلها إلىمواضع إنتاجها ونفقات الانتاج .

ومهما قيل فى ضخامة نفقات إنتاج السلاح والعتاد عربياً ، فانه يعتبر اقتصاديا بالنسبة لاستيراده من الخارج

وحسبى أن اذكر ، ان ثمن المسدس العادى المستورد يبلغ خمسة وعشرين ديناراً عراقياً كمعدل ، بينما يكلف إنتاجه نصف دينار فقط !!

كما أن إعداد أسباب النصر ، وضمان التفوق على العدو فى ميزان التسليح الذى لن يتم إلا بالانتاج المحلى دون الاستيراد من الخارج ، هو اثمن من النفقات مهما بلغت ، فاذا ثلم شرف الأمة فلا قيمة لثرائها .

والصنف الثالث هم خبراء إنتاج

● مؤتمر إنتاج السلاح عربيًا من المؤتمرات المصيرية ، وينبغي أن يكون مضمون النجاح

السلاح والعتاد ، واجبهم تصميم إنتاج انواع السلاح والعتاد ، وتنفيذ تلك التصاميم ، وعرض ما يمكن إنتاجه عربياً وما لا يمكن إنتاجه .

دروس وعبر

إن مؤتمر إنتاج السلاح عربياً من المؤتمرات المصيرية ، وينبغي أن يكون مضمون النجاح .

ولكى نضمن نجاحه ، لابد من إجراء خبراء التنسيق باصنافهم الثلاثة وخبراء جامعة الدول العربية استحضارات تشمل دراسات متخصصة بالغة الدقة والاتقان ، قبل عقد المؤتمر المرتقب .

أما ان تدعو الجامعة العربية إلى عقد المؤتمر دون إجراء تلك الدراسات ،، فيجتمع خبراء الدول العربية وأيديهم خالية من الدراسات أيضاً ، او يحضر قسم من خبراء الدول العربية باعتبارهم خبراء وهم ليسوا بخبراء من قريب او بعيد بل هم موظفون اعتياديون ، فان المؤتمر سيخفق حتماً ، لا لأن هناك صعوبات لا يمكن التغلب عليها فى طريق التسليح العربى ، بل لأن مسئولى جامعة الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات المطلوبة ، ولأن خبراء الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات أيضاً ، أو كانوا موظفين لا خبراء ، واعتمد مسئولو الجامعة على خبراء الدول العربية ، واعتمد خبراء الدول العربية على مسئولى الجامعة ، فضاعت المسئولية بين الطرفين المتواكلين ، وحلت المصيبة على رأس العرب من جراء هذا التواكل ، ومن المؤسف حقاً أن هذا هو ما يجرى بالفعل فى مؤتمرات جامعة الدول العربية ومؤتمرات الدول العربية الأخرى على النطاقين القطرى والعربى ، وما هكذا يا سعد تورد الابل كما يقول المثل العربى القديم .

إن إعداد الدراسات المفصلة قبل المؤتمر هو الذى يؤدى إلى نجاحه ، فينبغى إعداد الدراسات الشاملة حول إنتاج السلاح العربى من مسئولى جامعة الدول العربية ومن خبراء الدول العربية ، والاطلاع على تلك الدراسات وتمحيصها من ممثلى جامعة الدول العربية وممثلى الدول العربية ، فاذا كانت على المستوى المطلوب عين موعد لعقد مؤتمر التنسيق ، وإلا فينبغى استكمال الدراسات حتى يمكن أن يسير المؤتمر فى النور لا فى الظلام .

ومن المهم الحرص على اختيار الخبراء ، فلهم دور بارز على إنجاح المؤتمر وعلى الانتاج .

وأكثر أهمية هو اختيار المسئول الاول عن الانتاج العربى للسلاح : عسكرياً من دوى الرتب العالية ، معروفاً بنزاهته المطلقة وكفاياته العالية ، وحرصه الشديد .

أما أن نختار المسئول الأول ممن لا صلة له بانتاج السلاح ، فخطأ فاحش ادى بالتجربة التى تولاها إلى الاخفاق الكامل .

وقد حدثنى احد إخوانى الضباط عن تلك التجربة فى أول امرها ، فقلت له : ستخفق التجربة حتما .

وقدم الضابط بغداد بعد ثمانى سنوات من لقائى به ، بعد أن اخفقت التجربة وصفت أعمالها ، فقال : كيف علمت انها ستخفق ؟

وسكت ، فما كانت بى حاجة ان اتحدث فى البديهات !

إن العرب فى كل مكان يقولون : عقد الصهاينة سنة ١٨٩٧ مؤتمرهم الصهيونى الأول ، فقال هيرتزل بعد انقضائه : «لو لخصت اعمال المؤتمر فى كلمة واحدة ـ وهذا مالن أقدم على الجهر به ـ لقلت : اوجدت الدولة اليهودية : فى غضون خمس سنوات : ربما ! وفى غضون خمسين سنة ! بالتاكيد» .

والعرب فى كل يوم لهم مؤتمرات لا مؤتمر واحد ، فما لمسنا فيها فائدة للعرب جميعا ، وقد نلمس فيها فائدة للفرد المشارك فى المؤتمر ... والفرد لا قيمة له بالنسبة لأمته .

ألا يستطيع العرب أن يعقدوا مؤتمرا ناجحا يكون له ما بعده ؟

وأجيب بلا تردد : نعم يستطيعون ، إذا وسد الأمر لأهله ، حتى لا تقوم الساعة !

وصدق رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام : «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» .

محمود شيت خطاب

وأعـــدوا لهـــم ...

إن كتب التاريخ المتداولة تكتفى بالاشارة الى مجد العرب وانتصاراتهم عندما كان التاريخ لا يسجل لهم إلا الانتصارات ولكنها لا تذكر الثمن الذى كان يدفعه المنتصرون ، وبعض علماء المسلمين يعددون الفتوحات ويشيرون بكل بساطة الى ان سبب النصر هو الاسلام ، ويهملون الرابطة بين النصر والاستعداد التام الذى ربط الاسلام بينه وبين النصر فاتى امر الله صريحا بقوله : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، وذلك ما فهمه المسلمون الاولون وغفل عنه فيما بعد كثير من الحفدة .

في ذكرى مرور عشر سنوات على وفاة "برتراند رسل"

الفيلسوف البريطاني يقول :

عصام شريح

القضية الفلسطينية قضية شعب له حق الحياة في وطنه

فى الثانى من شباط (فبراير) ١٩٧٠ــ اى قبل عشر سنوات ــ توفى الفيلسوف البريطانى بيرتراند رسل ، عن سبعة وتسعين عاما ، فغاب بوفاته عن قمم الفلسفة المعاصرة ، وعن حلبات النضال السياسى والاجتماعى ، وجه من ابرز وجوه القرن العشرين ، وعقل من اكثر العقول انفتاحا وتعمقا واضاءة وتحررا .

تذكروا إنسانيتكم

ولد بيرتراند رسل فى ١٨ ايار (مايو) من عام ١٨٧٢ ، من ابوين ارستقراطيين ، فابوه الفايكونت امبرلى ، وجده اللورد جورج رسل احد ابرز رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت ، وجده لامه هو اللورد ستانلى امبرلى . وقد نشا بيرتراند يتيما فقد مات ابوه وهو فى عامه الثالث ، بينما ماتت والدته وهو فى عامه الثانى وبموت ابيه انتقل الى جدته لابيه الليدى رسل لينشا فى كنفها وبرعايتها . ولقد كان للبيئة التى نشا فيها رسل اثر كبير على مجرى حياته ايجابيا وسلبيا ، ذلك ان لنشاته البيئية اثرا كبيرا فى اتجاهه الليبرالى دون ريب ، رغم ان اتجاهه الفلسفى اتسم برفضه للخلفية التى ورثها عن عائلته العريقة فى السياسة .

منح رسل جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٥٠ ، واصبح رئيس حملة نزع السلاح النووى فى عام ١٩٥٨ ، واسس «لجنة المائة للعصيان المدنى ضد الحرب النووية» ، ولم يخش دخول السجن فى عام ١٩٦١ وهو فى الثامنة والثمانين بسبب تحريضه الجمهور على التظاهر والاعتصام . وقد اسس «مؤسسة بيرتراند رسل للسلام» و «مؤسسة السلام الأطلسي» ، كما عمل من اجل قضية السلام فى الشرق الاوسط . ولم ينس قط الجانب الانسانى فى حياته ، فاذاع فى عام ١٩٥٤ ، بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية الاولى ، رسالة قال فيها : «تذكروا انسانيتكم وانسوا الباقى ، فاذا فعلتم ذلك فالطريق مفتوحة امامكم حتما نحو الفردوس ، واذا لم تفعلوا ذلك ، فلا شىء امامكم سوى الموت الجماعى» .

فكره السياسى والاجتماعى

كان راسل يقيس العقائد والافكار بمقدار ما تقدم للانسان من سعادة ، ومن ضمن ماخذه على ماركس اعتقاده بان «ثمة قدرة كونية تدعى المادية الجدلية تتحكم بالتاريخ الانسانى بمعزل عن



برتراند رسل

ارادة الانسان» فقد رفض رسل الشيوعية لانها لا تقدم له هذه السعادة بل هى تزيد فى البؤس الانسانى ، وهو ياخذ على الماركسيين غلوهم فى تقدير العامل المادى الطبقى الاقتصادى ، بحيث تجاوزوا وجود عوامل اخرى فى الاجتماع البشرى لها شانها الاساسى فى تقرير المصائر ، وفى طليعتها العامل القومى .

إلا أن الليبرالى الرافض للشيوعية كمذهب سياسى واجتماعى ، كان هو نفسه اعدى اعداء الاستعمار الغربى فى الوقت عينه ، وقد تمثل موقفه أولا فى عناده فى رفض الحروب التى تثيرها الدول الراسمالية الغربية ، وبدعوته إلى السلم والتى لم تعرف هوادة ، وكان ان ايقظته الحرب العالمية الأولى على تلك المجزرة البشرية التى ارتكبتها الدول المتطاحنة والمتنافسة لتحقيق مطامعها ، فوقف رسل فى وجهها وبدا تحريضه من اجل السلم ، والب قسما غير يسير من الارستقراطية البريطانية ضد الحروب ، وكانت أهمية مواقف رسل السياسية تكمن فى انه قرن الفكر بالممارسة ، ودافع عن معتقده بنضال لم يعرف اية هوادة ، وارتضى الاضطهاد ودخول السجن من اجل افكاره .

ولم يكن نضاله يقتصر على صعيد دون اخر ، فكما ناضل فى الميدان السياسى من اجل السلام وحقوق الشعوب ، ناضل كذلك فى الميدان الاجتماعى ، ضد كل سياسة تربوية تقليدية او نظرة سلفية ، ودعا إلى بناء انسان غير معقد بالتقاليد والافكار



المؤتمر البرلماني الدولي الذي عقد في القاهرة وتوجه اليه الفيلسوف رسل برسالته الأخيرة .

السلفية ، حر فى موقفه من نفسه والعالم سلاحه ومشعله المعرفة العلمية التى كان رسل يتخذها درعه الايمانى الوحيد .

ويرى «إريك فرومن بأن طاقة رسل على التمرد لم تكن تجد جذورها فى اى موقف مجرد ، بل فى حبه الفائق للحياة . وهذا الحب للحياة الذى فاق كل حد هو الدافع الأقوى لموقفه الرافض للحروب ، ولقد كان رسل فى حبه للحياة شاملا كل الجماعات والأقوام والامم ، فرفض نظرة الاستعمار التى توقف السعادة والحياة على مجموعة من الامم المستنسرة والمستاثرة ، بينما هى تنزع هذا الحق عن امم اخرى ، ومن اجل هذا الشمول فى حب الحياة غير المميز بين امم سيدة وامم مستعبدة ، وبين امم غنية الموارد ، وامم فقيرة ، كان موقفه من حرب فيتنام ، حيث اعتبر الرئيس الامريكى الأسبق ليندون جونسون مجرم حرب بسبب موقفه المغذى لاوار تلك الحرب القذرة ، وقد أصدر عليه «حكمه المعنوى» بالاعدام بعد أن شكل محكمته الشهيرة من عدد من أدباء ومفكرى الغرب .

ومن المفارقات الكبرى فى حياة الفيلسوف بيرتراند رسل الذى كان ينادى بالاممية ، وقوفه إلى جانب الثورات القومية فى فلسطين وفيتنام ، فاكد بذلك أن الأممية الحقة والانسانية السليمة هى تلك التى تجسدها ظاهرة الثورة القومية المعاصرة ضد الاستعمار وجميع أشكال الهيمنة الامبريالية .

رسل والصراع العربى ـ الصهيونى

كان رسل يرى القضية الفلسطينية على حقيقتها : قضية شعب له الحق فى الحياة فى وطنه ، وهو يقول : «إن ماساة شعب فلسطين تتمثل فى اغتصاب وطن ، واعطائه لشعب اخر ، من خلق دولة اجنبية جديدة .. فالى متى سيظل العالم مستعدا لتحمل هذا المشهد الوحشى ؟!» .

وفى تقرير خطير رفعه إلى منظمة الأمم المتحدة وجمعية الصليب الاحمر الدولى فى ١٢ حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، قال الفيلسوف البريطانى اللورد راسل : «إن اولئك الذين يعطفون بحق على اليهود من ضحايا العدوان الهتلرى فى اوروبا ، يجب الا يساووا بين حق اسرائيل فى البقاء وسياستها فى التوسع الاقليمى . ان العدوان لا مبرر له قط ، وخاصة عندما يقترفه اولئك الذين يعرفون معانيه الكاملة تماما» .

وكان اللورد رسل قد اوفد بعثة من محكمته الشهيرة لاستقصاء الحقائق عن الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل ضد العرب فى حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وقد اعلن «كريستوفر فارلى» ـ رئيس بعثة رسل للسلام ـ عند وصوله إلى القاهرة فى ٩ـ٩ـ١٩٦٧ «انه تاكد لدى البعثة بما لا يقبل أدنى شك ، أن اسرائيل استخدمت قنابل النابالم فى عدوانها على الدول العربية ، رغم أن استخدام هذا النوع من القنابل محرم دوليا . وقال فارلى : ان البعثة توصلت إلى ادلة ثابتة ، تبرهن على ذلك إذ انها تضم اثنين من الاعضاء ممن لهم خبرة ودراية فى التعرف على آثار قنابل النابالم ، كما كان برفقة البعثة طبيب محاضر من جامعة روما ، قام بنفسه بفحص الضحايا العرب المصابين بحروق ، وإن اعضاء البعثة شاهدوا بأم أعينهم العديد من الضحايا فى المستشفيات وجميعهم مصابون بحروق من الدرجتين الثانية والثالثة ، وهى حروق لا تنتج إلا عن قنابل النابالم .

وأردف فارلى قائلا : ان الفظائع التى ارتكبتها اسرائيل ، لم تقتصر على استخدام قنابل النابالم ، بل تعدتها إلى الأساليب النازية الوحشية فى معاملة الضحايا وأسرى الحرب العرب ، ولم تراع الحقوق الانسانية . واننا حصلنا أيضا على تسجيلات صوتية للضحايا ، سواء من المصابين أو من أسرى الحرب ، والذين اخترناهم بأنفسنا دون اى تدخل من السلطات فى كل من الأردن وسوريا ، حسب شروطنا المسبقة ، ولقد استجابت لجميع شروطنا هذه ، كل من الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، لكن السلطات الاسرائيلية لم تعط جوابا قاطعا يضمن لنا تحقيق ما طلبناه من التسهيلات ، وقد كنا تقدمنا بطلبنا إلى السلطات الاسرائيلية عن طريق السفارة الاسرائيلية فى لندن منذ أسبوعين ، وطلبنا السماح لنا بدخول المناطق التى تحتلها اسرائيل ، والتحدث إلى بعض القادة العرب ، الذين مازالوا محتجزين هنالك ، ولكن الملحق الصحفى الاسرائيلى فى السفارة بلندن ، اتصل بى هاتفيا ، وأعطى ردا غير محدد ولا يفيد بشىء . وقد قام الفيلسوف رسل بنفسه ، بكتابة خطاب مطول إلى السفير الاسرائيلى ، ويتضمن نفس الشروط التى طلبناها من الدول العربية ، والتى

● قال إن الاستشهاد بعذاب الماضي لتبرير عذاب الحاضر هو رياء مفضوح

تسمح للبعثة بحرية العمل ضمن مهمتها ودون ضغط من السلطات الاسرائيلية او العربية او تدخل منها ، ولكن دون جدوى ، وختم فارلى تصريحه قائلا : ان العدوان الاسرائيلى كان واضحا» .

وفى ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أصدر اللورد رسل بيانا آخر قال فيه :

«هناك الآن أدلة واسعة على ان اسرائيل استخدمت اعدادا كبيرة من قنابل النابالم فى هجومها الصاعق «الاخير» على جيرانها العرب .. وانه لمن الواضح تماما ، ان النابالم ، ليس سلاحا يستخدم ضد الأشخاص ، وانه لا مكان له فى مجتمع متحضر» .

الرسالة الأخيرة

آخر رسالة توجه بها بيرتراند رسل الى العالم ، كانت موجهة إلى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى القاهرة فى الأول من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، وقد دعا رسل فيها إلى اعطاء الشعب الفلسطينى جميع حقوقه ، كما ندد فيها بالاحتلال الاسرائيلى ، وفيما يلى النص الحرفى لتلك الرسالة :

«ترتكز المرحلة الأخيرة من الحرب غير المعلنة فى الشرق الأوسط على خطأ حسابى عميق الجذور ، فالغارات فى عمق الأراضى المصرية لن تقنع السكان المدنيين بالاستسلام ، بل ستعزز تصميمهم على المقاومة . وقد كان هذا الدرس المستقى من جميع عمليات القصف الجوى كافيا ، فقد رد الفيتناميون الذين تحملوا طوال سنوات القصف الأميركى العنيف ، لا بالاستسلام ، بل باسقاط المزيد من طائرات العدو . وفى عام ١٩٤٠ ، قاوم ابناء وطنى غارات هتلر باتحاد وعزيمة لم يسبق لهما مثيل . ولهذا يمكن القول إن الغارات الاسرائيلية الحالية ستفشل فى تحقيق غرضها الاساسى .

وخلال ذلك ينبغى التنديد بها بشدة فى جميع انحاء العالم .. ان تطور ازمة الشرق الأوسط خطر وملىء بالعبر ، فلقد توسعت إسرائيل طوال عشرين عاما بقوة السلاح ، وتوجهت بعد كل مرحلة من توسعها إلى «الارادات الحسنة» ، ودعت الى «المفاوضات» ، وهذا هو الدور التقليدى للدولة الاستعمارية التى تريد ان تثبت بأهون السبل ما حققته بالعنف ، فكل غزو جديد يصبح الأساس الجديد للتفاوض من موقع قوة يتجاهل ظلم العدوان السابق . ان العدوان الذى ارتكبته اسرائيل يجب أن يشجب لا لأنه لا يحق لأية دولة ضم اراض أجنبية اليها بالقوة فحسب بل لأن كل عدوان هو تجربة لاكتشاف مدى ما سيتحمل العالم من عدوان .



ليندون جونسون


اندرو جاكسون


أدولف هتلر

لقد وصف الصحفى الأميركى إ.ف. ستون اللاجئين الذين يحيطون بفلسطين بمئات الالوف ، بانهم «حجر الرحى الأدبى فى عنق يهود العالم» . ان كثيرين من هؤلاء اللاجئين دخلوا الآن العقد الثالث من عيشهم المزعزع فى «مستوطنات» مؤقته .

إن مأساة شعب فلسطين هى ان دولة اجنبية «اعطت» بلده لشعب آخر بغية خلق دولة جديدة . وكانت النتيجة ان مئات الالوف من الناس الأبرياء شردوا من منازلهم بشكل دائم ، ومع كل نزاع جديد ازداد عددهم .

فحتام سيظل العالم يحتمل هذه الوحشية ؟

من الواضح جدا ان للاجئين كل حق فى العودة إلى الوطن الذى طردوا منه ، وان حرمانهم من هذا الحق هو سبب استمرار النزاع ، إذ لا يوجد شعب فى العالم يقبل الطرد بشكل جماعى من بلده ، فكيف يطلب من شعب فلسطين تحمل مالا يقبل به شعب آخر ؟

إن تسوية عادلة ودائمة «للاجئين» فى وطنهم هى عنصر اساسى فى اية تسوية حقيقية فى الشرق الأوسط . غالبا ما يقال ، إن علينا أن نتعاطف مع اسرائيل بسبب العذاب الذى لقيه اليهود فى اوروبا على ايدى النازيين ، اننى لا أرى فى هذا سببا لاستمرار عذاب آخرين ، وان ما تفعله اسرائيل لا يمكن الصفح عنه .

أما الاستشهاد بعذاب الماضى لتبرير عذاب الحاضر ، فهو رياء مفضوح . إن إسرائيل لا تحكم على عدد كبير من «اللاجئين» بالبؤس ، ولا هى تخضع كثيرين من العرب فى الأراضى المحتلة لحكم عسكرى فحسب ، بل إنها تحكم على الدول العربية التى تخلصت اخيرا من الاستعمار بالفقر المستمر نتيجة إعطائها المتطلبات العسكرية ، الأولوية على التنمية الوطنية .

كل الذين يريدون ان يروا نهاية لاهراق الدماء فى الشرق الأوسط يجب أن يتأكدوا أن التسوية التى يتبنونها لا تحمل فى طياتها بذور نزاع قادم ، ان العدالة تتطلب ان تكون أول خطوة للتسوية انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها فى حزيران من عام ١٩٦٧ ، وان ثمة حاجة إلى حملة عالمية جديدة لتحقيق العدالة لشعب الشرق الأوسط الذى حرم منها منذ زمن طويل» .

«برتراند رسل : ٣١ـ١ـ١٩٧٠»

رسل والديمقراطية الاميركية

يقول رسل «إن النظرية الديمقراطية بمفهومها الحديث ، لم يبتدعها «جان روسو» (الفرنسي) ، بل العنصر التقدمي فى جيش «كرومويل» فهؤلاء الرجال فشلوا فى بلدهم (بريطانيا) ، الا انهم نقلوا مبادئهم عبر المحيط الأطلسى ، حيث ولدت الديمقراطية الاميركية بعد فترة حضانة .

ويقول : «إن الديمقراطية الاميركية تعرضت إلى تحول كبير عندما أصبح «اندرو جاكسون» رئيساً للجمهورية ، فقد كان الرؤساء السابقون سادة مهذبين معروفين غالباً كملاكين ، وقد مثل اندرو جاكسون ثورة الرواد والمهاجرين على هؤلاء الرجال ، وكان جاكسون يكره الثقافة والمثقفين ، كما كان يشك فى الرجال المتعلمين لانهم يفهمون اشياء تثير حيرته .

جسر الخلاص :

يرى رسل ان العالم منقسم إلى عدة مناطق ، وفى كل منطقة يتعلم الجيل الطالع ان ابناء بلاده فاضلون بشكل استثنائى ، أما سكان المناطق الاخرى فمنحطون واشرار ، وهذا فى رأى رسل لا يخدم السلام فى العالم ، ويقول إن «الحروب فى القرن الثامن عشر كانت عملا مربحاً ، فباستثناء حرب الاستقلال الأميركية ، خرجت انكلترا من حروب ذلك القرن رابحة من وجهة نظر مالية ، أما الان فالأمور مختلفة ، وقد وصلت إلى حافة الدمار عن طريق نصرين كاملين ومطلقين فى حربين عالميتين متواليتين ، ولم يعد بالامكان اقناع الشعب الانكليزى بان الحرب عمل مربح ، على الرغم من انه ما يزال على الولايات المتحدة الأميركية أن تتعلم هذا الدرس»

لكن ما هى الطريق نحو السلام العالمى ، وقيام عالم لا تسوده الحروب والصراعات ؟

يقول رسل : «إن جعل الانظمة الديمقراطية ميالة إلى السلام بدلا من الحرب ، هو مهمة المدارس ، اذ يتوجب تعليم التاريخ على انه تاريخ نشوء المدنية والحضارة ، لا تاريخ هذه الامة أو تلك ، كما يجب تعليمه من وجهة نظر البشرية ككل ، لا بالتشديد غير المناسب على بلد كل فرد .

الحكومة العالمية

ويرى رسل ان الضمان الاقوى لتثبيت اسس السلام فى العالم ، ومنع نشوب الحروب وانتشارها ، والقضاء على المنازعات وفض الخلافات بالطرق السلمية ، انما يكمن فى قيام حكومة عالمية ، فيقول : «ان مسألة اللامركزية حيوية فى دراسة مشكلة الحكومة العالمية ، فمن الواضح انه لو كانت هناك حكومة عالمية ، فانه سيكون لديها مهمات محددة ومعينة ، وان معظم الاعمال التى تقوم بها الحكومات الوطنية حاليا ، ستبقى فى ايدى هذه الحكومات .

وقد يعتقد البعض ان موضوع الحكومة العالمية سيظل مقلا اعلى لا يمكن تحقيقه ، طالما استمر التوتر بين الشرق والغرب ، ولكن التوتر مشكلة ملحة ، لانه إذا لم يحل خلال الجيل القادم ، فسيصبح بقاء البشرية أمرا مشكوكا فيه . ويعتبر هذا القول مزعجا لان الناس لا يحبون تغيير عاداتهم العقلية التى تعتبر كراهية دولة اجنبية معينة من اكثرها تأصلا ، وهم يكرهون التسليم بان العادات القديمة لا تتفق مع البقاء ، وثمة قلة قليلة من الناس تتوق إلى البقاء اكثر من توقها إلى عدم التفكير

وهذا الموضوع بالطبع ، لا ينظر إليه هذه النظرة فى عقول الناس ، فما يحدث لديهم هو اعتقاد سريع بان كل فكر غير عادى هو فكر سخيف ، وهذا الاعتقاد شائع ووطيد الى درجة ان الناس لا يكلفون انفسهم عناء رؤية ما إذا كان له أساس منطقى ، واننى اعتقد ان كل انسان قادر على مقاومة هذا الاندفاع يجب آن يدرك أن بقاء الجنس البشرى يعتمد على إلغاء الحرب ، وان الحرب لا يمكن أن تلغى إلا بقيام حكومة عالمية» .

ويتساءل رسل عن السلطات التى تحتاج إليها الحكومة العالمية المقترحة ، ثم يجيب : «إنها بشكل اولى تتعلق بالحرب والسلام ، والحكومة العالمية بحاجة إلى احتكار جميع اسلحة الحرب المهمة ، والى سلطة إعادة النظر فى المعاهدات بين الدول ، ورفض الاعتراف باية معاهدة لا توافق عليها هذه الحكومة ، كما انها بحاجة الى تصميم حازم لشن حرب على اية دولة تثور على سلطتها أو ترتكب عدوانا على دولة اخرى ، لكنها لن تكون بحاجة إلى السيطرة على الدول فيما يتعلق بتطورها الاقتصادى الداخلى ، وشؤون التعليم ، ومؤسساتها الدينية ، واية مسألة اخرى يمكن ان تعتبر فعلا مسألة داخلية .

وفى الواقع فان ما يتوجب على الحكومة العالمية ان تأخذه من الدول هو ما اخذ من الفرد منذ زمن بعيد ، الا وهو حق القتل ، ويتوجب على الدول جميعها ان تدرك ان تحديد مماثلا لحريتها ليس موضوع اعتراض ، كما يجب عليها ان ترضى بحرية إدارة شؤونها الخاصة ، وعدم المطالبة بان يتاح لها قتل الغرباء حسب مزاجها» .

رسل .. منطقياً وحالماً

إن رسل المنطقى والواقعى والذى قاوم العدوان والمعتدين ، وحاكم رئيس الولايات المتحدة فى محكمته الشهيرة ، وجرمه بالمسؤولية عن المذابح الجماعية التى ارتكبها الجيش الاميركي ، واعمال الإبادة ضد الشعب الفيتنامى ، كما حاكم الصهاينة ــ النازيين الجدد ــ وادرك الى حد كبير الظلم التاريخى الذى لحق بالشعب العربى الفلسطينى ، كان يحلم بعالم جديد تنتفى منه الحروب واعمال القتل والسلوك البربرى . ولهذا كان صارما فى آرائه واحكامه كحد السيف ، فلم يجامل احدا ولم يتزلف لاحد إلا انه ــ كما يبدو ــ كان مفرطا فى التفاؤل ، فالعالم مايزال على حاله بعد رحيله بعقد كامل ، وربما سيبقى يتخبط فى عدوانيته المجنونة ، وجنوحه اليائس نحو الحروب كوسيلة لتسوية النزاعات وفرض الارادة والهيمنة ، الى عقود واجيال اخرى ، وربما الى قرون مديدة !

عصام شريح

لولوة المسند

السياسة التعليمية

هل ترفع الكفاءة الاقتصادية للمرأة القطرية؟

- مطلوب مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة في المجال المهني
- مشاركة المرأة في التنمية تعطي نظرة أرفع لقيمة عملها في المجتمع

تسعى الدول جاهدة فى هذا العصر الذى يتميز بشراسة التنافس الصناعى، إلى تنويع مصادر دخلها فى سبيل زيادة ثروتها والحفاظ على استمرارية وجودها واكثر ما ينطبق هذا القول على تلك الدول التى كان نصيبها من الثروة الطبيعية فى الحياة ضئيلا .

ودولة قطر التى تعتمد بصورة رئيسية على النفط ، وهو كما نعلم من مصادر الدخل غير الثابتة إلى الأبد ، احوج ما تكون إلى الاعتماد مستقبلا على موارد اخرى . واهم هذه الموارد هو العامل البشرى الذى تعتبر تنميته ضرورة اقتصادية ملحة لابد ان تضعها الخطط التنموية لهذا البلد فى المقدمة .

ولا شك أن استثمار العنصر البشرى ذو مردود مربح وخير حيث انه الدعامة الاقتصادية لدول تغلب على اراضيها الصحراء . إلا انه قد تبرز عوائق كثيرة تعمل على إبطاء نجاح هذا الاستثمار . ومن هذه العوائق انخفاض الفعالية الاقتصادية للمرأة الخليجية وهذا القول ينسحب أيضاً على المرأة القطرية التى هى جزء من المجتمع الخليجى ـ الأمر الذى يستوجب وضع سياسات تعليمية وتدريبية تسهم فى رفع هذه الفعالية .

المرأة ما قبل النفط أنشط اقتصاديا

إن التعليل الذى يطرح لانخفاض هذه الفعالية هو وجود ضغوط اجتماعية . وقد يكون فى هذا التعليل شىء من الواقع ، إلا انه غير مقبول فى كثير من الأحيان . فمثل هذه الضغوط كانت فى مجتمع ما قبل النفط غير اننا كنا نرى المرأة اكثر فاعلية فى سد الكثير من احتياجاتها المعيشية . فهى فى المجتمعات الحضرية على الشواطىء كانت تقوم بصيد السمك وبناء بيوت الطين وغيرها . وفى المجتمعات البدوية فى الصحراء كانت تعمل فى الرعى والانتاج الحيوانى كاللبن والزبدة ، وتخيط الملابس والخيام واربطة الماشية

فراغ المرأة ظاهرة مرضية فى المجتمع

رب قائل إن قيودا اجتماعية معينة قد حدت من نشاط المرأة الاقتصادى فى المجتمع النفطى ، وان ارتفاع مستويات المعيشة قد ساهم فى النظر الى عمل المرأة على انه نوع من الترف ووسيلة لشغل الفراغ ، مما ساعد على جلب عمالة خارجية ـ حتى فى بعض الأنشطة التقليدية للمرأة كالعمل المنزلى .. ولهذا تاثير سلبى اجتماعياً بالطبع على المدى البعيد .

ولابد من القول بصفة عامة إن الأعراف والتقاليد الاجتماعية لا تحول دون وجود سياسات تعليمية وتدريبية وإعلامية تسهم جميعاً فى جعل عمل المرأة أمراً مقبولا ، أو انها تفسح المجال لقبوله فى المستقبل بصورة تدريجية واذا تم توفير كافة التخصصات العلمية بالنسبة للدراسات الجامعية وكذلك توفير الدراسات العليا فى الداخل ، فعندها تكون الخطط التعليمية قد حققت اغراضها على اكمل وجه ، واستطاعت أن تلبى المتطلبات الاقتصادية فى البلاد خاصة وان نسبة الاناث إلى العدد الكلى للسكان تكاد تمثل النصف . وليس هناك بالطبع من يريد الجمود للنشاط الاقتصادى للمرأة ، أو صبه فى قطاع واحد وحيد . إن الاعتماد على كلية التربية فى تخريج قوة عاملة نسائية يبدو حكيما من حيث انه يحقق الهدف الأول للسياسة التعليمية وهو الاكتفاء الذاتى من المدرسات المحليات لكن إذا اقترن تدعيم هذا الهدف وتعزيزه بخطة اقتصادية متكاملة تتحقق بموجبها التنمية فى جميع القطاعات الاقتصادية لأصبح تحقيق التوازن فى توزيع القوى العاملة على هذه القطاعات أمراً مكفولا ، خاصة وأن النفط ليس ابدياً . وكلما كان توسيع القاعدة الانتاجية فى فترة اقصر كلما كان ذلك افضل واجدى نفعاً لمستقبل بلادنا ، واضعين نصب أعيننا بالطبع نزوح العمالة الوافدة عن البلاد فى يوم من الايام ، قرب هذا اليوم أم بعد .

ومن ناحية اخرى فان نسبة مساهمة المدرسات المحليات فى المدارس الابتدائية مثلا قد زادت من١٥٪ عام ٧٠ ـ ٧١م الى ٣٦٫١٪ فى عام ٧٣ ـ ٧٤م . وهى نسبة تزيد على الضعف . وهذا يبشر بان هدف الاكتفاء الذاتى من

المدرسات يمكن تحقيقه . وان كان الاعتماد على العمالة الوافدة يعني صب المزيد من العمالة المحلية في قطاع الخدمات كالتدريس مثلا ، فيفترض ان تكون الخطط التعليمية اكثر شمولا بحيث تحقق الاكتفاء الذاتي من المدرسات وفي نفس الوقت تلبي حاجات القطاعات الاقتصادية الأخرى .

كيف تكون المرأة النشطة اقتصاديا ؟

إن تلبية حاجة القطاعات الاقتصادية الأخرى تكون بتوفير الفرص الممكنة لدخول العمالة النسائية لهذه القطاعات وهذا يتطلب وجود مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة في المجال المهني ، وان يتعدى تدريبها في إدارة التدريب والتأهيل الاجتماعي الخياطة والتطريز إلى الطباعة والاختزال والتصوير الفوتوغرافي ، واستعمال الكومبيوتر ، والأجهزة المتطورة . وان تتاح لها الفرصة لخوض العديد من المجالات العلمية المختلفة . كما لابد من زيادة تشجيع المشاركة الاقتصادية للمرأة كافتتاح رياض للأطفال ، وبث توعية إعلامية مكثفة حول أهمية مشاركة المرأة في تنمية المجتمع مما سيسهم في إعطاء نظرة ارفع قيمة لعمل المرأة .

وانطلاقا من هذا الهدف ، كان لنا اللقاء التالي مع عدد من المعيدات القطريات في جامعة قطر . وجدير بالذكر ان عدد المعيدات في كلية التربية يزيد على ثلاث وستين معيدة اختيرت ست منهن لاكمال دراساتهن العليا في الخارج والمعيدات اللواتي التقينا بهن ، هن :

ظبية السليطي : «لغة عربية» .
أمينة كاظم : «علم اجتماع» .
هيا الدرهم : «لغة عربية» .
منى عبيدان : «لغة عربية» .
أمينة الجابر : «شريعة» .

تسهيل البعثات

● ما هي الفرص التي تتوفر للمعيد الشاب وتتمنين الحصول عليها ؟

ظبية السليطي : فرصة التعليم العالي .. لقد حاولت أن اسافر لكن ظروفي لم تسمح . وحبذا لو يفتح مركز للدراسات العليا هنا . فبذلك ستتاح فرصة عظيمة لخريجات الدفعات الاولى اللواتي شهد الجميع بكفاءتهن لمواصلة دراستهن .

منى عبيدان: أرى ضرورة زيادة تسهيل البعثات ، وخاصة عندما يتوفر المحرم .

أمينة كاظم : إذا كانت هناك ضغوط أسرية أو عائلية قد وقفت حائلا دون ابتعاث الفتاة إلى الخارج للدراسة ، فهناك ايضا نسبة لا باس بها من الفتيات ليس لدى ذويهن مانع من سفرهن للخارج

ظبية السليطي: الحد من البعثات بالنسبة للدراسات الجامعية امر يمكن تقبله نظرا لتوفر الدراسة الجامعية في بلادنا . وما يقال عن الضغط الاجتماعي وتاثيره على الفتاة نفسيا ، وخصوصا عندما تواجه مجتمعات اخرى ، قد يصدق الى حد ما على صغيرات السن ولكن هناك بالمقابل حالات كثيرة ، خاصة الدراسات العليا ، كانت فيها فتياتنا مثالا يحتذى ـ يساعدهن في ذلك مستواهن الثقافي والسني .

الحاجة إلى خطط واضحة

● يقال ان اقصى ما تقوم به المعيدة القطرية هو شرب الشاي والقهوة . ما تعليقك ؟!

منى عبيدان : تستطيعين ان تسالي الطالبات عن ذلك ربما كان هذا قبل ان يصدر قرار يلزم المعيدة بالتدريس هذا العام .

ظبية السليطي : انا أعمل معيدة منذ أربع سنوات . لكن هذه هي السنة الاولى التي اتحرك فيها . لم يكن لنا عمل يذكر . والآن بعد ان عمم التدريس كبديل وهو بديل مؤقت وليس كافيا اذا لم تقم دراسات عليا . وبالرغم مما يقال عن انه ستقام دراسات تمهيدية كنواة للدراسات العليا إلا أن هذا سياخذ زمنا حتى يتم تنفيذه .

أمينة كاظم : ان إعطاء محاضرة او محاضرتين في الاسبوع لا يعتبر كافيا لقد قضت زميلاتي أربع سنوات وهانذا قد قضيت سنتين ولكني غير راضية عن وضعي وتدعو الحاجة الى مخطط واضح تسير عليه .. لان من شان الطريقة الحالية ان تبعد المعيدات وتجعلهن يلجان الى عمل اخر .

ظبية السليطي : ان مدرسة ابتدائي اكثر انتاجا واكثر فاعلية مني ، حيث تعطى هي إحدى وعشرين حصة اسبوعيا في حين اعطى انا ثلاث محاضرات دون ان تكون هناك صورة واضحة لما ساقوم به بعد ذلك .

تصور اخر

لقد طرحت الاخت ظبية تصورا لمعالجة الوضع بفتح دراسات تمهيدية . هل لديكن اى تصور اخر؟

أمينة كاظم : نتمنى ان تفتح الدراسات العليا قريبا . وقد فكرت بعض المعيدات بالدراسة على حسابهن الخاص . ولكن لماذا والدولة توفر ذلك للجميع . على الأقل يفتح المجال لاقامة دراسات بالانتساب .

المعيدة س : لكن هناك دراسات لا تتناسب والانتساب كدراسة اللغة الانجليزية ودراسات العلوم التطبيقية .

خطط عملية

● هل لديكن اى خطط عملية لمواجهة المشكلة ؟

منى عبيدان : ان تذهب المعيدة للتدريس في المدارس على ان يكون لها الحق في العودة كمعيدة عندما يتم افتتاح الدراسات العليا .

ظبية السليطي : إن لجوء المعيدة لوزارة التربية يعني وجود مشكلة عجزت الجامعة عن حلها . وهذا مالا تقبله الجامعة . واتوقع أن يرفض مثل هذا الطلب .

أمينة كاظم : لقد تقدم بعض الأساتذة بطرح بعض المواد الدراسية للمعيدات والتي يمكن ان تحسب لهن في جامعات اخرى كجزء من الدراسات العليا . والغريب أن تتراجع تلك الجامعات عن ذلك . لذا يجب أن يكون هناك اتفاق بين جامعة قطر والجامعات الأخرى على احتساب هذه المواد .

منى عبيدان : بالرغم من وجود اتفاق سابق بين جامعة قطر وجامعة القاهرة

لم تحسب لنا مواد كثيرة كمادة اللغة الفارسية عندما ذهبنا للقاهرة . هناك وسيلة اخرى يمكن ان تقوم بها كل معيدة وأعني الاجتهاد الشخصي ، وهو أن تقوم المعيدة بعمل أبحاث خاصة ثم تنشرها .

هيا الدرهم : اقترح رفع مذكرة لمجلس الجامعة وللمسؤولين توضح الصورة .

مريم الدرويش «سكرتيرة» : اعتقد ان المقابلة الشخصية افضل كثيراً لانها تعطى فرصة للمناقشة .

أمينة الجابر : لقد عرض موضوع إقامة دراسات عليا في كلية الشريعة على سمو ولي العهد ، وقد ابدى موافقته فكل الشروط متوفرة في هذه الكلية لاقامة الدراسات : الطالبات : والهيئة التدريسية والكتب ، إلا ان إدارة الجامعة لم تقدم بعد على تنفيذ المشروع بحجة بدء الدراسة في كلية دون اخرى ، وإن كلية الشريعة ممثلة بصوت واحد في مجلس إدارة الجامعة .

المرأة .. والفراغ

● هناك موضوع الفراغ الذي تشكو منه المرأة في مجتمعنا ، فكيف يمكن معالجته ؟

أمينة كاظم : هذا واقع فعلا . لقد جذبت حركة محو الأمية عدداً كبيراً من النساء وساهمت في شغل الفراغ عند المرأة . الا ان المرأة المتعلمة تعاني ايضاً من فراغ . اعتقد لو امكن ايجاد جمعيات نسائية .

أمينة الجابر : أعتقد أن الجمعيات هي وسيلة لاضاعة الوقت .

ظبية السليطي : هي ليست كذلك إن احسن استغلالها . فهي قد تسهم في علاج مشاكل المرأة اولا ، ومشاكل المجتمع ثانياً .

أمينة كاظم : العنصر القطري موجود . المشكلة هي مسألة التنظيم وكيفية طرح برامج لتوعية المرأة القطرية وقد يكون مفيداً في هذا الخصوص الاتصال بالاعلام .

سليم سعيد

رَدّ على "لولوة المسند"

هذا هو موقف جامعة قطر

● الجامعة تحرص على توفير العناصر البشرية بمستقبل علمي .. وتهيئة المعيدات لمستقبل واعد

كان انشاء جامعة قطر سنة ١٩٧٣ م ممثلة في نواتها كليتي التربية للمعلمين والمعلمات ، استجابة لمتطلبات تلك المرحلة الحضارية التي وصلت اليها قطر ثم نمت الجامعة وتشعبت وعظمت مسئولياتها ، فاصبحت تضم خمس كليات بمختلف فروعها هي :

التربية ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية ، والشريعة والدراسات الاسلامية والعلوم ، والهندسة .

وتجرى الدراسات الواعية والمتانية لانشاء كليات تناسب احتياجات المجتمع الذي من اجله كان إنشاء الجامعة ، اضافة الى مراكز للبحوث في مختلف ضروب المعرفة والتطبيق .

ولقد حرصت جامعة قطر منذ البداية على وضع تخطيط ثابت ومدروس بعناية فائقة لاعداد الهيئة التدريسية القطرية من الجنسين ، تتولى زمام المسئولية في المستقبل القريب . فعين فيها الكثير من المعيدين والمعيدات وتم ابتعاث بعضهم الى الخارج للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه والانضمام الى أعضاء الهيئة التدريسية .

ونظرة سريعة على احصائيات الجامعة فيما يتعلق بالدراسات العليا للقطريين ، ترينا انجازاً نقول بكل تواضع انه انجاز مميز اذا ما قسناه بعمر الجامعة الذي لم يتجاوز سبع سنين ، انجاز فاق عمرها ، وفاق حدودها فجعلها تتفاعل مع المجتمع القطري الذي نمت في وسطه تؤثر فيه وتتاثر به تاثيراً وتاثراً ايجابيين ومثمرين .

يبلغ اجمالي عدد المعيدين والمعيدات مائة وثمانية وعشرين : ثلاث وثمانون معيدة ، منهن عشرون في بعثات دراسية في الخارج . وخمسة وأربعون معيداً منهم ستة وثلاثون في بعثات دراسية .

ويبلغ عدد الحاصلين والحاصلات على الدبلوم الخاص في التربية خمسة وثلاثين : اثنتان وعشرون طالبة ، وثلاثة عشر طالباً .

ويبلغ عدد الطالبات (المعيدات) اللواتي يدرسن دراسات تمهيدية للدراسات العليا احدى عشرة طالبة .

وبمزيد من الاعتزاز تفخر جامعة قطر بانضمام خمسة من القطريين والقطريات الحاصلين والحاصلات على درجة الدكتوراه الى أعضاء الهيئة التدريسية .

وبانضمام عشرة من المعيدين والمعيدات الحاصلين والحاصلات على درجة الماجستير ، وما هي إلا بضع سنوات حتى تكتمل الهيئة التدريسية القطرية .

لعل هذه العجالة تقودنا الى موضوع المعيدات على وجه التحديد فهن موضوع المقال أو كما يقال «بيت القصيد» حينما تعلن الجامعة عن حاجتها

لمعيدات تشترط مستويات محددة وتقديرات معينة لشغل هذه الوظائف توخيا لتوفير العناصر المبشرة بمستقبل علمي عظيم لكي تكون الهيئة التدريسية القطرية المأمول اكتمالها مبنية على أثبت الأسس ، وأكثر العناصر اشعاعاً للعلم والتعلم .

- فالمعيدة باديء ذي بدء يفترض فيها ان تهيأ للمستقبل الواعد ، والجامعة تتخذ في سبيل ذلك عدة وسائل :

● بعض المعيدات يحملن بكالوريوس التربية ، وقد يقتضي ذلك من بعض المعيدات القيام بدراسات تكميلية تستغرق فصلين أو أكثر لكي تحصل على البكالوريوس من كلية أخرى في المادة التي تريد التخصص بها في الدراسات العليا إضافة الى ما تحمله "بكالوريوس" فتطرح الجامعة المقررات التكميلية المطلوبة .

● هناك مقررات تمهيدية للدراسات العليا ستطرحها بعض الأقسام في الفصل الدراسي القادم ، ويمكن حذف هذه المقررات من مقررات الدراسات العليا بالجامعة متى ابتدأت باذن الله .

● يستعان بالمعيدات في التدريس في أجزاء من المقررات باشراف الاستاذ ولا ينظر في هذا المجال الى عدد الدروس التي تعطى ، بل الى نوعية الدرس ومستوى الطالبات المتلقيات ، والتدريس هنا يراد به توجيه المعيدة ، كيف تستخرج موضوع محاضرتها من أمهات الكتب وكيف تتمكن من توصيل المعلومة الى المتلقيات باسلوب مقنع ، وكيف تنمي ثقتها بنفسها كي تكسب ثقة الطالبات بها .

ويستعان بهن كذلك في تحمل المسئوليات الأكاديمية والادارية الملقاة على عاتق المسئولين بالأقسام ، والمراقبات ، ومراجعة بحوث الطالبات والقيام بدراسات وتدريبات ميدانية تقوم بها الجامعة لجمع البيانات والاستفتاءات .

● بالنسبة لمعيدات كلية التربية فالطريق أمامهن واضح ويمكنهن الحصول على الدبلوم العام والدبلوم الخاص الذي يؤهلهن للتسجيل لدرجة الماجستير ، وقد حصل بعضهن على تلك الدرجة وبامتياز .

● يقوم الأساتذة المشرفون بتوجيه المعيدات الى قراءات تخصصية تحت اشرافهم المراد منها صقل المعيدة ، والأخذ بيدها لدراسة بعض المراجع العربية والأجنبية ، ومن ثم مناقشتها وتحليلها ، وصولا الى تصور معين أو توجيه معين يمكن المعيدة من اختيار الموضوع الذي ستجعل منه مجالا لدراستها العليا .

وحرصاً من الجامعة على توثيق الصلة بينها وبين خريجيها وخريجاتها ، ولملء الفراغ الذي قد ينجم عن استرخاء الطالب أو الطالبة بعد التخرج ، وارتكانهما الى الوظيفة والقراءات العامة . لذلك كله افتتحت الجامعة مكتبا للخريجين وآخر للخريجات ، ومن أولى واجبات العاملين بهما الاتصال المتواصل بالخريجين والخريجات وعقد لقاءات وندوات وتلقي مقترحات تساعد على بلورة افكار محددة تنهض بالمجتمع الذي هم دعامته . ومن عجب أن الكفاءات التي تقوم على مكتب الخريجات تشتكي من عدم استجابة الخريجات والمثقفات القطريات بالمستوى المطلوب للدعوات التي يبعثها المكتب لاحياء الندوات والأمسيات الشعرية والمحاضرات العامة .

ثمة نقطة جديرة بالدراسة والتحليل ، وهي قضية البعثات الدراسية في الخارج للمعيدات .

نحمد الله سبحانه الذي قيض لهذا البلد من الرجالات الواعية القادرة على التعامل مع العصر باسلوب يجمع بين الحداثة والمحافظة على العقيدة والتقاليد ومثل هذه الرجالات متوافر في القيادة ، ومتوافر في الآباء الذين لا يخضعون الحكم الشرعي للأمزجة فحين يرفضون ابتعاث بناتهم للدراسات خارج البلاد فهم يعملون بما تمليه عليهم العقيدة السمحة ، وما لم يتوفر المحرم الذي يتحمل عن الطالبة أعباء الذهاب والاياب والابتياع والتصديقات والمشاغل التي يصعب عليها اجتيازها بمفردها ، بدون ذلك المحرم أو من يؤمن لها ذلك ، فمن الصعب اخضاع مثل هذا المفهوم الواعي لرغبة واحد أو اثنين من الآباء لا يرون حرجاً من ابتعاث بناتهم .

ولتطويع هذا المفهوم المحافظ ليتماشى مع الغاية السامية في التوجه للدراسات العليا ، فان الجامعة لا تبخل على المعيدات اللواتي يرغبن مرافقة اخوتهن أو أزواجهن المبتعثين في دراسات عليا في الخارج ، ومن بين المعيدات من فعلت هذا ووافقت محرمها للدراسات العليا في الولايات المتحدة الامريكية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد شكلت الجامعة لجنة على مستوى عال تبحث موضوع انشاء دراسات عليا في كليتي الشريعة والدراسات الاسلامية وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية التربية وكلية العلوم ولا يخفى على ذي بصيرة أن الدراسات العليا في أية جامعة تحتاج الى دراسة واعية ومتأنية وليس بالأمر السهل أن تطرح مقررات للدراسات العليا دونما اعداد ودونما دراسة لاحتياجات الدولة والمجتمع من مثل هذه الدراسات ، ودائما يكون التخطيط الشامل والمتطلع للمستقبل المشرق ابعد من طموحات فرد، وأعمق من رغبة جامعة في البدء بتلك الدراسات تبديها معيدة محقة أو حتى معيدات . وفي نفس الوقت فان مجالس الجامعة تبحث أطر التعاون بين جامعة قطر والجامعات الأخرى فيما يتصل بالدراسات العليا ، بحيث يمكن اعتماد الساعات المكتسبة المتقدمة التي تطرحها جامعة قطر بما يعادل السنة التمهيدية للماجستير .

وبناء على ذلك يمكن التسجيل في تلك الجامعة للماجستير باشراف مزدوج أي باشراف استاذين أحدهما من جامعة قطر، فاذا تمت الخطوة التي تدرسها الجامعة فان جانبا من الموقف يكون قد ذلل .

على أن الجامعة ترحب بآراء الجميع وتسعد إذ تسمع أصوات المعيدين والمعيدات تعبر عن الرغبات الصادقة والطموح الصادق ، ولكنها في الوقت نفسه حريصة على ألا تخطو الخطوة إلا بعد الدراسة المتأنية إيماناً منها بأن التطور لا يعني القفز وإنما السير بثبات نحو الأفضل ، وايماناً بأن العمل الجيد هو العمل الذي يولد جيداً ، حتى لا يصاب بنكسة ولا يعوقه عائق ، فتدرس ظروفه ، لتسايره جودته ويحقق غاياته .

سليم سعيد
رئيس قسم العلاقات العامة بالجامعة

نهر الليطاني

لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

منذ دخول القوات السورية الى لبنان فى النصف الأول من عام ١٩٧٦ ، وبعد انتشار هذه القوات فيما بعد ضمن نطاق «قوات الردع العربية» فى معظم انحاء لبنان ، حذرت «اسرائيل» من انها تعتبر مجرى نهر الليطانى والمناطق الواقعة الى الشمال منه ، «خطأ احمر» ، لن تسمح للقوات السورية بتجاوزه نحو الجنوب .

وخلال غزوها لجنوب لبنان فى اذار (مارس) ١٩٧٨ ، وصلت قوات العدو الصهيونى الى بعض قطاعات مجرى نهر الليطانى ، وفى غضون ذلك كانت اجهزة الاعلام الصهيونية والأبواق الاسرائيلية تردد دائماً ، بأن «خط الليطانى» هو «الخط الأحمر» بالنسبة لانتشار القوات السورية فى لبنان .

مطامع قديمة

وفى الواقع ، فان نهر الليطانى بالذات كان محط انظار قادة الصهيونية الأوائل قبيل إنشاء الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين المغتصبة ، اضافة الى نهر الاردن وروافده فى لبنان .

وفى الواقع فان العدوان الاسرائيلى المستمر على جنوب لبنان منذ حوالى عقد من الزمن ، كان – ومايزال – يرمى الى تحقيق ثلاثة أهداف هى :

● احتلال منطقة الجنوب اللبنانى ابتداء من جنوب مدينة صيدا الساحلية الى جبل الشيخ فى الداخل .

● تصفية قوات الثورة الفلسطينية فى المنطقة وحليفتها قوات الحركة الوطنية اللبنانية .

● إقامة دويلة طائفية «مارونية» ، « دويلة سعد حداد» لفترة مرحلية تخدم الأهداف الصهيونية الاستراتيجية بعيدة المدى .



خريطة مفصلة توضح نهر الليطانى

إن الحديث عن العدوان الصهيونى على جنوب لبنان ، ينبع فى الواقع من المطامع الصهيونية فى هذه المنطقة ، وهو فى اى حال ليس نتيجة مباشرة للتواجد الفلسطينى والوطنى اللبنانى المسلح هناك ، وأى حديث خارج اطار هذه المطامع ، لا يتماشى والحقائق التاريخية المسلم بها .. والوثائق على اية حال هى خير دليل وافصح ناطق .

● بعد حصول قادة الصهيونية على «وعد بلفور» فى ٢ تشرين الثانى «نوفمبر» من عام ١٩١٧ ، تقدمت لجنة تضم شخصيات صهيونية بريطانية ، بمذكرة الى الحكومة البريطانية ، اصرت فيها على ضرورة اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على المناطق

● كان النهر محط أنظار قادة إسرائيل الأوائل قبل إنشاء الكيان الصهيوني

● الأهداف الثلاثة الكامنة وراء العدوان المستمر على جنوب لبنان

● عندما حدد "وايزمان" أهمية مياه نهر الليطاني للاقتصاد الإسرائيلي



إحدى قرى جنوب لبنان الواقعة على النهر .

اللبنانية الواقعة جنوب نهر الليطانى وسفوح جبل الشيخ الغربية .

● وفى المذكرة الرسمية التى قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام الذى عقده زعماء الحلفاء فى الفترة الواقعة ما بين ١٩١٦ - ١٩١٧ ، أصرت الحركة الصهيونية على اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على منطقة جنوب لبنان ، وجبل الشيخ ، وتقول المذكرة بالنص : «إن حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلى :

تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة صيدا وتتبع منابع المياه التى تتدفق من سفوح جبال لبنان ، حتى جسر القرعون ووادى «التيم» ، ثم باتجاه جنوبى يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ ...»

● وفى ٦ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩١٩ ، حددت الحركة الصهيونية رغبتها فى الاستيلاء على جنوب لبنان وجبل الشيخ بقولها :

«إن الحقيقة الأساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين ، هى أنه لابد من إدخال المياه الضرورية للرى والقوى الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطانى ومنابع مياه نهر الأردن وثلوج جبل الشيخ .

● وفى ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩، كتب «حاييم وايزمن» - أول رئيس للكيان الصهيونى - الى «ديفيد لويد جورج » - رئيس الحكومة البريطانية ، محدداً آراءه فى الحدود الشمالية «لفلسطين يهودية» ، قال فيها «بالنص» : «وضعت المنظمة الصهيونية منذ البدء ، الحد الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق «الوطن القومى اليهودى» ، ولا داعى الى القول ، إن الصهيونيين لن يقبلوا ، تحت اية ظروف «خط سايكس - بيكو» ، حتى كاساس للتفاوض ، فانه لا يقسم فلسطين «التاريخية» ، ويقطع منبع المياه الذى يزود نهرى الليطانى والأردن فحسب ، بل يفعل ايضا اكثر من ذلك كثيراً ، فيحرم «الوطن القومى اليهودى» ، من بعض اجود حقول الاستيطان فى الجولان وفى حوران التى يعتمد عليها الى حد بعيد ، نجاح المشروع باسره .» ويمضى «وايزمان» قائلاً فى تلك الرسالة : «إن مقتضيات الحياة الاقتصادية العصرية ، تتطلب بالحاح ما ندعيه من حقوق فى الشمال . إن مستقبل فلسطين الاقتصادى كله ، يعتمد على موارد مياهها للرى والقوة الكهربائية ، وإن موارد المياه تاتى بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ، ومن منابع نهرى الأردن والليطانى» .

وفى فقرة أخرى من تلك الرسالة قال وايزمان : «... لهذه الأسباب .. نرى من الضرورى أن يضم حد فلسطين الشمالى وادى نهر الليطانى الى مسافة ٢٥ ميلاً فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن ، وإتاحة المجال امام إعادة تحريج هذه المنطقة» .

نهر الليطاني

لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

● وقد أرسل احد قادة الصهيونية فى بريطانيا ـ وهو السير هربرت صموئيل الذى عين فى عام ١٩١٨ اول مندوب سام على فلسطين بعد اعلان الانتداب البريطانى عليها ـ أرسل مذكرة الى احد أعضاء الوفد البريطانى فى مؤتمر السلام بباريس ، شرح فيها الأهمية المستقبلية لفلسطين كوطن قومى لليهود وحدد عوامل نجاح هذا المستقبل بقوله : «إن نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره ، يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود ، وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، كما يعتمد ذلك على مدى توفر المياه والقوى المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة ، كما وردت فى مذكرة الحركة الصهيونية حيوية للغاية» .

● فى وثيقة سرية أعدها دافيد بن غوريون فى عام ١٩٤١ بعنوان «خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية» ، يقول بن غوريون : إن حدود «الدولة اليهودية المزمع انشاؤها ، تشمل شرق الأردن ، لكنه نصح بعدم الاعلان عن ذلك لأغراض تكتيكية فى ذلك الوقت ، كما ذكر أن «أراضى النقب القاحلة ، وكذلك مياه نهرى الأردن والليطانى يجب أن تكون مشمولة داخل حدودنا» . وقد سرقت «الاستخبارات البريطانية ـ انتلجنس سرفيس» هذه الوثيقة من حقيبة بن غوريون إبان وجوده فى لندن انذاك ، لكن السفارة البريطانية فى تل أبيب أعادت الوثيقة الى وزارة الخارجية الاسرائيلية بعد مرور ثلاثين عاماً على إخفائها .

● وفى خريف عام ١٩٤١ كشف رئيس الحكومة البريطانية انذاك «ونستون تشرشل» أمام مجلس العموم عن «أن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية رسمياً بأن تطلق ايديهم فى فلسطين كلها ، وأن يضم اليها جنوب لبنان الذى يجرى فيه نهر الليطانى ..» .

● وفى عام ١٩٥١ ، كشف ابا إيبان ـ وزير خارجية العدو الأسبق ـ فى معرض نفيه وجود نوايا توسعية اسرائيلية على حساب البلدان العربية المجاورة ، كشف عن المخططات والنوايا الاسرائيلية بقوله : «لسنا من المهتمين بالنيل والفرات ، ولكننا نولى نهر الأردن ومنابعه كل اهتمام» ... وهذا الكلام الواضح جداً يعنى بصريح العبارة ، أن اسرائيل تسعى الى الاستيلاء على اقضية حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من سهل البقاع الغربى فى لبنان .

مشروع جونستون

وفى الخمسينات (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥) اشتدت المطامع الصهيونية فى المياه اللبنانية بصورة خاصة والعربية بصورة عامة ، وجاء الدعم الاميركى لكى يبرر هذه المطامع ويسبغ عليها صفة شرعية ما ، فطلعت الولايات المتحدة على العرب بمشروع يرمى الى اقتسام مياه نهر الليطانى وروافده بين اسرائيل ولبنان وسوريا والأردن ، وقد أطلق على ذلك المشروع اسم «مشروع جونستون» ، نسبة الى المهندس الاميركى جونستون . وكان المشروع يرمى فى الواقع الى ايجاد قاعدة اقتصادية ـ زراعية لاسرائيل عن طريق رى صحراء النقب بجنوب فلسطين المحتلة من أجل تحويلها الى منطقة زراعية قادرة على استيعاب خمسة ملايين يهودى ـ كما كان يحلم بذلك بن غوريون والذى كان يردد ان تنفيذ هذا المشروع سوف يرفع عدد «سكان اسرائيل» الى ثمانية ملايين يهودى على اقل تقدير ، وعندها سيستحيل على العرب تدمير اسرائيل . لقد بدأ «إريك جونستون» ـ مبعوث الرئيس دوايت ايزنهاور ـ زياراته للمنطقة فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٣ وعاد اليها ثلاث مرات بعد ذلك كان اخرها فى خريف عام ١٩٥٥ .

وقد نص المشروع «بايجاز» على التنفيذ ضمن خمسة مراحل تستغرق كل واحدة منها سنتين أو ثلاثا ، وقدرت تكاليف المشروع انذاك بنحو مائة وثلاثين مليون دولار ، ينفق منها نحو ثلاثين فى المائة على توليد الطاقة الكهربية وبناء محطاتها ، كما يقضى المشروع ببناء خزان على بعد نحو ١٣٠ كيلو متراً من قرية «إبل السقى» اللبنانية على ان توزع مياه الخزان ١٣٠ مليون متر مكعب فى العام ، خلال الشهور التى تمس الحاجة فيها الى المياه من اجل الرى ، وعلى ان تشق قناة تتفرع عن هذا الخزان الى منطقة تقع بالقرب من مستعمرة «تل حي» الصهيونية ، تنشأ عليها محطة لتوليد القوة الكهربية ، ثم تجرى المياه الى القناة الأساسية التى ستزود منطقة جبال الجليل بشمال فلسطين بالمياه اللازمة .

وقد نص المشروع كذلك على انشاء سدين . احدهما على ملتقى نهر «دان» بالقناة الأساسية فى منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، لتحويل مياه نهر «دان» و «تل القاضى» الى تلك القناة ، والثانى بالقرب من قرية «عير الحمراء» (بفلسطين المحتلة) ، لتحويل مياه نهر بانياس الى القناة الأساسية لرى منطقة جبال الجليل ، إضافة الى انشاء قناة اساسية بطول ١٢٠ كيلو متراً ، تحول اليها مياه نهرى بانياس ودان ومنابع تل القاضى ، وتسير المياه فى هذه القناة جنوباً حتى تصل الى غرب مدينة طبريا ثم تتفرع عن هذه القناة الأساسية اقنية فرعية يبلغ طولها ١١٠ كيلو مترات ، لرى منطقة الجليل ومرج ابن عامر (بفلسطين المحتلة) .

وقد تضمن «مشروع جونستون» كذلك انشاء قناتين من سد بحيرة طبريا ، الأولى لرى أراضى الغور الغربى من بحيرة طبريا حتى البحر الميت ، ويبلغ طول القناة نحو مائة كيلو متر (عدا عن الأقنية التى ستتفرع عنها) ، أما القناة الأخرى ، فالغرض منها هو نقل المياه من بحيرة طبريا الى الغور الشرقى فى أوقات الجفاف .

وقرب قرية العدسية (فى الأردن) تنشأ قناة تبدأ من سد نهر اليرموك ، وتستخدم فى توليد الكهرباء بواسطة محطة تقام قرب القرية المذكورة ، وتحول منها مياه النهر الى بحيرة طبريا ، كما يبنى سد ومحطة كهربية على مجرى نهر اليرموك قرب محطة «المقارن» فى الأردن

اثار القذف على احدى البنايات فى مدينة صور





الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان

● المطامع الإسرائيلية المعلنة بالنسبة لمياه نهر الليطانى

بغرض تنمية المياه فى خزان بحيرة طبريا .

وفى النهاية فشل المشروع ، لان الحكومات العربية (السورية واللبنانية والأردنية والمصرية) شكلت لجنة فنية من الخبراء العرب لدراسة مشروع جونستون وإبداء رأيها فيه ، وبنتيجة الدراسة وضعت اللجنة تقريراً صافياً عن المشروع بينت فيه اعتراضاتها عليه، وخلصت الى القول إن المشروع يخدم «اسرائيل» أكثر بكثير مما يخدم الدول العربية ، وإزاء انفضاح الأهداف الخبيثة وراء مشروع جونستون ، الذى ظهر واضحا أنه يستهدف سرقة مياه نهر الليطانى وروافده اضافة الى نهر اليرموك – أحد روافد نهر الأردن – فقد ارتفعت أصوات الاحتجاج العربية الشعبية والرسمية تندد بالمشروع وتطالب برفضه جملة وتفصيلاً ، وكان الفلسطينيون فى طليعة المنددين والرافضين .

مطامع لا تتوقف

بعد فشل مشروع جونستون لسرقة مياه نهر الليطانى ، لم تتوقف المطامع الاسرائيلية المعلنة بالنسبة لهذا النهر ، ففى عام ١٩٥٤ ، نشرت حكومة العدو «مشروع قطن» ، ضمن مشاريعها المائية الرسمية ، وقد تضمن المشروع جر مياه نهر الليطانى ، الذى ينبع ويجرى ويصب فى الأراضى اللبنانية ، الى فلسطين المحتلة عبر قناة حفرت لهذا الغرض ، وهى تمتد من شمال فلسطين الى جنوبها فى صحراء النقب ، والغرض واضح هنا وهو ارواء النقب لتحويله الى أرض زراعية قادرة على استيعاب مزيد من المهاجرين اليهود .

● وفى مطلع عام ١٩٥٥ ، نشرت مجلة «ميدل إيسترن أفيرز» الاميركية الصهيونية ، مقالا جاء فيه : «وكان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير صحراء النقب فى الجنوب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه نهر الليطانى فى لبنان» .

● وفى ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، أى فى أعقاب الحرب الثالثة ، صرح رئيس حكومة العدو آنذاك «ليفى اشكول» بما يلى : «لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ، أن نرى مياه نهر الليطانى تذهب هدراً الى البحر ، وقد أصبحت القنوات جاهزة فى اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستخدامها» .

أهم أنهار لبنان

لكن ما هو نهر الليطانى هذا الذى يحظى باهتمام «اسرائيل» البالغ ، ويسيل لعابها بهذا الشكل ؟

إن نهر الليطانى هو أهم أنهار لبنان فى الواقع ، ويبلغ طوله ١٧٠ كيلو متراً ، وهو يجرى بطيئا فى اعلاه فيتراوح بين ٨٥٠ – ١٠٠٠ متر بين منبعه (نبع العليق) الى الشمال من مدينة بعلبك ، وبلدة «القرعون» حيث توجد بحيرة القرعون ، وهو يجرى بشكل متعرج فى سهل البقاع ، أما بين بلدة القرعون وبلدة مرجعيون ، فيسير فى خانق ضيق لتعترضه الجنادل ، ثم يشق طريقه فى جبل عامل متجها نحو الغرب ، ليصب فى البحر الأبيض المتوسط الى الشمال من مدينة صور الساحلية ، ويطلق عليه هنا اسم نهر القاسمية . أما تصريفه للمياه فيتراوح ما بين ٦٣ و ٣٩ متراً مكعباً فى متوسط التصريف فى الثانية ، كما يقذف بنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب فى البحر دون فائدة .

وفى عام ١٩٥٤ حزمت الحكومة اللبنانية أمرها ، بعدما تبين لها مدى المطامع الصهيونية فى مياه الليطانى ، وقررت استغلال مياه النهر لرى الأراضى اللبنانية واقامة مصانع ومعامل احدها لتوليد الطاقة الكهربية . وقد شكلت على هذا الأساس «مصلحة الليطانى» التى استندت الى دراسة أجرتها بعثة اميركية ، ووجدت أن معدل تصريف النهر يقارب ٣٥٠ مليون متر مكعب ، فغيرت تصميم سد القرعون بحيث يستوعب ٢٢٠ مليون متر مكعب بدل ٦٠ مليونا ، لكن خوفاً من تفجر السد بسبب تفجر الرمال والمياه المضغوطة فى «نفق مركبه – الأولى» ، أعيد تصميم السد على طريقة جديدة وانتهى العمل فيه فى عام ١٩٦٨ حيث أقيم على السد معمل كهرباء ومعمل جوت ، أما الرى ومشاريعه فقد تأخرت كثيراً عن هذا التاريخ ، وحتى الآن مايزال الجدل قائما حول منسوب المياه المخصصة لرى منطقة الجنوب بين ٦٠٠ و ٨٠٠ متر مكعب من الماء . وكان مفترضاً أن يتم رى مساحة من الأرض تبلغ ٣٢ الفا و٧٧٠ هكتاراً ، كما أن مشروع استغلال مياه الليطانى يرمى الى تخزين ٢٢٠ مليون متر مكعب امام سد القرعون لصلابة صخور المجرى الغرانيتية ، كما أن المياه المقرر خزنها امام «سد الخردلى» تقدر بـ ٧٠٠ مليون متر مكعب تستخدم لرى منطقة النبطية السفلى ، كما تستخدم فى توليد الكهرباء وبوشر كذلك فى مشروع لتجميع مياه عيون «عنجر» وتوزيعها ضمن قناة خاصة على أراضى منطقة البقاع الجنوبى تمتد من بلدة القرعون شمالا حتى بلدة «جب جنين» جنوبا ، أما الطاقة الكهربية المقدر توليدها من مشروعات الليطانى فتقدر بـ ٧٢٠,٧٠٠ مليون كيلو واط ساعة على مدار السنة .

نوايا واضحة

إن اهم سمات الحركة الصهيونية فعلا هو الوضوح . واطماعها ونواياها المبيتة بالنسبة لنهر الليطانى أو غيره من الأنهار العربية واضحة وضوح الشمس ، والمسئولون الصهاينة لا يخفونها كما رأينا وكما سنرى فى كل يوم آت .

وإذا أضفنا الى حاجة «اسرائيل» للمياه من اجل تحقيق سياسة الاستيطان فى صحراء النقب ومنطقتى الجليل وغور الأردن ، اذا اضفنا الى ذلك كله تفاقم أزمة المياه فى الكيان الصهيونى خلال العقد الحالى ، لادركنا أن العدو يتحين الظرف والمناسبة على الصعيدين العربى والدولى لتحقيق حلمه القديم فى السطو على المياه العربية ، ونهر الليطانى فى مقدمتها .

فهل ننتبه .. ونفعل – ونحن أحوج ما نكون الى مياهنا – قبل فوات الأوان ؟!

ع . ش



د. عبد المنعم عاشور

«الشيزوفرينيا» حالة من حالات اختلال السلوك الانسانى، تصيب واحداً فى المائة من افراد اى مجتمع بشرى، وهى مرض عالمى يصيب الانسان بصرف النظر عن مستوى نموه الاقتصادى، وعلى اختلاف عقائده الاجتماعية والسياسية ..

وكثيراً ما اطلقوا عليه عبارة «ضياع العقل المبكر الدائم» لانه غالبا ما يبدأ فى سن الشباب، وتطول ملازمته لصاحبه حتى تصبح واحدة من صفاته!

والشيزوفرينيا هى السبب فى وجود المؤسسة الرهيبة «مستشفى الأمراض العقلية» التى صممت فى الأصل كملجأ دائم، ومازالت بؤرة الاهتمام الرئيسية فى مشروعات الصحة النفسية فى العالم كله.

والملاحظ ان هذا المرض الغريب يحول حياة واحد فى المائة من سكان العالم الى تراجيديا هائلة، عناصرها الألم النفسى، والضياع الفكرى، والدمار الاقتصادى!

وترتفع هذه النسبة الى ثلاثة فى المائة من مجموع الشباب فى العالم، مما يكسب المأساة بعداً خطيراً..

وقد حفل الأدب العالمى بنماذج لاناس اصيبوا باختلال فى السلوك، لعل ابرزهم «اوفيليا هاملت»، فهى نموذج للشيزوفرينيا كما صورها شكسبير، حيث كانت تعانى مرض الانفصام، فتبدو هادئة وعاقلة وطبيعية احيانا، ثم تبدو مضطربة الأعصاب الى حد الجنون وإنكار الواقع والحياة فى إطار الخيال الكامل!

معاناة المرضى

والمعروف أن هذا المرض يمثل تحدياً خطيراً للطب النفسى، حيث يقابل الأطباء فى كل يوم «أوفيليا جديدة» تعانى من ذلك الاضطراب الذى يسيطر على السلوك الانسانى ويحيل الحياة الى جحيم لا يطاق!

وعلى الرغم من تحسن اوضاع

المرضى بالشيزوفرينيا فى القرنين الاخيرين بشكل ملحوظ ، إلا ان هذا المرض يحتاج لما هو اكثر وافضل ، خاصة بعد انتقال المرض من القيود الحديدية الى القيود الكيميائية ، فى الوقت الذى نطمح فيه الى تحريرهم من اى قيد يعوق ممارستهم للحيـــاة بصورة طبيعية ..

وعموما فقد انتقلت اتجاهات الطب بكل ما يملك من امكانيات ، الى توجيه هؤلاء المرضى والأخذ بيدهم من مرحلة التشاؤم الشديد الى التفاؤل الحذر .. ومازلنا نطمح فى أمل حقيقى يعيد للمريض شخصيته السوية البعيدة عن المحاذير !

فالواقع أن نظرة المجتمع الى المصابين بالشيزوفرينيا تمثل وصمة لا تغتفر ، وما احوجنا الى تلك النظرة العطوفة الحانية التى تساعد هؤلاء المرضى وتنتشلهم من قسوة الاحساس بالألم والضياع وفقدان الشخصية !

من هو المصاب ؟

واذا نظرنا الى العالم من حولنا ، لوجدنا ان الدول المتقدمة تجند نصف أسرة المستشفيات النفسية للمصابين بمرض الشيزوفرينيا او «الفصاميون» ، وهذا العدد من الأسرة يمثل ربع كافة أسرة المستشفيات بشكل عام .. وهذا فى نفس الوقت الذى لا توجد فيه اسرة كافية فى البلاد النامية للفصاميين .. ـ مثل غيرهم من المرضى ـ فهم يأتون فى نهاية القائمة عند وضع الأولويات !

ولا تستكثر الدول المتقدمة نفقات البرامج الخاصة برعاية الفصاميين المتعددة والمتنوعة ، بينما تتجاهل الدول النامية الانفاق فى مجال الصحة النفسية لصالح التنمية فى هذا المجال وفى مجالات اخرى متعددة !

ونحن لا نسمى مريض الشيزوفرينيا بالمجنون او المعتوه ، لأنها الفاظ غير دقيقة ، وغير رحيمة ، بل نسميه «السيكوتيك» وهو لفظ لاتينى ، شاع استعماله فى العالم بين الأطباء ، وأيضا بين العامة ، وأصبح يطلق على الشخص الذى خرج سلوكه بين الجماعة عن المألوف ، واعترف صراحة أو ضمنا بممارسة خبراته الحسية وغير المألوفة ، واعلن او أسر افكارا غير مألوفة ، وكشفت انفعالاته عن حالة وجدانية مطابقة لخبراته الحسية وأفكاره .

وبالطبع قد يتفق الناس على ما يعتبر غير مألوف ، كما قد يكون الخروج عن المألوف لأسباب اخرى غير المرض النفسى . وهنا تبدو حيرة ومسئولية الطب النفسى ، لأنه يشارك السيكوتيك فى هذه الصفات الشعراء والدجالون على المستوى الظاهرى ! رغم انه ليس بالشاعر ولا بالدجال ، وإنما له ذات خاصة جدا !

اختلال الادراك

يختل الادراك فى السيكوتيك الانفصامى ، ويستجيب الوجدان لهذا الاختلال الادراكى ، وينم السلوك عن ذلك الوجدان المضطرب ..

فالادراك يختل بطرق مختلفة : فمثلا قد يصل الى الشعور الاحساسى العادى مكبرا عشرات المرات ، أو مصغرا مئات المرات ، أو مشوشا بألف طريقة ، فوزن الشعر على فروة الراس يصبح ثقيلا رهيبا ، واحتكاك الملابس بالجلد يصير شواظ نار ، وقد يتلاشى وزن الجسم ، وقد يعانى المريض من احساسات غريبة مبتكرة ، يصعب عليه تصديقها ، وحتى وصفها للآخرين . ويتبع اختلال الادراك اضطراب الانتباه ، وضعف التركيز أو انعدامه .

والمؤكد أن الوجدان يستجيب لهذا الادراك المختل ، استجابة تبدأ من التعجب والدهشة ، مما يجرى فى احساس المريض بذاته ، وبالعالم ، ويتطور الى حالة من الذعر تحت وطأة غرابة ما يحس المريض انه يحدث لذاته وللعالم ، وينتهى الوجدان الى التبلد بعدما يعجز عن فهم او احتواء هذه الأحاسيس الغريبة ، والكيانات المشوهة الجديدة لذاته وللعالم .

وينم السلوك عن تلك الخبرات الحسية والادراكية والوجدانية الغريبة ولا يصعب على المشاهد الخارجى أن يستنتج أن وراء سلوك المريض الشاذ الظاهر يوجد اضطراب داخلى ، ويفصح سلوك المريض عن الوجدان الغالب فى لحظة ما ، فمثلا قد يصبح المريض مثالا صارخا للذعر الكامل يصرخ ويهرب ويقاوم ، ولا ينام ولا يهدأ ، ويعجز عن وصف هول ما به ، وتحدث حالة الذعر والقلق الشديد هذه فى المراحل الأولى للمرض ، حيث يقاسى المريض الآلام النفسية لذاته ، التى تتمزق بين يديه وهو عاجز تماما عن أن يفعل شيئا !

الذهول العظيم

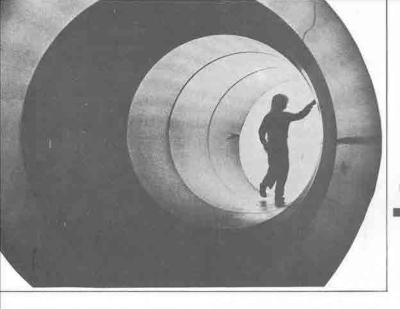
وقد يدخل المريض فيما يمكن تلخيصه بأنه الذهول العظيم ، حيث تتخشب حركاته ، وتتجعد فرائصه ، ويبدو كمن صنع لنفسه قميصا فولاذيا يخفى تحته ثورة نفسية .



● الاضطراب الذي يسيطر على السلوك الإنساني ويحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق !



[illegible] — آخر ممثلة قامت بدور أوفيليا فى مسرحية هاملت



مرض الواحد في المائة

● الطب بكل مايملك من إمكانيات.. يأخذ بيد المرضى لكي ينقلهم من مرحلة التشاؤم الشديد إلى التفاؤل الحذر

ومع تكرار نوبات المرض بما تسببه من نزيف لمقومات المريض النفسية والانسانية ، يمكن تلخيص سلوك المريض فى تعبير تقلص الوجود ، أو الوجود المحدود ، حيث لا يتبقى للمريض غير فائض قليل من الطاقة والارادة ، تكفيان بالكاد لممارسة ضروريات الوجود

وقد يصل وجود المريض فى المراحل المتقدمة الى ما نطلق عليه مجازاً بالرماد الذى هو كل ما تبقى من الوجود الانسانى بعد أن عاشت فيه نار الشيزوفرينيا .

نماذج انسانية

ومن الحالات الانســانية التى عاصرتها لضحايا هذا المرض «سعاد» التى جاءت يدفعها أبوها ، وهى تقدم خطوة وتؤخر اخرى ... زهرة فى السنة الأولى الثانوية ، خلعت ملامح الصبا المشرق ، ولبست قناعا من الرعب ، عيون جاحظة ، وشعر أشعث ، وفاه فاغر ، وتلفت دائم حذر .. تهرب منى اذا اقتربت منها وتطلب منى أن امنع عنها ما يصلها من روائح كريهة تصلها هى وحدها ، وأن افسر لها مصدر الكهرباء التى تعانى من لسعاتها ، لم تعد تذهب الى المدرسة ، واحتمت بغرفتها منذ أسابيع ، ولم يفلح حنان أمها ، ولا حماية أبيها فى اعادة الطمأنينة الى قلبها ! .

هذه حالة من الشيزوفرينيا الحادة ، وغيرها حالة «ابراهيم» الذى فاجأته الشيزوفرينيا أثناء خدمته العسكرية الالزامية ، وشاهدته وحيداً فى فراشه بالمستشفى ليلة ان نقلوه اليها ، لا ينبس ببنت شفة ، ولا تختلج ملامحه بأية عاطفة ، جفونه مسبلة ، وجبينه يتفصد بالعرق ، قبضتاه مضمومتان على فراغ ، وقامته مشدودة على الفراش .. استجابته تتارجح بين طاعة عمياء لما يؤمر به ، وبين مقاومة حمقاء لأى محاولة تبذل للعناية به ، يلفظ الطعام من فمه اذا وضع بعد محاولات بين شفتيه ، ويستسلم تماما ببساطة لخرطوم يدفع فى حلقه .. يفقد الحماس للحركة ساعات طويلة حتى ليقضى حاجته فى فراشه .

الاستسلام للموت

أما الاصابة بتقلص الوجود فقد رأيتها فى حالة السيدة «أم طلال» التى جاءت بها أمها بعد عدة أزمات شيزوفرينية على مدى عشر سنوات ، تقلص فيها وجود أم طلال فعجزت عن القيام بدورها كزوجة وأم ، وانسحبت من حياة زوجها وأولادها الأربعة الى حضن أمها وأبيها مرة اخرى ، فلم تعد قادرة على رعاية نفسها .. فأمها العجوز تمشطها ، وتقوم بغسل وجهها ، تنادى على أولادها ليل نهار ، ولكنها ترفض ان يوضعوا فى رعايتها ، تحكى قصة حياتها المؤلمة ، وعلى وجهها ابتسامة بلهاء ، ولا طموح لديها فى أى تغيير ، تنتظر الموت ، ولكنها لا تستعجله !

ومن أمثلة الوجود المتقلص لمرضى الشيزوفرينيا المزمنة ايضا ، حالة اسماعيل ، ذلك الشاب الذى فقد ذاته تماما ، وملأ فراغ ذاته الخاوية باعتقاد وهمى أنه منقذ للبشرية ، والى جوار خواء النفس تبلد وجدانه ، بحيث ذبح رفيق سكنه ، وصديق عمره ، بعد أن صلى عليه وكبر ، موقنا انه يخلص البشرية من المسيح الدجال ، وسار والسكين يقطر دماً ، يعلن فعلته على الملأ ، وهو يغنى !

أين الرعاية العلمية ؟

قد يتولد لدى القارىء فى هذه المرحلة نوع من التساؤل عن الدور الذى يمكن أن يلعبه كمواطن إزاء تلك المأســـاة الانسانية .. هل يمكـــن أن يصــاب بالشيزوفرينيا ؟ .. وكيف يعرف ذلك فى الوقت المناسب ؟ .. والى من يذهب بشكواه ؟ وكيف يكتشف مبادىء الشيزوفرينيا فيمن حوله ؟ .. وكيف يقلل من عذاب المريض ؟! ..

وفى مجتمعاتنا العربية يوجد مليون فصامى على الأقل ، منهم مائة ألف يحتاجون الى أسرة فى المستشفيات ، وتسعمائة ألف يحتاجون الى العلاج بالعيادات الخارجية والنوادى الخاصة والمؤسسات العلاجية والاجتماعية المتعددة .

ولكى نتوصل الى حصر هذا المليون ،

وتقديم المعونة الطبية اللازمة ، فاننا نحتاج الى ميزانية ضخمة ، ونحتاج الى تضافر الجهود التطوعية والحكومية المتعددة بصورة أشمل .

فلا يوجد عندنا حتى الآن اتحاد أو جمعية تقود الجهد التطوعى فى رعاية مرضى الفصام ، ولا يوجد لدينا العدد الكافى من الأطباء النفسيين وباقى المهن الأخرى التى تعمل فى هذا المجال .

ومازال معظم مرضى الفصام الحاد بلا أمل فى الرعاية العلمية العاجلة المناسبة ، ويعمل لهم بدلا منها الأحجبة ، ويطلق لهم دخان البخور ، ويعيش الدجالون على دمائهم !

مواجهة المشكلة

ومازال معظم الفصاميين المزمنين بلا هوية ، وبلا حقوق ، ويستخدمون «كمخلب للقط» فى الجرائم والانحرافات الاجتماعية ، ويعيشون كمتسولين ويطاردون كمتشردين ، تحبسهم أسرهم خشية العار !

وإننى اتصور الدور الحكومى فى مواجهة المشكلة ، مركزاً على إعطاء الأولوية المناسبة لمشاكل الصحة النفسية فى إطار الخدمات الصحية عموماً ، وما يتبع ذلك من توجيه الإمكانيات المادية المعقولة من اقامة مؤسسات علاجية ووقائية وتاهيلية كافية .

واتصور معه دورا اهم ممثلا فى الجهد التطوعى فى مجال محاربة الشيزوفرينيا يقوم به التسعة والتسعون فى المائة من الشعب لصالح الواحد فى المائة ، فالمطلوب منا بحق :

● الاكتشاف المبكر للحالات والتوجيه السليم لها .

● الاشتراك فى تأهيل المرضى بعد شفائهم ومساعدتهم على العودة الى مجتمعاتهم .

● خلق وممارسة الاتجاه السليم نحو المشكلة وهو الاعتراف بها وتجريدها من الوصمة والامتناع ايجابيا عن التجاهل الدائم لها .

وهذا بالاضافة الى نصيحة اقدمها لكل انسان اذا ما شعر يوما أنه يتغير من الداخل ، وأن تحولا يحدث له لا يفهم كنهه ، عندئذ يجب أن يسرع بعرض نفسه على الطبيب النفسى ، ولا يترك حالته الى أية تفسيرات ساذجة !

الدكتور عبد المنعم عاشور



رسالة غير عادية إلى عنترة العبسي

بقلم : معروف رفيق

ايها الشاعر المناضل ، العاشق الولهان ، الباحث عن الحرية تحت أسنة الحراب ، ابثك عبارات الاحترام والشكر والعرفان .. ذلك انك بعد مرور القرون .. ظللت رمزاً للحرية ، وبيرقا من بيارق المجد الوارف ، والتماعة فى سماوات الكرامة والعزة والانتصار .

اتذكر يوم قيل لك : يا عنترة .. كر وانت حر .. فماذا كان الجواب : ان عنترة لا يعرف الكر .. انه يحسن الحلاب والصر .. فكانت تلك العبارة الناضحة بالكبرياء .. المزوجة بالسخرية .. طريقك الى الحرية ، لانك كررت وانتصرت .. وسجلت بانتصارك حروف الحرية فى قوم كانوا لا يعترفون إلا للقوى الشجاع ...

أهى شريعة الغاب ... يكتبها الأسد والعقاب .. ؟

هل حقا ما قاله الشاعر المعاصر :

إن لم تكن ذئباً تهاب
فرتك انياب الذئاب

اكاد اسمعك تقول اجل .. وتصر ان قومك انذاك .. هم مثال متكرر فى كل قوم .. وفى كل آن وعهد ...

وماذا عن ابنة عمك عبلة ؟ .. لقد كان مهرها كبيرا وعظيما .. لم نصدق ان النوق العصافير كانت طلبة عمك .. إنما كان ذلك معجزة تروى لا تقل عن اسطورة اقتطاف النجوم .. ومع ذلك .. اتت باكثر من ذلك .. اتت بالانتصارات تتوالى على أعداء قومك .. لأن دافعك الى تلك الانتصارات .. كان ضرباً من عشق الحرية .. وكان ذلك بحد ذاته ، ضرباً من عشق عبلة .. كانت هى رمز الحرية فى قلبك المشتعل بالثورة .. وعندما يبلغ الانسان الى درجة الهيام بالحرية ، يهون عنده كل شيء .. لان حروفها تمتد فى كل طريق .. من هنا رأيت ابتسامة عبلة فى وطيس المعركة .. هى والسيف .. وكلاهما الهدف والوسيلة ، الست انت القائل ؟ :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المبتسم

يا بن شداد .. يا فارساً جمع بين الفروسية وعفة الحب .. وبين الكبرياء وعبقرية الشعراء .. كانت الحرية حروف كلماتك ، وابيات قصائدك ، قبل أن يتغنى بها (اليكس هيلى) ، مؤلف كتاب «الجذور» فى أمريكا .. ولقد رضعناها على مقاعد الدرس صغاراً .. وباتت فى دمائنا صبية وشباباً وشيباً ... فلتكن رسالتى اليك .. تعبيرا عما نكنه لك نحن الشباب .. من اعجاب ومحبة وتقدير .

وتقديم المعونة الطبية اللازمة ، فاننا نحتاج الى ميزانية ضخمة ، ونحتاج الى تضافر الجهود التطوعية والحكومية المتعددة بصورة أشمل .

فلا يوجد عندنا حتى الآن اتحاد أو جمعية تقود الجهد التطوعى فى رعاية مرضى الفصام ، ولا يوجد لدينا العدد الكافى من الأطباء النفسيين وباقى المهن الأخرى التى تعمل فى هذا المجال .

ومازال معظم مرضى الفصام الحاد بلا أمل فى الرعاية العلمية العاجلة المناسبة ، ويعمل لهم بدلا منها الأحجبة ، ويطلق لهم دخان البخور ، ويعيش الدجالون على دمائهم !

مواجهة المشكلة

ومازال معظم الفصاميين المزمنين بلا هوية ، وبلا حقوق ، ويستخدمون كمخلب للقط فى الجرائم والانحرافات الاجتماعية ، ويعيشون كمتسولين ويطاردون كمتشردين ، تحبسهم أسرهم خشية العار !

وإننى أتصور الدور الحكومى فى مواجهة المشكلة ، مركزاً على إعطاء الأولوية المناسبة لمشاكل الصحة النفسية فى إطار الخدمات الصحية عموماً ، وما يتبع ذلك من توجيه الإمكانيات المادية المعقولة من اقامة مؤسسات علاجية ووقائية وتاهيلية كافية .

وأتصور معه دورا أهم ممثلا فى الجهد التطوعى فى مجال محاربة الشيزوفرينيا يقوم به التسعة والتسعون فى المائة من الشعب لصالح الواحد فى المائة ، فالمطلوب منا بحق :

● الاكتشاف المبكر للحالات والتوجيه السليم لها .

● الاشتراك فى تأهيل المرضى بعد شفائهم ومساعدتهم على العودة الى مجتمعاتهم .

● خلق وممارسة الاتجاه السليم نحو المشكلة وهو الاعتراف بها وتجريدها من الوصمة والامتناع ايجابيا عن التجاهل الدائم لها .

وهذا بالاضافة الى نصيحة اقدمها لكل انسان اذا ما شعر يوما أنه يتغير من الداخل ، وأن تحولا يحدث له لا يفهم كنهه ، عندئذ يجب أن يسرع بعرض نفسه على الطبيب النفسى ، ولا يترك حالته الى أية تفسيرات ساذجة !

الدكتور عبد المنعم عاشور

رسالة غير عادية إلى عنترة العبسي

بقلم : معروف رفيق



ايها الشاعر المناضل ، العاشق الولهان ، الباحث عن الحرية تحت أسنة الحراب ، ابثك عبارات الاحترام والشكر والعرفان .. ذلك انك بعد مرور القرون .. ظللت رمزاً للحرية ، وبيرقا من بيارق المجد الوارف ، والشامخ فى سماوات الكرامة والعزة والانتصار .

اتذكر يوم قيل لك : يا عنترة .. كر وانت حر .. فماذا كان الجواب : ان عنترة لا يعرف الكر .. انه يحسن الحلاب والصر .. فكانت تلك العبارة الناضحة بالكبرياء .. الممزوجة بالسخرية .. طريقك الى الحرية ، لانك كررت وانتصرت .. وسجلت بانتصارك حروف الحرية فى قوم كانوا لا يعترفون إلا للقوى الشجاع ...

أهى شريعة الغاب ... يكتبها الأسد والعقاب .. ؟

هل حقا ما قاله الشاعر المعاصر ؟

إن لم تكن ذئبــاً تهـــاب
فرتك انيـــاب الذئـــاب

اكاد اسمعك تقول اجل .. وتصر ان قومك انذاك .. هم مثال متكرر فى كل قوم .. وفى كل آن وعهد ...

وماذا عن ابنة عمك عبلة ؟ .. لقد كان مهرها كبيرا وعظيما .. لم نصدق ان النوق العصافير كانت طلبة عمك .. إنما كان ذلك معجزة تروى لا تقل عن اسطورة اقتطاف النجوم .. ومع ذلك .. اتت باكثر من ذلك .. اتت بالانتصارات تتوالى على أعداء قومك .. لأن دافعك الى تلك الانتصارات .. كان ضرباً من عشق الحرية .. وكان ذلك بحد ذاته ، ضرباً من عشق عبلة .. كانت هى رمز الحرية فى قلبك المشتعل بالثورة .. وعندما يبلغ الانسان الى درجة الهيام بالحرية ، يهون عنده كل شىء .. لأن حروفها تمتد فى كل طريق .. من هنا رأيت ابتسامة عبلة فى وطيس المعركة .. هى والسيف .. وكلاهما الهدف والوسيلة ، ألست أنت القائل ؟ :

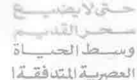
ولقد ذكـــرتك والرماح نواهـــل
مني وبيض الهنـــد تقطر من دمي
فوددت تقبيل الســـيوف لأنهـــا
لمعت كبارق ثغـــرك المبتســـم

يا بن شداد .. يا فارساً جمع بين الفروسية وعفة الحب .. وبين الكبرياء وعبقرية الشعراء .. كانت الحرية حروف كلماتك ، وأبيات قصائدك ، قبل أن يتغنى بها (اليكس هيلى) ، مؤلف كتاب «الجذور» فى أمريكا .. ولقد رضعناها على مقاعد الدرس صغاراً .. وباتت فى دمائنا صبية وشباباً وشيباً ... فلتكن رسالتى اليك .. تعبيرا عما نكنه لك نحن الشباب .. من اعجاب ومحبة وتقدير .

كمال سعد



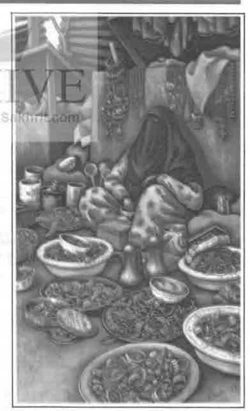
كلمات بالرسم



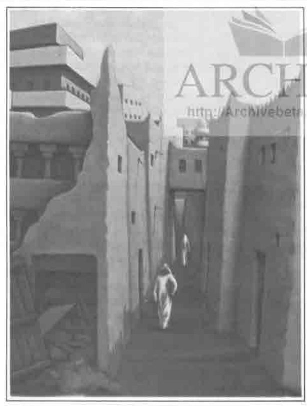
حتى لا يضيع سحر القديم وسط الحياة العصرية المتدفقة!



الفنانة السويسرية «مالين باسيل» عاشت في مدينة الرياض وسجلت انطباعاتها عن سحر القديم .



لوحة للمعروضات الرائعة التى وصلتنا عبر عصور طويلة ... هذه المعروضات كانت حلماً للكثيرين فى الماضى ومازالت .



القلب القديم يتآكل بسرعة كبيرة لتحل مكانه العمارات الشاهقة.. فلماذا لا نترك ولو مساحات بسيطة من هذا القلب لتراها الأجيال القادمة ؟

هى فنانة سويسرية وصلت الى المملكة العربية السعودية مع زوجها الأمريكى لتقيم أول معرض لها فى الرياض عام ١٩٧٢ ، ثم تقيم معرضها الثانى عن السعودية فى لندن عام ١٩٧٧ وأخيراً بدأت تشعر برغبة جارفة فى تسجيل التراث الذى أخذ يندثر ، منطلقة من هدف نبيل يؤكد أن التراث ملك الجميع ، وأنه ثروة غالية لا نستطيع تعويضها فى أى يوم من الأيام ، فقد يستطيع الانسان أن يصنع صاروخاً أو طائرة .. أن يشترى تلفزيوناً أو آلة لغسل الأطباق .. ولكنه لن يتمكن ـ ولو وضع كل نقود الأرض فى طبق ـ أن يشيد مبنى قديماً بعد إزالته أو قلعة تاريخية بعد ضياعها !

وعندما تسأل الفنانة السويسرية «هالين باسيل» عن المدرسة الفنية التى تنتمى اليها وعن طريقة معالجتها للموضوع الذى تختاره ، فانها تقول لك إن كل رسوماتها تتعامل مع الأشياء التى على وشك الاختفاء ، فهى تتمنى أن نستمع الى تحذيرها فى كل مكان فى العالم ، ذلك التحذير الذى تطالبنا فيه بأن نحافظ على القديم أثناء رحلة الانبهار بعدوى زحف المبانى الحديثة !

ولكن هل معنى ذلك أنها لا تتعامل مع الحياة الحديثة بكل ما فيها من تطورات ومبان مرتفعة ومطارات حديثة ومعامل لتكرير البترول ومدارس ومستشفيات ؟

بالطبع ، سنجد أن هذا السؤال لا يثير فى ذهنها أكثر من انطباع عابر ، فقد حذفت من تفكيرها كل جديد ، بعد أن جذبها بقوة ذلك الانسان الذى مازال يسير على نفس تقاليد الأجداد ، ويستخدم نفس أساليبهم ، ويحفظ حكاياتهم الصادرة من قلب لم يعرف غير النقاء والحب والكرم والعطف وشجاعة الفرسان !

إنها تحب المدرجات الواهنة من كثرة الأقدام التى وطأتها أثناء الصعود .. وهى تذوب عشقاً فى ألوان الجدران الباهتة والمبانى الطينية التى تشرخت بمضى السنين وبلفحات الرياح وحرارة الشمس الحارقة !

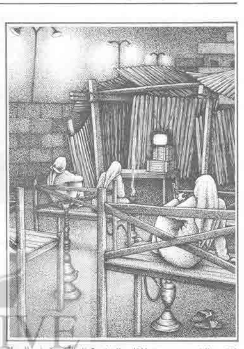


مدن الماضى ...... التى جعلت الفنانة تتمنى أن تقضى بقية حياتها فى تلك المناطق القديمة الساحرة .

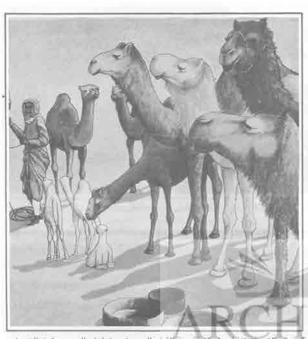


السجاد النادر بألوانه الجميلة وزخارفه الرائعة ... عندما كان الصانع يشعر بمدى ارتباطه العميق بهذا الفن الجميل وكان يعطيه كل ما لديه من إحساس مرهف ومشاعر فياضة .

كلمات بالرسم



المقهى الشعبي ، حيث المقاعد الخشبية العالية وزحف الحياة العصرية .. التليفزيون الملون والاضاءة الزاهية .



الجمال التي تتنقل لحمل المياه من الآبار البعيدة .. تعلمك الصبر وقوة التحمل .. واليوم يمكنك ان تراها داخل البيوت الحديثة ، ولكن على هيئة تماثيل خشبية !

● بعد عشرات السنوات .. هل نتذكر الأزقة العتيقة وجدران الطين ؟

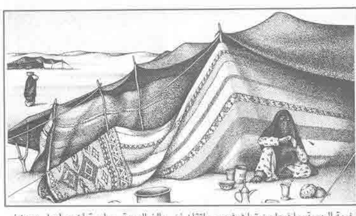
وكثيراً ما جذبها ذلك الوجه المليء بتجاعيد الزمن ، وخيام البدو ، وجمالهم ، وأدواتهم .. إنها تشعر دائماً نحوهم بنفس الحنين الذي مازالت تشعر به نحو معطفها الذي صنعته لها والدتها عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها .. إن هذا المعطف مازال حتى يومنا هذا ، أغلى قطعة ملابس في حياتها ، بغض النظر عن كونه أصبح خارج كل المألوف عن الموضة وتطوراتها الحديثة !

وهي تقول ان حبها للقديم في المملكة العربية السعودية يمثل حنيننا الى كل قديم في وطنها .. كما ان ضميرها الاجتماعي يدفعها الى الحزن عندما تخطو خارج سور حديقتها في مدينة الرياض وتنظر حولها ، لتجد في كل مكان «بولدوزر» مشغولا بالعمل على اختفاء المباني القديمة أو عمالا يقيمون عمارة حديثة شاهقة الارتفاع !

وهذا الحزن يجعلها تتساءل : لماذا نمحو دائماً تراثنا القديم ونحن نتطور ؟! .. لماذا نلقي بتقاليدنا الجميلة والممتعة من النافذة ونحن نساير حركة العصر ؟!

إنها ترى ان التغيير يتم اليوم في مئات المساحات .. وبعد عشرات السنوات لن نتذكر شكل هذه المناطق القديمة .. لن نتذكر الأزقة الضيقة التي كانت لا تتسع إلا لدراجات الأطفال .. ولن نتذكر جدران الطين التي يميل لونها الى الاحمرار في ضوء الشمس بعد الظهر .. ولن نرى مشهد السيدات المحجبات وهن يختفين خلف الأبواب المرسومة والمصنوعة من الخشب السميك .. وكذلك لن نرى الأسواق القديمة والخيام المصنوعة من شعر الجمال السوداء والبنية اللون ، والتي تعكس على الصحراء – في سلام – ضوء أشعة الشمس عندما تسقط عليها أثناء انحدارها في الأفق !

وهذه الأشياء التي ستختفي من الوجود لم نحصل في مقابلها إلا على الاسفلت وكتل الاسمنت وفترينات المحلات المضيئة والممتلئة بأشياء نستطيع ان نعيش بدونها سعداء ، وهذا بالاضافة الى الشوارع العريضة الحديثة التي لو لعب فيها الأطفال في حرية وبراءة لتعرضوا لحادثة نتيجة لمئات السيارات المسرعة !



الخيمة البدوية بما فيها من تراث شعبى واتقان فنى بالغ الروعة .. ولوحة اخرى لرجل عجوز فى الطريق الى رحلة وسط الحياة العصرية الحديثة .



ساقى القهوة العربية يقدمها للضيف الى ان يهز يده ، فيعرف وقتها أنه قد استكفى

ويبدو أن الخيام البدوية والابواب المرسومة ستكون فى المستقبل مجرد عروض فى المتاحف ، بينما الأسواق القديمة بطابعها الخاص ستصبح حدائق ، والصحراء بما فيها من نقاء وكون رحب ستزحف عليها المبانى الحديثة لتجعل منها مدناً كبيرة مثل تلك المدن الهامة التى نراها اليوم بكل ما تحمل من حياة عصرية متدفقة !

إن هذه الفنانة السويسرية ، او الانسانة «مالين باسيل» وجدت نفسها بعد كل هذا الاحساس مندفعة الى رسم كل الأشياء القديمة التى لم تصلها يد الحداثة ، لعلها تترك شيئاً للمستقبل ، شيئاً يذكرنا بالتراث الغالى والتقاليد النافذة الى الأعماق !

كمال سعد

عالم غريب

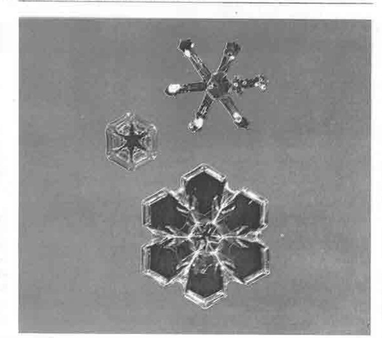
د. عبدالمحسن صالح



حتى الزهرة .. تتقن الخدعة !

من اول نظرة ، قد تظنها نحلة ، حطت على زهرة ، لتتغذى على افرازاتها الحلوة .. لكنها – فى الحقيقة – خدعة قد تجوز علينا ، لكنها حتماً تجوز على النحلة .. والواقع أن ما تراه على الزهور ليس نحلا ، بل إن جزءاً من الزهرة قد تحور بدقة ، واتخذ شكل النحلة .. أو بالتحديد شكل انثى من انواع النحل ، وبهذه الفكرة الماكرة تجذب الزهرة اليها ذكور هذا النوع ، ولكى تصبح الفكرة اكثر فاعلية واتقانا ، تطلق الزهرة رائحة تشبه الرائحة التى تطلقها اناث هذا النوع من النحل ، لتجذب بها ذكورها ، فتقوم بالتزاوج معها وتلقيحها ، ومن خلال هذا التقليد المتقن فى الشكل والحجم واللون والرائحة ، تنخدع الذكور ، وتنتقل من زهرة الى زهرة ، ظنا منها انها قد عثرت على إناثها ، لكنها تكتشف الخدعة ، فتتكرر اللعبة ، لكن الفائز فيهاهو نبات «الاوركيد» الذى يضمن توزيع حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة ، ليحدث التلقيح المختلط الذى تباركه السماء بفكرة مبتكرة .. وما اكثر الأفكار .. افكار الحياة !

حتى الماء الزلال .. فيه تناسق وجمال !



الخطوط مستقيمة ، والزوايا متساوية والأضلاع متناسقة ، وكل شىء جاء بدقة متناهية .. ومع ذلك ظهرت هذه الأشكال الهندسية دون الاستعانة بمساطر أو براجل أو زوايا وما شابه ذلك ، لأن احدا لم يقم برسمها ، بل هى رسمت نفسها بنفسها .. وطبيعى الا يكون رسم بدون رسام ، لكن الرسام هنا جزيئات الماء .. إنها تستطيع أن تنظم نفسها فى الاف الأشكال الهندسية ، وبحيث لا يتشابه شكل مع اخر ، وما تراه هنا ليس إلا نموذجا من هذه الآلاف .. هل تستطيع بعد ذلك إن تعرف ما هى ؟

إنها بللورات من الثلج .. والثلج صورة من صور الماء ، والماء من جزيئات ، ولكل جزىء قطبان كهربيان .. سالب وموجب ، وعندئذ يتجاذب هذا مع ذاك ويرتبط به فى اشكال كلها اتقان وجمال ، وأى شذوذ هنا يرجع الى طريقة التحضير والحفظ التى تتم بوسائل كيميائية وفيزيائية خاصة ، صحيح أن البللورات تذوب وتختفى ، لكنها تترك طبعاتها المتقنة فى الوسط الذى عوملت فيه .. وهذه الصور مكبرة بالميكروسكوب .. والله جميل يحب الجمال !

إنسان يتغلب على "هيليكوبتر" بأسنانه

الصورة لا شك حقيقية ، وليس فيها خداع او تدليس ، ففى يوم ٧ ابريل ١٩٧٩ استطاع جون ماسيس البلجيكى الأصل – وصاحب اقوى اسنان فى العالم – والذى يطلقون عليه اسم هرقل – استطاع ان يشد هذه الطائرة باسنانه ويمنعها من الانطلاق . حدث ذلك فى لوس انجلوس بامريكا ، وتم تصويرها تليفزيونيا .. وقبل ذلك استطاع ايضا فى عام ١٩٧٨ أن يحرك ثلاث عربات لقطار بشدها باسنانه ، وكانت تزن ١٢٤,٧ طنا ، كما استطاع ان يرفع وزنا قدره ٢٣٣ كيلو جراما من الأرض الى ارتفاع ١٥ سنتيمترا !

حقا ما اقوى بناء الانسان !



كأنما ذيله .. فستان زفاف !

تتبارى عرائس البشر وتفتخر بطول ذيل «فستان الزفاف» ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه العادة ، ولا من اين جاءت .. ربما كانت الفكرة تقليداً لذيول بعض الطيور .. والصورة توضح ديكاً يابانياً رباه صاحبه ، وظل يرعاه من اجل ذيله ، وطبيعى ان ذلك يحتاج الى عناية خاصة ، كان يربيه فى قفص ، او يلف ذيله كلما استطال ، ثم إن ذلك يرجع ايضا الى سلالة الديك ، ترى .. ما هو اطول ذيل لديك ؟

امسك الخشب – ٢٤ قدما – اى حوالى سبعة امتار وربع المتر !

حلقات من الدخان



إنه عالم مجنون .. مجنون .. مجنون ! فلقد ابتكر من فنون المسابقات كل ما يطرا وما لا يطرا لنا على بال .. حتى ولو كان ذلك فى تحقيق رقم قياسى فى تدخين سيجارة ، او اطلاق حلقات متتابعة من دخان .. فهذا الشاب اليابانى اتسوهيرو ناكاموزا استطاع ان ياخذ نفساً عميقاً من دخان سيجارة ، وزفره على هيئة حلقات من دخان ـ كما تراها فى الصورة ـ بلغ عددها ٤٤١ حلقة !

ترى .. هل من منافس ؟

جرب لتعرف !

جري على الذراعين



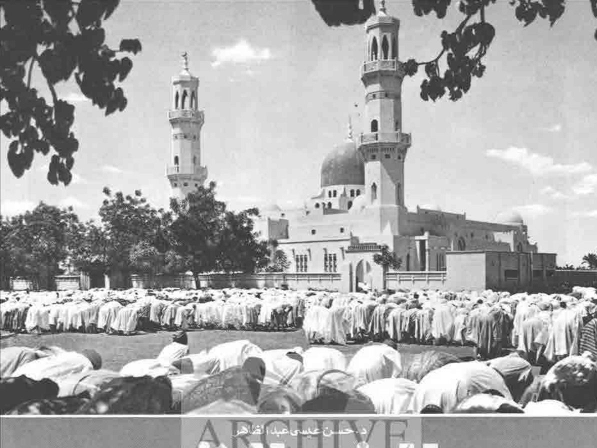
ان يمشى الانسان مقلوباً على ذراعيه، فهذا شىء مقبول ، وطالما رايناه فى حلقات السيرك ، او على شاطىء البحر ، لكن هذا الشاب الامريكى ـ توماس هنت الطالب بالكلية البحرية ـ استطاع ان ينطلق عدواً على ذراعيه ، فقطع مسافة ٤٥,٧ متراً فى ١٨,٧ ثانية ، اى بمعدل ١٤٦,٦ متراً فى الدقيقة ، او حوالى سبعة كيلو مترات فى الساعة .. فحقق بذلك رقماً قياسياً عام ١٩٧٨ .

لكن المدعون جوهان هيرلنجر النمسوى استطاع ان يمشى على ذراعيه من فيينا حتى باريس ، فقطع مسافة ١٤٠٠ كيلو متر فى ٥٥ يوماً ، وبمعدل عشرة ساعات يومياً ، وكان متوسط سرعته فى الساعة ٢٥٤٠ متراً .. حدث ذلك فى عام ١٩٠٠ ، ولم تتكرر هذه المحاولة حتى الآن !

كم فى عالمنا من بدع .. خاصة عندما تتحول الفنون الى جنون !

حتى لنط الحبال مسابقات !

استطاع بريان كريستنسين من ايست ريدج بولاية تينسى الأمريكية أن ينط الحبل بمعدل ٢٩٠ مرة فى الدقيقة ـ أى حوالى خمس نطات فى الثانية ـ حدث ذلك فى ٣٠ مايو ١٩٧٨ .. لكن الغريب ايضاً أن اليابانى سوزوكى سايتاما ظل يقفز على الحبل طوال ستة ساعات و ١٢ دقيقة ، فحقق رقماً قياسياً بلغ ٥٨ الف و ٨٦٩ نطة فى أول يناير ١٩٧٩ .



د. حسن عيسى عبد الظاهر

الفولاني

مسلمون لا نعرفهم في غرب إفريقيا!

انتصروا على التعصب وروح القبيلة

وحققوا أعلى نماذج التكافل والعدالة

سوف يصادفك هذا الاسم فى الدراسات الافريقية ، وتسمعه من الناس فى مواطنهم ـ إن قدر لك ـ فى صور كثيرة مختلفة ومتقاربة حسب اللهجات واختلافها ، والكتاب وتباينهم .

أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم : (الفلانى ، والفولانى ، وفوله ، والفوله ، وفلبى ، والفولبى) .

وأما جيرانهم ـ من زنوج ، وهوسا ، وبورنو ، ونيليين ـ فينطلقون اسمهم بصور شتى تربو على المائة منها : (فلا ، وفلاتا ، والفلاته) ، وفى الكتابات الاوروبية ـ وبخاصة الفرنسية ـ ينطق ويكتب (الفولز) .

فمن هم هؤلاء ؟

إنهم شعب كبير يعيش منتشراً فى (غرب إفريقية) وله هناك دور تاريخى وحضارى وإسلامى هام قديماً وحديثاً .

وسوف تلتقى بهم عبر اربعة عشر قرنا من شاطىء الأطلسى الشرقى ـ على حافة غرب إفريقية ـ وحتى حوض النيل عبر حوض السنغال ، وحوض النيجر ، وحوض تشاد ، وشواطىء البحر الأحمر الغربية تلقاهم على تجمعات مختلفة ما بين قبيلة متميزة ، وبطون متقاربة ، وجماعات شتى ، ودول متعددة ، وافراد رعاة ومستقرين بدواً وحضراً ، علماء وحكاماً ، متميزين بسيماهم ـ شكلا ومضموناً ـ حتى اليوم ، سواء حلوا فى المدن ، أو انتشروا فى المراعى ، او ترامت بهم شواطىء الصحراء الكبرى وحزام (السافانا) وحواف الغابات ، وشاطىء الأطلسى ، فهم كجماعات أكثر انتشاراً من (الهوسا) .

وتزداد أهميتهم فى إقليم (السافانا) المكشوفة حيث يمثلون ثلث السكان فى

الفولاني


أزياء وطنية بألوان زاهية .


عجوز من «الفولاني» .


بائعة السمك .

هضبة (باوتشي) ، وأكثر من الخمس فى (اداماوا) و (كانو) و (زاريا) .

وقد ظلوا كذلك حتى أظلتهم راية (امبراطورية الفولانى الاسلامية) فى مطلع القرن الثانى عشر هـ ــ التاسع عشر م ، على يد أمير المؤمنين (الشيخ عثمان دان فوديو) الفولانى .

أصــل الفولانى

وقد تعددت الآراء والنظريات فى محاولات لتحديد أصلهم ، ومعظمها حدسى أو استنتاجى ، كما تباينت المقاييس التى بنيت عليها هذه الآراء والنظريات .

فمنها ما كانت (اللغة) مرتكزا لتحديد أصلهم .

ومنها ما استند على (اللون) أساسا لبناء نظريته .

ومنها ما اعتمد على الموطن .

وجماع هذه الآراء والنظريات ــ ما هو مكتوب منها ، وما هو متواتر وبخاصة على ألسنة الفولانى أنفسهم ــ يكاد ينحصر فى مجموعتين لكل منهما مستنده ودليله :

١ ــ فمجموعة تذهب إلى أنهم جنس مستقل له خصائصه ، لكن من هم هذا الجنس ؟ هل هم زنوج ؟ أم هم حاميون ؟

٢ ــ ومجموعة تذهب إلى أنهم شعب خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت إلى تميزهم (الفولانى) كجنس له خصائص مجتمعة من كل عنصر داخل فى تكوينه .

ويرى (جوليان) أنهم نتاج اختلاط (الحاميين) الأثيوبيين بالعرب والسودان ، مستدلا بصفاتهم الجسمية ، وأن للرحل الرعاة منهم شكلا يبتعد كثيرا عن شكل الزنوج .

ويذهب (آلان بيرتز) إلى أنهم من أصل مصرى يشبهون صور المصريين القدماء المنقوشة على القبور من عهد الهكسوس ، وربما كانوا من الهكسوس الرعاة الذين اضطروا إلى الخروج من مصر ، وأنهم جاءوا من صعيد مصر مهاجرين غربا عن طريق الصحراء وبلاد المغرب .

لكن ماذا عن رأيهم هم فى نسبهم وأصلهم ؟

المتتبع لهذه المسألة عندهم ــ مدونة فى كتبهم ، أو روايات متداولة على ألسنتهم ــ يلاحظ أنهم حين يتكلمون عن الهوسا أو غيرهم من سكان غرب إفريقية يعبرون عنهم بـ (السودانيين أو النوبيين) ، الأمر الذى يشير إلى أنهم ــ الفولانيين ــ ينتمون إلى مجموعة أخرى مختلفة وبخاصة من الشعوب البيضاء .

أهم المصــادر

وكعادة الشعوب والقبائل الافريقية فى الانتساب ، فإن الفولانيين ــ وهم ينتسبون ــ يحفظون فى ذلك روايات وتاريخا ــ بل وأساطير ــ حول أصولهم فى صور شتى ومتشابهة .

ولعل أهم مصدر عندهم لبيان ذلك هو ما كتبه اثنان من كبار علمائهم وأئمتهم وأمرائهم وهما : الوزير العالم الأستاذ الشيخ عبد الله بن فوزى الفولانى ، والأمير المجاهد محمد بل ــ ابن أخيه ــ وهما من أعلام القرن الثانى عشر هـ التاسع عشر م ــ فى عدة مواضع من تاليفهما مثل كتاب (تزيين الورقات) للأول ، و (إنفاق الميسور) للثانى ، وتابعهما بعد ذلك بعض علمائهم المحدثين المعاصرين مثل العالم الفا هاشم فى كتابه (تعريف العشائر والخلان) فى مخطوطته (ضبط الملتقطات

وهولاء ــ كنماذج ــ يبعدون النجعة ، ويعمقون اصول نسبهم ضاربين فى أغوار التاريخ حتى يصلوا نسبهم بأبى الأنبياء خليل الرحمن سيدنا (ابراهيم) عليه السلام عبر احد احفاده (الروم) الذى كان اصفر فسمى عقبه (بنو الاصفر) .

فلما جاء الفتح الاسلامى للشمال الافريقى امتد به الصحابى الجليل (عقبة بن نافع الفهرى القرشى) إلى المغرب ، ثم عطف ــ كما يقول السلاوى فى الاستقصاء ــ على ساحل المحيط الأطلسى ، وانتهى إلى بلاد (أسفى) ، وأجاز إلى بلاد (السوس) فى جنوب المغرب ، وهناك ــ كما يقول علماء الفولانى ــ التقى بجماعة منهم هم (التوردب) فأسلموا على يديه وتزوج ابنة ملكهم ، وانجب منها اربعة اولاد إليهم ترجع كل القبائل الفولانى ، فهم إذا ــ بناء على هذا ــ عرب أبا ، وروم أما ، وقد نظم الوزير الشيخ عبد الله بن فوزى هذا النسب فى أبيات من تزيين الورقات يقول فيها :

فتــــوردب أخــــوال الفولانيين
إخوة لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا
و (عقبة) جــد للفولانيين من عرب



السوق الافريقي .

فتيان القبيلة أمام كوخ من القش .

ومن (تور) كانت أمهم (بج مغ) ع ثم يقول : هذا ما تواتر عندنا ، واخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد (فوت) أعنى العلماء .

وهكذا يبدو إصرارهم على شرف انتساب (الفولانى) إلى (عقبة بن نافع) رضى الله عنه ويفخرون بأبوته لهم ، وبقدمهم فى الاسلام .

مواطن الاستقرار

تنتهى الروايات ـ غالبا ـ إلى ان أصول (الفولانى) اتوا من الشرق ، واستوطن أوائلهم جنوب المغرب فى حوض السنغال مستقرين وظاعنين فى اكثر من مكان وان كثيراً منهم قد دخلوا الاسلام مبكرين بل وفى القرن الأول الهجرى بحكم صلتهم بالصحابى الفاتح (عقبة بن نافع) رضى الله عنه .

وكانت مناطق (فوت) وهى : (فاتور ، وفوتاجللو ، وفوتاملو) بمثابة مراكز لتجمعهم ، وعواصم لهم ، ومنها ينتشرون فيما حولهم ببطء ، وفى أعداد كثيرة مختلطين بشعوب المنطقة من (التكرار ، والولوف ، والسيرر ثم الهوسا واليوروبا) حاملين معهم دعوة الاسلام ، وناشرين لها ، ومجاهدين فى سبيلها بل ومقيمين دولا باسمها وتحت رايتها .

وفى عهد (امبراطورية مالى الاسلامية) ـ من القرن الثالث عشر م إلى القرن الخامس عشر م ـ انتشروا فى أرجائها ، وكانوا من أهم عناصر شعبها المعمر لأراضيها وبلادها .

ثم التقت بطونهم وفروعهم على أرض (الهوسا) مختلطين ومتميزين فى مطالع القرن السابع الهجرى الثالث عشر م ، ولم يزعج تسربهم هذا أحداً إذ كان هادئاً وسليما ومجرد هجرات جماعية من تلك الهجرات التى عرفتها القارة وعهدتها .

وقد عاصروا فى بلاد الهوسا أحداث غزو (امبراطورته) ـ القرن الخامس عشر م ـ لها أيام (اسكيا الكبير) .

كما عاصروا قيام امبراطورية (كانتا) فى (كبى) ثم تدهورها .

ولم تخل ولاية هوسوية منهم ، بل وتزوج بعضهم من الهوسا ، وتكلموا لغتهم ، واشتغلوا بالتجارة ، والرعى ، والعلم ، والامارة ، وتركزوا فى مناطق معينة من اهمها (غوبر ، وكانو ، وبينوى) ، وفى الهضاب الشرقية المؤدية إلى (الكمرون) ، ينزع بعضهم إلى سكنى المدن والاختلاط ، وينزع البعض الآخر إلى عيشة البدو والرعى حتى إذا ما انتصف القرن الثامن عشر م صار لهم كيان له وزنه واهميته وخطره هناك وإن كانوا من حيث العدد لم يجاوزوا خمس السكان بعامة .

الفولانى وخصائصهم

ينتشر الفولانى فى السودان ـ بمعناه المطلق قديما ـ غرب إفريقية كله ـ قبائل وبطونا ، وأفخاذا وفروعا ، محتفظين بمكانتهم وشهرتهم أينما حلوا مشتغلين بالرعى والزراعة ، والأعمال المدنية فى المدن .

وهم بعامة نشطون فى العمل فى كل مرافق الحياة .

وعلماء الأجناس والاجتماع يصنفونهم ـ من حيث أسلوب معيشتهم فى مواطنهم ـ إلى قسمين متمايزين :

فالقسم الأول : (فولانى جيدا) ، و(جيدا) معناها البيت وهم يعنون بهذه التسمية (الحضر) وحياة الاستقرار فى المدن والقرى ، وقد يكون ذلك بين شعوب غريبة عنهم ، ولكنهم وسط هذه الشعوب يكونون متميزين بالعلم والذكاء والنشاط معتزين باسلامهم وسط مجتمعات وثنية مما أضفى عليهم ظلال السيادة فبلغوا فى مجتمعاتهم مقام السلطة والتوجيه والتعليم والقضاء والتجارة ، وبسبب هذا التفوق الحضارى كانوا احيانا هم سادة الأرض ، بل وكونوا بعض إمارات لهم لها كيانها فى غرب إفريقية بعامة .

وباستقرارهم واختلاطهم بالقبائل الأخرى ـ وبخاصة الزنوج ـ بالزواج والتسرى فقدوا كثيرا من خصائصهم الجسمية ، وظهر اثر ذلك فى كثير منهم فى خشونة تقاطيعهم وبناء أجسامهم من فك بارز وشعر مجعد ، وغير ذلك من صفات الزنوجية حتى تميزوا بذلك عن (الفولانى) الرعاة .

وقد بلغ بهم اعتزازهم باسلامهم ان غلبوه على جانب العصبية والدم فهم لا يتزوجون من بنى جنسهم الذين بقوا على وثنيتهم ، كما تخلوا عن كثير من العادات الذائعة التى لا تزال يتبعها الرعاة فى حياتهم ، بل قد يحتفظون أحيانا باحتقارهم التقليدى الذى يكنه الحضر للبدو ، وفى أوائل القرن الثانى عشر م ازداد عدد هؤلاء الحضر (فولانى جيدا) فى ممالك الهوسا وتكلموا بلغتهم ، وقامت لهم هناك دولة إسلامية كبيرة كان لقيامها أثر كبير فى غرب إفريقية



فتاة مسلمة تقرأ القرآن باللغة العربية



حظائر تربية الأبقار .

باجمعه ، وانضوى تحت طبقتهم بعض الذين نبذوا حياة الرعي وبعض المستوطنين من الزنوج الرقيق الذين كانوا يتكلمون الفولانية بدرجة جعلتهم يعدون انفسهم منهم .

الفولاني الرعاة

القسم الثاني : (البوروروجي) — الفولاني الرعاة — اي رعاة البقر او (فولاني الماشية) وهم رحل متجولون ، ويفضلون التوطن على ضفاف الأنهار منتجعين المرعى لماشيتهم يقيمون بالأرض ما قامت لهم ولماشيتهم بالكلأ ، وما دام السكان الأصليون يتركونهم وشانهم ، ويصلون في انتجاعهم إلى بحيرة (تشاد) وإلى ابعد منها بالقرب من ضفاف النيل .

وهم مسالمون ويشتغلون بالزراعة في بعض الاماكن بوسائل تقليدية ولغرض المرعى اصلا ومع ذلك يزرعون بعض المحاصيل مثل القمح والقطن بأكثر مما يفي بحاجاتهم فيضفون بذلك نوعاً من الرخاء يحمد لهم .

ويعتمدون في معيشتهم على قطعان مواشيهم وما تنتجه من البان ، وهي اساس حياتهم الاقتصادية استهلاكا وتبادلا ، وعملية حلب اللبن من صميم عمل نسائهم — غالباً — بينما يتفرغ الذكور للرعي ، ويذبحون ماشيتهم لغرض الغذاء إلا في المناسبات ، وكثيراً ما يعهد إليهم المستقرون ومن اثرياء الهوسا برعاية ماشيتهم ويحصلون هم على اللبن في مقابل ذلك ، واحيانا يستخدمون رعاة لماشيتهم من الفولاني شبه المستقرين او من المجتمعات الوثنية ليتفرغوا هم للزراعة .

وقد قدر لهم الهوسا — في بلادهم — قيمة ما ينتجون ومايخصبون من ارض . وهؤلاء الرعاة — بعامة — يعيشون عيشة بداوة بمعزل عن الاختلاط بغيرهم محتفظين بنقاء دمائهم بدرجة عالية ، وهم بذلك يمثلون شعب (الفولاني) اصدق تمثيل من حيث الصفات الجسمية وغيرها ، فلونهم (وادبي) — احمر مشرب بسمرة — وتقاطيعهم دقيقة ، وشعرهم مسترسل ، وقامتهم طويلة ، ولا بروز للفك عندهم وهم بعامة يبتعدون بشكلهم عن الزنوج ، ويعيشون في جماعات متفرقة في شتى الأقاليم ولهم رؤساء منهم يحكمونهم حكماً معتدلا متعاونا اكثر من أن يكون فردياً في سهولة ويسر إذ هم أصحاب طبيعة هادئة ، ويلتزمون ما هو عدل وحق حتى إن من يقترف الشر فيهم يكون موضعاً لكراهية الجميع ، وإن كان الأمر لا يسلم من صور للتنازع في موسم الجفاف بين الزراع والرعاة على المياه .

واصطلاح (الرؤساء) فيهم مطلق وبالوراثة وتتمتع الأسرة بسلطة مركزية وهم يخضعون للسلطات المحلية في الأقاليم مع تميزهم بسلوك وصفات يأبون معها أية معاملة غير كريمة ، فاذا



عائلة فلانية يحرص كبيرها على تعليم أولاده



أسرة مسلمة تعرفت على أفرادها في غرب افريقيا



انتاج الحقول معروضا فى الأسواق .

اسيء إليهم فى مكان هدموا محلاتهم ومضاربهم وارتحلوا إلى غيره ، وفيهم شجاعة يابون معها الضيم ولهم مهارة فى استعمال اسلحتهم وبخاصة القوس والنشاب ، وكانوا إذا استرق واحد منهم قديماً اتحدوا جميعا على تحريره .

الروجـــا

وهى مساكنهم ولابد فيها من توفر الوقاية والحماية اساسا وتتكون من اشكال بدائية من نوع بيوت النحل التى تحوطها اسوار من عصى ، ومسقوفة باعشاب جافة ، وتبنى المساكن المخصصة للنساء المتزوجات على هيئة اكواخ بسيطة التركيب بحيث يسهل نقلها على ظهور الدواب حين تنقلهم وراء المرعى .

وفى الليل تاوى قطعانهم إلى حظائرهم المسورة بالاشواك ، ويربط بعضها إلى بعض ازواجا مع توجيه رءوسها إلى جهات مختلفة ، وهى مدربة على ان تنطلق وتنتشر فى مراحها عند سماعها صوت الرعاة امرين او زامرين .

وقد زرت بعض مضاربهم فى حوض النيجر وتشاد ولمست فيهم الحرص على التدين وإقامة الشعائر رجالا ونساء ، والحفاوة بالمناسبات الاسلامية مع الحاجة الملحة إلى التوجيه الدائم والتعليم الصحيح ، وهم احسن ما يكونون استجابة حين يانسون إلى الداعى فيهم بخير .

وفيهم ومنهم علماء ومعلمون ينتقلون معهم يعلمون صبيانهم ويؤمونهم فى صلاتهم إلا انهم لبعدهم عن العمران محدودو الثقافة فضلا عن تاثر بعض النسوة منهم بالمظاهر الزنجية التى تمليها البيئة حتى لتجد الواحدة منهم تتنحى ناحية فى الطريق او فى السوق وتصلى بلباس لا يتوفر فيه الستر الذى يطلبه الاسلام ، لكنهن بالتوجيه والتعليم يستجبن .

وحياتهم بعامة تقوم على التكافل الكريم فلا يضيع بينهم ضعيف او عاجز بل إنهم ليعولون المسن والعجوز فيهم .

وما اجمل ما تراهم يوم الجمعة نازحين من مضاربهم فى ملابسهم البيضاء النقية زرافات وزمرا إلى المدينة مبكرين لأداء صلاة الجمعة فى مظهر إسلامى كريم .

لغـــة الفولانى

تعددت الآراء والنظريات حول (لغة الفولانى) من حيث اصلها وتطورها وخصائصها وتصنيفها بما كان مثار جدل بين علماء اللغات والأجناس لأهميتها ودورها الكبير لفهم كثير من مشكلات اللغة فى إفريقية .

فمنهم من يرى أن لغة (الفولانى) الأصلية التى يمكن ان تكون مفتاحا لمعرفة اصلهم الحقيقى قد هجرت وضاعت .

ومنهم من يرى انها فى الاصل لغة زنجية .

أما لغتهم التى يتكلمون بها الآن فتسمى (فلفليد) ولا يستبعد ان الفولانى التقطوها اثناء إقامتهم الطويلة فى حوض السنغال .

ويرى (سلجمان) ان الراى الأكثر إحتمالا ان هذه اللغة (فلفليد) إنما تمثل نمطا قديما من الكلام انبثق منه سائر لغات الحاميين ، وانها ليست من جيل لغات البربر أو الصومال ، وإنما الأوفق اعتبارها منتمية إلى جيل اقدم ، ويرى البعض انها تشبه لغة كانت سائدة لدى الشعوب الوسطى التى تتكلم اللغة السودانية .

وأيا كانت الآراء بشأنها فانها يطلق عليها اليوم اصطلاح (لغة اطلنطينية غربية) .

ولغة (الفلفليد) هذه مبعثرة فى مناطق شاسعة من غرب إفريقية من حوض السنغال إلى حوض النيل ، وهناك إحصاء حديث تقريبى سنة ١٩٦٥ يقدر عدد المتكلمين بها بنحو اربعة ملايين .

وقد كانت تكتب وتدون بحروف عربية قبل عهد الاستعمار ثم قام المبشرون ـ فى عهد الاستعمار ـ بتدوينها ضمن مادونوا من اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية وحذفوا منها كثيرا من الالفاظ العربية ضمن حملاتهم للقضاء على المؤثرات الثقافية الاسلامية والعربية فى إفريقية حيث تتفق الدول الأوربية فى مستعمراتها الافريقية على امر واحد وهو حرمان الافريقيين المسلمين من فرص تعلم اللغة العربية والاسلام ، وقطع اواصر الصلات الثقافية التى كانت تربط غرب إفريقية بشمالها عبر البحر والصحراء ، وقصر فرص التعليم على مدارس الارساليات التى كانت ولا تزال تصر على تنصير طلابها حتى ولو كان ذووهم من المسلمين

ومع هذا لا يزال كثير من (الفولانى) يتكلمون العربية ويتعلمونها فى مدارسهم فضلا عن اهتمامهم بتعليم القرآن الكريم وتلاوته مكتوبا باللغة العربية ومقروءا بها ، وسيظلون .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

غــانــم الســلــيــطي

لماذا سوق البنات في المســـرح القـطــري

■ لـماذا حصـــل "مولـيـــير" على نصيـب الأسـد من المسـرح القـطـري؟

■ نحـن في أشـد الحاجـة إلى جمهـور يتـذوق فن المسـرح بعـين نا قــدة

قدم المسرح القطرى خلال هذا الشهر مسرحية «سوق البنات» على خشبة مسرح الدوحة، وقبل ان اتناول المسرحية بالتحليل أرى من الواجب ان نجيب على سؤال يلح على الأذهان :

● ما هو الطابع الذى تنتهجه الحركة المسرحية فى قطر..؟ وهل هو طابع تغلب عليه الصفة الاجتماعية أم هو مجرد طرح لموضوعات مقتبسة وبعيدة كل البعد عن واقع المجتمع ؟

وللاجابة على هذا السؤال، اقول بأن واقع الحركة المسرحية غير المنتظم يجعل مهمتنا عسيرة الى حد كبير، فللأسف لا يوجد نهج عام يطبع اعمالنا المسرحية بملامح خاصة، سواء فى مجموع ما تقدمه الفرق المسرحية المعتمدة (القطرى ـ السد ـ الأضواء ـ المسرح الأهلى) أو فى مفردات الأعمال الفنية لكل كاتب على حدة !

ولعل ذلك يرجع اولا الى عدم توفر الاستمرارية فى تقديم العروض المسرحية، لعدم وجود الثقافة المسرحية بشكل عام وقلة نوعيتها بين العاملين فى المسرح، وقلة الكم البشرى العامل بالمسرح بل وانعدامه فى العنصر النسائى، والاقلال من دور فن المسرح كوجه حضارى ومؤشر حقيقى لثقافة المجتمع ودوره التربوى فى حياتنا اليومية وما له من اثر كبير..

هذا من جانب.. ومن جانب اخر، نجد



أحلام محمد في دور الزوجة التي جرت وراء الأحلام الكاذبة

ان عطاءات الكتاب المسرحيين قليلة وتفتقر الى الفكر الثابت والمعاناة التى لا تعرف الاهتزاز أو التراجع والتناول الفنى البعيد عن السطحية فى المعالجة..

إن دراسة أعمال كتاب المسرح تجعلك تصاب بالدهشة البالغة عندما تجد كاتبا معينا يقدم لنا مسرحية تناقض ما قاله فى مسرحيته السابقة !

فهم المسرح الجاد

ومن الأسباب الأخرى التى تجعلنا لا نستطيع تحديد ملامح الحركة المسرحية فى قطر هو العمر القصير للمسرح بشكل عام، وخاصة فى معناه الحديث، ونوعية البيئة التى يتنفس فيها هذا الفن، وهى هنا بالطبع بيئة لم يسعفها التلاحم مع هذا الفن الوافد الجديد بالدرجة المطلوبة رغم المحاولات المستمرة لتحقيق الوجود المسرحى الوطيد الصلة بجمهور عريض !

ثم يأتى اخيرا واحد من الأسباب التى تؤثر فى الحركة المسرحية بصورة مباشرة، ويتمثل فى حيرة العاملين فى المسرح بين ما اكتسبوه من دراسة مسرحية جادة ذات تقاليد فنية، وبين المد التجارى المسرحى الرخيص الذى يهدف الى إفساد ذوق الجمهور وإبتذال تفكيرهم عن طريق الأعمال الهابطة التى تزخر بها الساحة الفنية فى الوطن العربى..

إن اكثر الشبان الذين درسوا فن المسرح فى المعاهد الفنية، عاشوا مع شكسبير وجان انوى وإبسن وتوفيق الحكيم، وضحكوا من اعماقهم مع موليير ودورينمات وعلى سالم، وشدتهم سخرية نعمان عاشور وبرناردشو، وغاصوا مع الام ستريندبرج ومحمود دياب، وحلقوا صارخين مع بريخت والفريد فرج، وتعجبوا من مجريات الأمور مع بوشنر وسعد الله ونوس..

إن مثل هؤلاء الشبان الذين تسلحوا بهذا الفيض من الروائع المسرحية، لابد أن تنمو فى صدورهم أمنية فنية فى خدمة الانسان.. تغلفها التضحية..

سيار الكوارى (الزوج)
وغانم السليطى (فيصل) ومحمد الكوارى (جاسم) فى المسرحية .



أمينة القفاص فى دور (الأم) وصلاح درويش (الأب) اثناء اقناع الزوجة .



ويحميها إيمان عميق برسالة نبيلة تهدف الى ضرورة صياغة الانسان الذى يتذوق المسرح الجاد ويفهمه !

ولكنهم فى نفس الوقت الذى يحاولون فيه اداء رسالتهم يرون المنافسة قائمة بينهم وبين الأعمال الهابطة التى تدغدغ اعماق الجمهور ، ويؤدى هذا التناقض الى فقدان الهدف والى غربة المسرح الجاد وضياعه وسط المستوى الفنى الشائع ، الذى تدعمه اجهزة الفيديو التى اصبحت جزءا من ديكورات غرف النوم !

ما قبل المسرحية الجديدة

واذا ما نظرنا الى خريطة الخليج العربى المسرحية ، لوجدنا ان الكويت باعتبارها رائدة فى هذا المجال ، قد اثرت تجربتها على الحركة المسرحية فى بقية دول الخليج .. غير ان جانبا من هذه التجربة مازال يعمل على تحقيق الرغبة فى مجاراة الجو الشائع فنيا بمسايرة المد التجارى ، بينما استطاع الجانب الآخر ان يحل المعادلة الصعبة ويقدم الفن المسرحى الجيد الذى يلقى إقبالا جماهيريا ، وقد رأينا ذلك فى أعمال الفنانين العظيمين عبد العزيز السريع وصقر الرشود ومنها مسرحية (ضاع الديك) و (بحمدون المحطة) و (١،٢،٣،٤ بوم) ، ونضجت تجربة المرحوم صقر الرشود فى آخر مسرحياته (حفلة على الخازوق) التى الفها الكاتب العربى محفوظ عبد الرحمن ، والتى تعتبر من وجهة نظرى من الأعمال النادرة فى خريطة المسرح فى الخليج العربى .

«متضيعك لو انت سايرتها» .

ولهذا فان التجربة المسرحية فى قطر ، باعتبارها جزءا من التجربة المسرحية فى الخليج وبقية الدول العربية ، إنما تحاول هى الأخرى فى مرحلتها الراهنة ان تقدم الفن الجاد الذى يخلق جمهورا مسرحيا يتذوق هذا الفن ويقيمه ولا يتفرج عليه كما يتفرج على «خصام فى شارع» !

والمعروف ان المسرح القطرى أخذ منه «موليير» نصيب الأسد ، نتيجة لسهولة نصوصه الفنية ، وعدم تعقيد مسرحياته واشتمالها على جو المفارقات الضاحكة ..

وعلى سبيل المثال رأينا من مسرحيات موليير (البخيل) التى قدمتها فرقة المسرح القطرى من إخراج حسن ابراهيم الذى درس فن المسرح بالمعهد العالى للفنون المسرحية فى الكويت ، وقد عرضت المسرحية باطارها الفرنسى التام، ويكفى هذا لتعرف مدى عمق الهوة والفجوة بين المسرحية الفرنسية والجمهور العربى القطرى ، فعندما يلتقى سعيد وراشد وسلطان بهرباجون واليز وسجاناريل ، اعتقد انهم يحتاجون لسنوات حتى يتفهم سعيد مشكلة هرباجون فيتفاعل معها !

ولهذا فقد اصبحت الحاجة ماسة الى نصوص محلية قلبا وقالبا ،حتى تساعد على ايجاد جمهور مسرحى متقبل لكل ما يطرحه العمل الفنى من افكار وقضايا متداولة !

العودة للنص الاجتماعى

وتجىء مسرحية «سوق البنات» التى قدمتها فرقة المسرح القطرى هذا الموسم (يناير ١٩٨١) معولا من معاول الحفر والتنقيب عن جمهور مسرحى .

وفى هذا الصدد قدمت ادارة الفرقة المسرحية من خلال كتيب قالت فيه : «بعد مراجعة حساباتنا القديمة رأينا ان تجربتنا المسرحية ، بما تخللها من عروض كلاسيكية ورمزية وتجريدية ، لم

عندما قال لها الأب : «زين صبري حتى يبنى لنا الحجرة» .



لماذا سوق البنات

في المسرح القطري

ناقشت المسرحية بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجري وراء المادة !

●

كيف حرك المخرج جموع الممثلين بشكل واقعي ؟



لحظة ندم وسخرية عن الاحوال بعد مفاجأة لطيفة بطلبها الطلاق .

تتمكن من جذب جمهور للمسرح .. لذا حاولنا بهذه المسرحية العودة الى النص الإجتماعي المبسط ، الذى يطرح مشكلة اجتماعية بأسلوب كوميدى ساخر ، فكانت سوق البنات ....»

وبالفعل إذا ما اخذنا هذه المقولة بعين الاعتبار ، بغض النظر عن المستوى الفنى للمسرحية ، لوجدنا اننا بهذا المفهوم يمكننا إيجاد فن جماهيرى له دوره الوظيفى فى تغيير مفاهيم اجتماعية ويتخذ من الأسلوب الكوميدى جسرا للوصول الى هدفه !

وفى بداية المسرحية نرى عبد الرحمن (سيار الكوارى) الرجل الثرى الذى اجتمعت فيه صفات الرجل الطيب الناجح والذى يعيش مع والده ، نراه قد تزوج من لطيفة (أحلام محمد) وهى الشابة التى اختارها لذاتها لا لشىء أخر كحسب أو نسب أو مال .. كيف ذلك وهو الغنى وهى الفقيرة ؟!.

ولم تكد تمضى ستة أشهر حتى تظهر امام عبد الرحمن تصرفات لطيفة التى تؤكد رفضها للحياة معه ، وتصرح له بعدم قبولها له لولا ضغوط والدها البسيط .

ويحاول عبد الرحمن التهدئة ، وتحاول لطيفة التفرقة ، ويحاول ايضا والدها سعد (صلاح درويش) ووالدتها مريم (امينة القفاص) واخوها فيصل (غانم السليطى) فض الخلاف الناشب بشتى الوسائل مؤكدين لها بسخرية مريرة مدى انشراح احوال الأسرة بعد زواجها بالرجل الثرى ، لكنها تصر وفى راسها فكرة لا نعرفها بعد !؟.

وتحسم الامور بين عبد الرحمن ولطيفة بعد ان يكتشف انها تستعمل كل الوسائل التى من شانها عدم تاكيد الارتباط به ..

ويحتدم الموقف عندما تبوح لجاسم ، الشاب الوسيم الذى تتفق معه على الانفصال عن زوجها والحياة معه ، لتفجع الأسرة بهذا النبا فى موقف ساخر ضاحك !

وفى الفصل الاخير والذى تدور احداثه فى بيت سعد ، نرى «جاسم» قد تزوج لطيفة واتضح انه شاب لعوب ، يلهث وراء رغباته ، فها هى الأسرة تعانى الامرين لانه يعيش عالة عليها باسم الحب !

ويستمر جاسم فى استغلال كل ثروات لطيفة المتبقية من خيرات عبد الرحمن لديها ، وتجد لطيفة نفسها امام اسرتها وهى فى موقف لا تحسد عليه . فتحاول بدورها تغيير حياة زوجها ودفعه الى تحسين وضعه الحياتى . ولكن جهودها تضيع فى الهواء . فهو انسان لا يعرف الطموح !

وتكون المفاجأة حين تعلم الأسرة بان جاسم الزوج المعشوق سيتزوج من فتاة غنية قريبا . فتصعق لطيفة ، وينكسر

هل صحيح أن جاسم كان يطلب عملا عندما دخل الى بيت عبد الرحمن ؟



هلال محمد (والد الزوج) يحاول اقناع ابنه باتخاذ موقف صارم تجاه زوجته .





لا فائدة من اقناع الزوجة بخطأ موقفها

حبها الوهمي الطائش على صخرة الواقع ، ويتم طلاقها من جاسم .. وتبقى وحيدة ..

وتشاء الظروف أن يجيء عبد الرحمن زوجها السابق الى بيتها ليفاجأ بنبأ طلاقها من الرجل الذي سرقها من عالم الهناء والتعامل العقلاني ، وبهدوء يقترب طالبا منها الا تنهار ، وأن تبدأ حياتها من جديد ، فلا شيء يصعب أمام ارادة الانسان في تخليص نفسه من محنته ..

وبالفعل تقف لطيفة وقفة كبرياء وعناد للظروف ، معترفة بأخطائها ومعلنة البداية من جديد ، فالانسان ذو المعدن الأصيل لا يعرف الفشـــل في حياته ..

الميزان الفني

وهكذا نرى أن المسرحية تواجه بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجري وراء المادة ، وتطالبنا بأن نعبر الحياة فوق العثرات الكثيرة المحزنة والموجعة والقاسية ، فبدون هذه التجارب لن نتعلم ولن نتفوق ، فالفشل لا يعني النهاية ولكنه يمثل بداية لرحلة جديدة مليئة بالتجربة والدروس ..

وهي التجربة الأولى للمخرج الشاب علي ميرزا ، وقد بذل من أجلها جهدا كبيراً لاظهار وكشف عناصر عرض مسرحية اجتماعية ، حرك من خلالها الممثلين بشكل واقعي ومقنع للجمهور ...

واذا كانت تجربته مع الممثلين ناجحة من حيث واقعيتها ، فاني أرى أنه مع قدرة الديكور على تصوير جو البذخ والرفاهية في بيت عبد الرحمن والشعبية والبساطة والبؤس في بيت سعد ، إلا أنه خلا تماماً من أي لمسة جمالية يحتاجها ديكور فن المسرح ، فقد اكتفوا بقطع الموبيليا الجاهزة المستعارة من المحلات التجارية !

أما الموسيقى المستخدمة في المسرحية ، فقد كان من الأجدر أن تستمد جذورها من الواقع ، كي تساير روح النص الذي صاغه عبد الله أحمد بمشاركة عاصم توفيق .. صياغة واقعية معبرة ..

ومن حيث الاضاءة ، فلقد تمكن علي ميرزا من الاحساس بالجو الكوميدي للمسرحية ، المتطلب لجو الانارة المسرحية لا الاضاءة العابرة .. إلا إذا استدعى الموقف الدرامي ذلك .

وبالفعل رأينا في نهاية المسرحية لطيفة بعد أن عزلتها الاضاءة عما حولها محددة لنا قيمتها الفردية من الناحية المادية والنفسية ، مؤكدة المقولة التي سعى اليها النص المسرحي الذي كتب بمجهود واخلاص وعطاء سوف يذكر دائما عن الحركة المسرحية في قطر .

غانم السليطي

حتى لا نرى بعيون الآخرين

جمال قطب

استعرضنا فى المقالات الماضية ونحن بصدد تقييم ودراسة ازمة الفن التشكيلى فى عالمنا العربى ، مشاكل التربية الفنية والمناهج الدراسية والامكانيات المتاحة لهذه الأنشطة ، كما تناولنا دور أجهزة الاعلام وحركة النقد الفنى الى أن وصلنا لدور المعارض والمتاحف واثره فى الحفاظ على التراث كمنطلق للحركة الفنية الحديثة ..

ومن الواضح ان عدم اهتمامنا باقامة المعارض وانشاء المتاحف وافتقادنا لروح التحمس بعزيمة صادقة وإصرار لا يعرف الملل ، قد جعل تراثنا نهبا للمتربصين بنا وبكنوزنا التاريخية المطمورة او المخزونة او المعروضة فى متاحفنا المتواضعة النادرة ! فلا غرو ان تكتشف اجهزة الأمن من حين لآخر ، افراداً وعصابات تخصصوا فى السطو على آثارنا ، وحولوا أوكارهم الى مستودعات لهذه الكنوز المنهوبة .. يصدرون منها بطرق دائمة ومنتظمة الى شتى عواصم العالم ، لتستقر فى النهاية فى المتاحف والقصور وعند جامعى التحف وقاعات المزادات العالمية ..

ولعل اطرف تعليق سمعته بهذا الصدد : إنها سرقة وجريمة ليس فى هذا شك .. ولكنهم يحافظون عليها اكثر منا !

ومن الغريب اننا ونحن نفتقر الى ابعد الحدود للمتاحف والوثائق ولدينا معاهد الآثار المتخصصة والأعداد الوفيرة من خريجيها ، نجد أن معظم الحفريات على أراضينا العربية لا يقوم بها إلا البعثات الأجنبية .. ومن الطبيعى الا تكون الرقابة على تسرب تحفنا للخارج او الاتجار فيها على مستوى الخطورة والجدية اللازمة .. ومن الميسور ان ترى (متاحف صغيرة) تزخر بشتى انواع الآثار الاسلامية وغير الاسلامية فى بيوت البعض من الذين يتفاخرون باقتنائها دون وجل من اى مساءلة أو محاسبة ..



قوارب بحرية للفنان «روى ليشانستيه» واسلوب اللوحة من آخر صيحات الفنون المستحدثة وهو البوب أرت الذى غزا الفن الأمريكى المعاصر .

ولا شك ان مثل هذه التحف ليست فى مكانها الصحيح على اية حال .. لأنها تراث تاريخى لا تملكه إلا الدولة صاحبة الأرض .. ومكانه الحقيقى فى متاحفها ..

قيمة التراث

وإذا نظرنا الى ما يحدث إزاء نهب التراث فى عاصمة مثل لندن .. نرى انه فى صيف ١٩٧٩ ، قد ثارت ثائرة المؤرخين ومحبى الفنون الجميلة فى بريطانيا على اثر الشروع فى واحدة من أعرق قلاعها التاريخية وهى قلعة (وارويك) لمعرض الأعمال الشمعية الشهير الذى تملكه (مدام تاسو) .

وبالرغم من ان القلعة مملوكة شرعيا (للورد بروك) وله مطلق التصرف فيها وفى محتوياتها من الكنوز الفنية .. إلا ان المؤسسات الفنية والصحفية وجميع طوائف الشعب قد هبوا يطالبون بوقف هذا التصرف فى اثر يعتبر تراثاً يضرب

● مطلوب رقابة جذية لمنع تسرب تراثنا الفني إلى الخارج

● لابد من إنشاء دور للوثائق القومية ومتاحف للتراث


«ريم الديرة» للفنان الكويتي جعفر علي دشتي ولعله من أصدق المعبرين عن التراث بتطور ومعاصرة .


«وجه عجوز» للفنانة القطرية وفيقة سلطان
(التسجيل بأبسط الأساليب وأقربها للفهم) .


ملصق للفنان البحريني أحمد حسين العريفي
(أبحاث في البعد الواحد واستخدام الحروف العربية) .

جذوره فى أعماق التاريخ على مدى تسعمائة عام ..

وقد تعود الشعب البريطانى على أن يرتاد هذا الأثر كمزار يمثل جانبا من تاريخه .

... هذا هو الوعى .. دون أن يحتاج منا الى تعليق !

وحتى بالنسبة للأعمال ذات القيمة الفنية المحدودة .. أخضعتها بريطانيا الى رقابتها الدقيقة : فقد بلغت عمليات بيع هذه الأعمال فى عام ١٩٧٨ من داخل بريطانيا ٤٣٤ مليون دولار .. متمثلة فى اللوحات التجارية وقطع الأثاث القديم وبعض التماثيل ذات الملكية الخاصة . وتحركت على الفور جماعات محبى الفنون الجميلة ... ودعت الى الثورة العارمة لوقف هذا النزيف الفنى حتى تظل الدولة البريطانية مركز استقبال لمثل هذه الأعمال .. وليست محل تصدير لها بأى صورة من الصور . وسارعت الدولة باصدار بياناتها تطمئن الشعب على ثروته الفنية ، وأن التحف ذات القيمة التاريخية والتراثية مصونة لا تمس ، وتؤكد أن جهازها المسمى «بلجنة فحص التحف والأعمال الفنية المصدرة للخارج» والذى أسس من خمسة وعشرين عاما ، يقوم بواجبه على أكمل وجه ، ولكنه لا يستطيع عمل شىء مؤثر إزاء الملكيات الخاصة من التحف التى تباع بمبالغ خيالية لا تستطيع الدولة توفيرها لتنافس المزايدين فى شرائها ..

ومع ذلك فقد اتخذت الحكومة موقفا ايجابيا نحو الأعمال ذات القيمة الفنية الكبيرة : فقد كلفت المتحف البريطانى بأن يدخل منافسا لشراء أى تحفة يرى الخبراء أنها لا يجب أن تغادر البلاد .

وفى خلال هذه الأزمة العابرة ، خرج الناقد البريطانى الشهير (هيوز ليجات) على الشعب البريطانى بنداءات ثائرة غاضبة ، وقد لخص هذا الموقف بعبارة اتخذت شعارا آنذاك : «إنه لمن العار أن

نرى تراثنا الفنى ينهب ولا نستطيع عمل شيء ، إنه الحضارة الانسانية والتاريخ ، إنه ملكنا جميعاً ، ويجب علينا ان نتفانى فى الحفاظ عليه !»

وهل بعد أن سقت مثل هذه الأمثلة ، أجدنى فى حاجة للتدليل على اهمية المتاحف الثقافية المعاصرة ؟

لقد تناولت مشكلة نقص المتاحف فى حياتنا العربية ، منذ عدة شهور على صفحات احدى الجرائد الخليجية .. وناديت بالشروع فوراً فى تاسيس دور الوثائق القومية ومتاحف التراث وذلك بجمع ما بين أيدينا منها والحصول على المزيد بشتى الطرق والوسائل المشروعة .. أو باستنساخ صور لتحفنا التراثية التى تعمر بها متاحف العالم .. وهذا أضعف الايمان !

إننا بذلك نيسر السبل أمام الباحث والمؤرخ والدارس من جيلنا والأجيال العربية القادمة ، وهو فى نفس الوقت متابعة لمسيرة الفن والتاريخ والحضارة ، تلك المسيرة التى كادت أن تندثر تحت تراكمات السنين وأعاصير الأحداث المعاصرة كحبات لؤلؤ انفرط عقدها وسط الزحام !

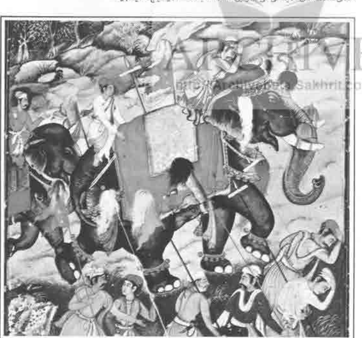
علاج بالمسكنات

ونأتى لآخر مظاهر القطيعة بين الفنان العربى وجمهوره .. فنرى أن الميدان قد فرغ تقريباً من الحماس اللازم كعنصر حيوى للابداع ، وتقاعس الفنانون الموهوبون عن الزج بأنفسهم فى هذا الفراغ .. حفاظاً على كرامتهم ، فالفنان الحقيقى دائماً ذو حساسية مرهفة ومشاعر رقيقة مهذبة ، ولذلك نراه يؤثر الطوى والانطواء على العمل فى ساحة من فراغ لا يسمع فيها إلا وقع أقدامه !

ووجد الدخلاء والمدعون الفرصة متاحة لانتاجهم الرخيص .. وفرضوا انفسهم ـ دون محاسبة او مراجعة ـ على الجمهور فى تدافع وتكالب سوقى كاد أن يودى بالبقية الباقية من الذوق الرفيع ! واتسعت الهوة بين العمل الفنى الحقيقى والجمهور الذى تستقطب طاقاته فى الأحداث المتلاحقة ومشاكل الحياة اليومية العابرة .. وتدخلت



احدى قاعات الفن الايطالى فى القرنين ١٧ و ١٨ بمتحف الارميتاج ـ ليننجراد



احدى لوحات المدرسة الهندوكية فى فن التصوير .. لم تستطع المذاهب الحديثة ان تذيب أصالتها .

الجهات الرسمية فى الدولة من آن لآخر لتنظيم المسابقات أو إقامة المعارض فى المناسبات .. تماماً كما ترفع الرايات وتقام الزينات ثم لا تلبث أن تتلاشى وتنتهى بانتهاء هذه المناسبة أو تلك .

ولما كانت العادة قد جرت أن تنصب هذه المعارض الموسمية وتنفض دون اية حصيلة للفنان ، فقد لجأت الجهات



السلام الذرى للفنان هنرى مور .

المسئولة الى التبرع باقتناء بعض أعمال الفنانين بعد أن اختفى عنصر الطلب الجماهيرى عليها ، ويسعد الفنان مؤقتاً بهذا التبرع «الكريم» .. لقاء أعماله التي تاخذ طريقها عادة الى المخازن والمستودعات !

... وكانت هذه الحلول الجزئيـــة ومازالت تقوم بدور المسكنات للآلام المستوطنة ، ولكنها لا تؤدى الى العلاج الجذرى للمشكلة ذات الأعماق والمتشعبة فى مختلف الأبعاد والأركان .

وليس هذا الحل المؤقت المظهرى ما نامل فيه .. ولكن العلاج يجب أن يكون حلا شاملا على أساس من الدراسة والفهم والعزم على نشر التذوق وحب الفن ذاته !

.. وما أريد أن أؤكده عن اخلاص واقتناع هو أن نهضتنا الفنية الحديثة ، لا يمكن أن نقيمها على كواهل شباب من المبعوثين لمختلف دول العالم شرقاً وغرباً ، دون أن نسلح هذا الشباب بالقيم التراثية والحضارية المنبثقة من ترابه وبيئته ، ولن يتاتى ذلك بجرعات مركزة من المنشورات أو المحاضرات الانفعالية أو التوصيات والنصائح ، ولكن السبيل الى هذا الهدف هو أن نبدأ فى تقويم الطفل من أولى مراحل دراسته وتتدرج معه بوعى وإدراك كاملين فى شتى مراحل تفتحه وتكامل شخصيته .

وإن هذا الانفصام والتمزق الذى خلق ظاهرة التسيب فى كثير من مرافق حياتنا الثقافية ، ما هو إلا نتيجة لتفتت مصادر التاثير الروحى ، والتهوين من قيمة التراث والأصالة البيئية والتمسح فى تقليد الحضارات الأجنبية بهذه المظهريات الممسوخة .. وبالتالى ، اهتزاز المثل فى غيبة القدوة الصالحة . هذا من الجانب السلوكى فى الحياة العامة ، ومن جانب اخر ، فان معظم فنانينا وقد وجدوا أن سجل المسيرة التاريخية ، قد احتجبت معظم صفحاته عن متاحف التراث بعامل الاهمال وافتعال الأزمات وتحكم الاستعمار وقد فرض علينا أن نرى بعيون الآخرين ، كل هذا وغيره ، أصبح ضبابا يعوق الرؤية الواضحة فكدنا أن نضل الوصول الى أهدافنا القومية .. وتلمسنا طريقنا نحو تلك الأضواء المبهرة فى مجتمعات غير مجتمعنا وتقاليد غريبة عنا .. فتصنعنا التحضر المزيف وصرنا أبواقاً وببغاوات نردد ما يدور فى أوطانهم ، ونقلد انتاجهم من المدارس الفنية المتصارعة دون وعى بطابعها الذى كان وليد تفاعلات وتعقيدات محلية لديهم ، ونتج عن كل ذلك أن رأينا تباعداً وانفصالا بين الفن العربى والجمهور ..

الغرس والحصاد

والآن أعتقد أنه قد آن الأوان لأن نتصور حجم المشكلة بعد أن تمثلت فى الأذهان معظم جوانبها وأبعادها ، وبعد أن تناولناها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات ، وليس القصد من وراء ذلك هو أن نصبح كلنا من الفنانين أو أن يكون شغلنا الشاغل فى الحياة هو الفن فحسب .. ولكن ربط الماضى المجيد بالحاضر هو انطلاق نحو تكامل الشخصية الفكرية الواعية .. وهو ثقة بالنفس تنعكس على حب الوطن ذاته . ينطلق الفنان بعدها دون معاناة من الام القهر والضياع والفاقة ، ليبدع أسمى ما تنطوى عليه الحياة من مكامن الجمال .. وأروع ما تجيش به النفس العامرة بالايمان والمثل والوطنية . وبدلا من أن يسير فى دروب الآخرين ، يقود الجموع فى آفاق العروبة حيث الأمجاد والاعزاز والفخار .. كشجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء !

إن فنانا أسبانيا يدعى «فيكتوريانو سابالا» دفعه ايمانه بوطنه وأمجاده .. وألهبت مشاعره بطـــولات الرواد المكتشفين من مواطنيه ومنهم «نونيوث دى بالبوا» الذى عبر برزخ بنما وأطل على المحيط الهادى من فوق صهوة جواده الأبيض فسمى من ذلك الحين «مكتشف المحيط الهادى» فما كان من هذا الفنان إلا أن أقام نصباً تذكارياً منحوتاً للبطل المكتشف يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعة أمتار فى نفس المكان الذى أطل منه «نونيوث» على المحيط ..

أقام الفنان هذا التمثال من ماله الخاص دون تكليف من أحد . لأنه أحب بلاده وأحب قادتها وتاريخها وتراثها .. وهكذا تفعل التربية السليمة الواعية التى تخلق من كل مواطن فنانا أو بطلا فى أى ميدان ..

وإذا ذهب أحدنا الى اسبانيا ورأى متاحفها ، والعناية الأسطورية بتراثها وآثارها ووثائقها ، لابد وأن يصل لهذه النتيجة الحتمية .. وهى أن استمرارية أمجاد الحاضر والتراث وغرس الشعور بالوطنية وشرف الانتماء الى الوطن .. يخلق المعجزات ! وكان للفن هذا الفضل العظيم فى تخليد تلك المآثر على مر العصور .

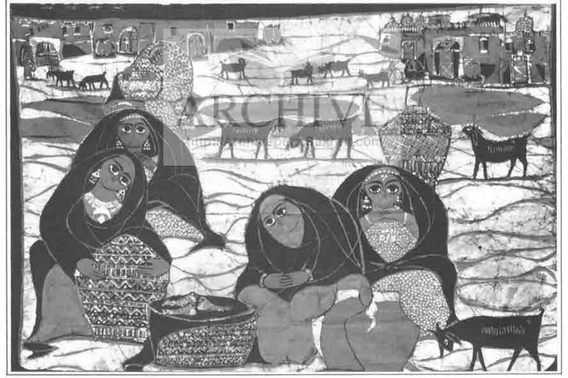
وأحب أن أختتم استعراضنا هذا بقول أوسكار وايلد :

«إن روعة الشعور بالجمـــال فى المبتكرات الفنية هى سمة حضارة الشعوب ، ولقد علمتنا الفلسفة هدوء النفس واتزان العقل لاحتمال أخطاء الغير ، كما استطعنا بالعلم أن نرقى بمشاعرنا ونهذب سلوكنا لنتسامى بمستوانا الانسانى ، أما الفن فيجعل حياة الفرد جنة دنياه ، وبينما الفلاسفة يتساقطون كحبات الرمال ، كما تتساقط معتقداتهم كأوراق الخريف ، يظل الفن الجميل متعة للحياة كفصول السنة التى تتغير فى نظام دائم بديع .»

جمال قطب

السباحة في أنهار العشق

مجدي نجيب



الرسم على القماش بالصبغات الملونة «انتظار قطار الحبوب» .

فن «الباتيك» . أو الرسم على القماش بالصبغات الملونة والمواد الكيمائية والشمع ، يعتبر واحدا من الفنون الجميلة الجديدة على المنطقة العربية بشكل عام .

وقد برز في هذا المجال الفنان العربي «علي دسوقي» ، الذى استطاع ان يجذب انظار اوروبا والعرب ، حيث وصل الى درجة عالية من الثقة والتكنيك في تطويع الألوان «المحدودة» ، في لغة ناعمة ذات شفافية خاصة ، معبرا عن البيئة العربية في إيقاع ينبض

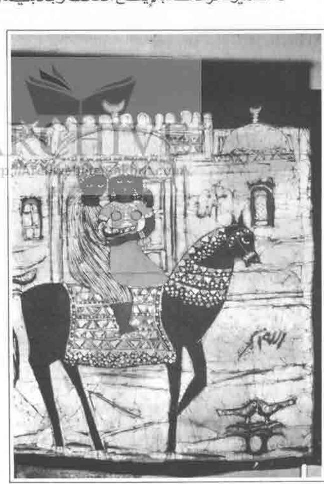


الفنان علي دسوقى أمام احدى لوحاته .



من واقع الحياة الشعبية .

- هكذا عبر الفنان عن البيئة العربية في لغة شفافة ناعمة!
- تميزت لوحاته بالإيقاع الخافت وجاذبية الشكل واللون!



لوحة من السيرة الشعبية «الفارس والعروس» .

بالتلقائية ، متعاطفا بشدة مع فنوننا البدائية .. ، واستحضار روح المكان ، ورعشة الدفء والضوء .. والالفة .

كان آخر معارضه ، المعرض الذى اقامه فى نهاية العام الماضى فى مدينة بون بالمانيا ، وقد اثارت لوحاته فى فن «الباتيك» ، الآراء الكثيرة لنقاد الفن هناك ، .. فكتبت جريدة «بون روند شاو» تقول : «المعرض لا يجب ان يفوت اصدقاء فن الباتيك وجميع المهتمين بالفن عامة ، ففى لوحاته التى صور فيها الحياة اليومية فى الاحياء الشعبية بالقاهرة ، استطاع تاكيد العلاقة بين الانسان والبيئة ، فى الوان ايقاع الموسيقات الشعبية المتوهجة فى فرحة بسيطة» .

وقالت جريدة «هونف فولكس تسايتونتج» :

«ان معظم الشعوب ، تستعمل فن الباتيك كاسلوب تجريدى .. ولكن الفنان علي دسوقى .. اختار التكنيك الصعب ، لكى يعبر عن الحياة اليومية فى هارمونى ذى ايقاع خافت ، ساحر ، فى الشكل واللون ، متخطيا الصعاب التكنيكية فى هذا النوع من الفن الذى يحتاج الى الدقة والصبر» .

وعن فن «الباتيك» ، يقول الفنان علي دسوقى ، ان هذا الفن من الفنون التى تمارس بشكل شعبى فى الهند .. والصين وباكستان .. وبعض دول جنوب افريقيا ، حيث يقومون باستخلاص

السباحة في أنهار العشق

إنه لا يقدم لنا الرؤيا التعيسة ولكنه يترجم ذلك النبض المتفائل!


مقهى شعبى


بنات القرية .


راعية من مدينة مرسى مطروح .

«الاصباغ» من بعض النباتات التى تتميز بطول البقاء .. وتعتمد لوحاتهم على صياغة الرموز الشعبية المستمدة من معتقداتهم الدينية ، فى شكل خطوط هندسية مبسطة ، ووحدات زخرفية .

وعلي دسوقى من الفنانين الذين لهم اسلوبهم الخاص المتميز فى التصوير الزيتى .. وفى موضوعاته التى يتناول فيها ـ ايضاً ـ الحياة والبيئة الشعبية فى مثابرة على دراسة الملامح التى تعتبر تسجيلات لفترة تاريخية ، توشك أن تختفى بفعل التطور الحضارى المستمر .

وهو حينما يخاطب عين المشاهد ، لا يخاطبها بشكل مباشر .. ، عالى النبرة ، بل يتحدث فى لغة الفرشاة الناعمة وهى تتحرك فى عشق ومحبة ، تعزف لحنها الدافىء على أوتار المشاعر الانسانية النابضة بالصدق البسيط ، .. فهو حينما يصور الطفولة ـ مثلاً ـ لا يقدم لنا الرؤية التعيسة منها .. أو الجوانب البائسة الحزينة ، وإنما يختار الألوان المفرحة التى تحكى حكاية اسطورية جميلة ذات نبض متفائل .. وحينما يصور عازف الربابة ، فانه يميل الى استخدام الايماءات الحسية المعبرة عن رحلات السمر والعشق والبطولة وذكريات الآباء والأجداد ، فتعزف الرؤية فى اعماق المشاهد للوحاته ، اغنية الفرحة والدهشة والحب لهذا الكون الذى تغطيه فى كثير من الأحيان ، سحابات داكنة من الحزن واللوعة .

وبلغة الألوان ، تمكن الفنان علي دسوقى من صياغة الوجدان الانسانى العربى ، فى صورة شعرية بسيطة التراكيب ، بعيدة عن التعقيدات ، زاهية الألوان ، تسبح فى انهار من البهجة والأمل .

مجدى نجيب

رسول الله

بين الدين والدنيا

د. محمد عمارة

عندما ننظر فى السيرة النبوية ، ونتامل شئون الدولة العربية الاسلامية الأولى ، على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، نلمح موقفا يتكرر كثيرا ، وفى مواطن عدة ، وملابسات مختلفة ، بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين صحابته ، عليهم رضوان الله ...

فعندما يواجهون قضية من القضايا او امر من الأمور ، ويدلى فيه الرسول براى .. ويكون لدى الصحابة فى هذه القضية وذلك الامر ما يودون أن يقولوه تعليقا ، أو تعديلا على ما قال الرسول ... عند ذلك كانوا يسالون النبى ذلك السؤال التقليدى والشهير : «يا رسول الله ، اهو الوحى؟ .. ام الراى والمشورة ؟!» فان قال لهم : إنه الوحى ، كان السمع والطاعة منهم ، وإسلام الوجه لله .. الذى هو المعنى الحقيقى لمصطلح «الاسلام» ! .. اما إن قال لهم النبى : إنه الرأى .. فانهم ، عند ذلك يدلون بما لهم من أراء وملاحظات ، فتكون الشورى والاخذ والرد والنقد والتصويب ، وصولا الى القرار الذى يتفق عليه الجميع !..

وهذه القضية التى تلقانا كثيرا فى سيرة الرسول ، وخاصة ممارساته السياسية والادارية لشئون الدولة ، جديرة بأن تلفت الانتباه الى ما نسميه «تمييز» الاسلام — وليس «الفصل — بين ما هو «دين» وما هو «دنيا» ! فعندما يكون الأمر «دينا» اى وحيا إلهيا ، او سنة تشريعية تفسر هذا الوحى وتفصله ، فليس هناك مجال «للرأى» أو «المشورة» ، بل الواجب هو الطاعة — (الاسلام) — والتسليم والانقياد . ومكان العقل هنا هو مكان اداة الفهم ، حتى تكون الطاعة على فهم وعن بينة ! .. وفى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم اجماع علماء الاسلام على تحريم القول «بالراى» فى «الدين» !

اما اذا كان الامر «دنيا» و «سياسة» ، فان «الراى والمشورة» يصبحان هما السبيل لانضاج الفكر والطريق لاتخاذ القرار !..

ويزكى هذا الموقف الاسلامى ويزيدنا اقتناعا به ان مصطلح «الشورى» فى القرآن الكريم ، قد ارتبط بمصطلح «الأمر» ، الذى يعنى السياسة ، والذى — لذلك — اشتق منه مصطلح «الأمير» و «أمير المؤمنين» .. والذى يرتبط به «الائتمار» اى التشاور فى «المؤتمرات» !.

فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ، عليه الصلاة والسلام : (وشاورهم فى الأمر) كما يقول : (وامرهم شورى بينهم) .. اما فى أمور «الدين» وأصوله ، وقضايا الغيب واخباره ، ومسائل الشرع الالهى وعلومه ، فلا مكان «للرأى ولا للشورى» .. بل الواجب هو الطاعة والانقياد ! ..

فما كان «دينا» فان مرجعه ومصدره هو «الوحى» والتنزيل ، لأن فيه من الغيب ما قد لا تدركه العقول الانسانية بذواتها ومع استقلالها بالنظر ... اما ما كان «دنيا» — بما فيها «الدولة والسياسة» — فالمرجع فيها هو «العقل والتجربة الانسانية» ، المحكومان «بالمصلحة» فى إطار كليات «الدين» ومثله العليا ووصاياه .. وعن هذا «التمييز» تحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى القضية الشهيرة التى عرفت بقضية «تابير النخل» ... فعندما هاجر النبى الى المدينة وجد اهلها يلقحون إناث النخيل من ذكورها .. فاشار الى ان ترك ذلك لن يضر الاثمار .. فتركوه «فشاص» الثمر ! .. ولما ذهب اصحاب النخل الى الرسول يشكون ما صنعه رايه عليه السلام بثمرهم .. قال لهم : «لم اقل لكم قال الله .. ما كان من أمر دينكم فإلى ، وما كان من امر دنياكم فانتم أعلم به» ؟!

فهنا «التمييز» — وليس «الفصل» — بين ما هو «دنيا» وبين ما هو «دين» ... وتلك واحدة من ثمرات النظر فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام !

د. محمد عمارة

الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟

تأليف الدكتور : محمد عبده يماني

مراجعة وتقديم : أحمد العناني

لقد أينع قطاف الفكر والأدب في السعودية . انتهى عصر الثمرات الأولى وجاء دفق الحصاد الغزير من الموسم الأول ، وأحسب اننا من الآن فصاعداً سنرى موقع السعودية في ركبنا الحضاري ممتلئا بجدارة ، شامخا مرفوع الراية .. ذلك كان رد «الفعل العفوي» عندي حين وجدتني مندفعاً بغير توقف في قراءة «الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟» للاستاذ الدكتور محمد عبده يماني وزير الاعلام الحالي للمملكة العربية السعودية . لقد تلقيت هذا الكتاب الذي سيجدني القارىء متحمسا له اكبر الحماسة مع كتابين اخرين بعيد ما بينهما وبين هذا الكتاب العلمي في ظاهر المحتوى ، ومنحى المضمون فالأخران هما «فتاة من حائل» وهي رواية مطولة و «اليد السفلى» وهي قصة سعودية ، نشر معها في نفس المجموعة قصة فلسطينية «مشرد بلا خطيئة» ..

ولأول وهلة يتور في الخاطر سؤال محق «أأديب هذا الرجل أم عالم ؟» وهو سؤال يوجه الى الدكتور اليماني بقدر ما كان ينبغي أن يوجه الى العلامة المرحوم «الدكتور احمد زكي» .. والجواب في الحالتين أو الحالين إن شئت نعم ، أديب عالم أو عالم أديب . وليس في هذا الجواب مبالغة فالأصالة العميقة تقتضي تلاقي الرافدين في منبع واحد .. وما عجز الأديب عن أن يكون عالما إلا برهان على ضحولة مضمونه ، ولا عجز العالم عن أن يكون أديباً إلا الدليل على نقص في ملكات خياله وتعبيره ، ولا يكون الأدب أدباً حياً بناء إلا حين ترفده الفكرة الجادة العميقة ، ولا يتحقق في



هذه الصور التقطها بعض الطيارين لاجسام قالوا انها .. أطباق طائرة .

العلم ابتكار إلا بخيال متحفز وتعبير ممنطق ومنسق ..

والأطباق الطائرة بين الحقيقة والخيال موضوع خاض فيه الناس ولا سيما الصحفيون وأهل السينما الأمريكية بخاصة خوضا كثيراً حتى أشاعوا الملالة في النفوس حين تلقيه .. ولكنني أشهد ان ممارسة القراءة في هذا المؤلف الرائع تهيىء للقارىء مدخلا مغرياً ، كانما هو يقترب من الموضوع لأول مرة . لقد وجدتني اقطع قرابة ستين صفحة في كتاب من القطع المتوسط قبل ان أرفع رأسي لأقيم ما قرأت تقييم ناقد أو معترض على شيء .. ولقد كانت هذه التجربة الحقيقية مع الكاتب في حد ذاتها شاهد عدل على القدرة الممتازة للكاتب ... تماماً كما كانت كتابة جورج برنارد شو عن موضوع القديسة جان «جان دارك» معجزة في الأصالة والابداع حيث يلتقي القارىء بمنتهى الجدة في موضوع متناهي القدم والتداول ...

وطفقت أبحث عما حملني على موجة كتاب علمي كل تلك المسافة دون أن أرفع رأسي لأخالف عن مقولات الكاتب او اناقشها ... وتذكرت كلمات للناقد الأدبي العظيم ابر كرومبي عن هذه العلامة الفارقة للكتاب الموفق فوجدت ذلك ليس في مجرد الأسلوب السلس المتين والتعبير العربي النقي ولكن في ميزة متفردة للكتاب كله ، وهي الرسالة التي يؤديها .. انه نموذج رائع للفكر العلمي الاسلامي المعاصر .. انه هذا الربط المحكم بين القرآن والعلم ، وهذه الأدلة المتلاحقة المترابطة على الأبواب التي فتحها القرآن أمام كل المغرمين بكشف قوانين الحياة الخفية ، أولئك الذين لولاهم ما عرفنا الكهرباء ، ولا سخرنا أمواج الجو الخفية ، ولا رصدنا أبعاد الفلك الاسطورية .

يتلاقى العلم والأدب في تناغم موفق في هذا المؤلف كما ذكرت ، وباسلوب فيه كل ما في العلم من صدق واستقامة ، وما في الأدب من دفء وجمال ... المؤلف في مقدمته يسرد : حكايته مع هذا الكتاب .. إنها بدأت بوفود بعض رواد الفضاء الأجانب الى السعودية ومعهم عينة من صخور القمر ، وحيث ان هذا الانجاز الباهر هو قمة هرم من جهود العلماء على مدى العصور ، فان خيال المؤلف عاد بلوعة ليتذكر كل الفضل العظيم الذي كان للاسلام وعلمائه في قواعد هذا الهرم


د. محمد عبده يماني .

واساساته ، وحيث كان ذلك الفصل مظلوماً منكوراً هذه الأيام فقد عزم المؤلف على جمع كل ما يتعلق بالأطباق الطائرة وما يتصل بأمرها من علوم الفضاء ليثبت من شواهد القرآن الكريم ومنجزات العلماء المسلمين مدى الدور الذى لعبه الاسلام فى منجزات الحاضر الهائلة ، وليبعث فى أوصال المثقفين والدارسين والعلماء المسلمين روح الأمل والعزم لوصل الماضى بالحاضر ، لرفع الغبن عن ذلك الماضى المجيد بالأسلوب الحق الوحيد الا وهو رفعة الحاضر والمستقبل.

وبأسلوب العالم المنهجى يحشد المؤلف طائفة منوعة موثقة مما ورد فى شأن الأطباق الطائرة على شريحة كافية من الزمن المعاصر وعلى امتداد رقاع واسعة من بلدان العالم وتجاربها واخبارها المذهلة عن تلك الأطباق ، ليخلص من ذلك السرد المنسق كله الى سؤال هو بيت القصيد ، وهو شغل العالم الشاغل من وراء سائر برامج الفضاء المكلفة الطموحة «أتكون تلك الظواهر الغريبة والأطباق الطائرة سفناً فضائية جاءت من عوالم أخرى فى هذا الكون العظيم ؟ واذا كانت هناك حياة فما غاية احيائها من ارسال سفنهم الفضائية الى كوكبنا ؟»

الخلفيات الأساسية

يرى المؤلف أن النظرة العلمية للموضوع تقتضى أولا تكوين صورة من ابداع الخالق جل جلاله لهذا الكون الذى نعيش فيه ، بملايين مجراته وأفلاكه منها المجموعة الشمسية التى تنتظم أرضنا التى نحيا عليها ... ثم دراسة الموقف الذى اتخذه المسلمون حيال الفلك والفضاء وعلومهما وما ذكر أو أنجز من مقولات فى صدد سكان الكون وذلك قبل محاولة الجواب على التساؤل الأكبر «هل الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟»

أذكر انى قرأت ودرست كتاباً للفلكى البريطانى جيمز جانز عن الكون العجيب الذى نعيش فيه ، والذى اكتشفت لاحقاً مع الأسف ان اثنين من ألمع أسماء كتاب العلوم العرب المحدثين قد نسبا مادته الى نفسيهما .. وفى ذلك الكتاب تفصيلات مذهلة عن حقائق الفضاء الهائل وملييارات افلاكه واجرامه ، كما أذكر مقالات نشرت منذ أوائل الأربعينات فى طائفة من أشهر المجلات العلمية بل حتى بعض المجلات الأقل تخصصاً كمجلة لايف والدايجست ... ولكنى لا أذكر أننى فهمت الأمر على وضوح وبساطة وحسن تنسيق كما فهمت عن الدكتور اليمانى والمرحوم الدكتور احمد زكى . بل وينيف الدكتور اليمانى كل من سبقوه أولا بحداثة المعلومات وثانيا بوضوح الصور الرائعة المنتقاة وبأسلوب الكاتب المعلم الذى اعتاد أن يراعى الأذهان الأقل منه استعداداً للفهم خاصة وان البحث علمى ومتخصص .

العلوم الكونية فى الاسلام

يشكل الفصل الخاص بالعلوم الكونية فى الاسلام لب الموضوع كله ، وفيه تتجسد تماماً غيرة العالم الأديب المؤمن ضمن ضوابط المنهجية العلمية ...

والواقع إن هذا الفصل من احسن ما يمكن أن يقدم لكل حائر متشكك ، أو جاهل منكر عظمة دينه وأمته من أبناء المسلمين ، فها هنا يقوم الدليل ساطعاً كالنهار على حقائق مذهلة عن الكون وهندسته وحقيقته وحركات أجرامه ، وعن توافر مخلوقات غيبية فيه ، وعن استمرار امتداد سعته وازدياد عدد اجرامه ، وعن مجموعات شموسه وخصائصها .. إن المؤلف يختار لك بخطة تكشف عنها شروحه اللاحقة عن عظمة الحق المتمثل فى القرآن الكريم ، مما لم يكن يخطر ببال فى جزيرة العرب ولا خارجها غداة تنزيل الذكر الحكيم ...

ويبدأ المؤلف بايراد كل رواية وردت من مفسرى القرآن الكريم قدامهم ومحدثيهم ليناقش تلك التفاسير ، وينتهى بالنقاش الى ما يهز النفس إعجاباً ويملأ القلب ايماناً والفكر استنارة ورغبة فى المزيد ..

شواهد من التاريخ

فى هذا الفصل يكشف المؤلف عن حقيقة قلما يتنبه لها الدارسون من مثقفينا وهى أن مدى اعترافات الأجانب بفضل المسلمين هو مدى قصير ، وأن الأمر أخطر من ذلك بكثير ، وان ما اقتبس ونقل من العلوم الاسلامية ونسب الى الأوروبيين انتحالا بغير الحق هو أكثر مما يتراءى لنا أو يعرض علينا ، وهو أمر اعترف به قليل من المنصفين الأوروبيين كسيديو .. وأود أن أضيف الى ما يقوله المؤلف بأن كل الانتاج الفكرى والعلمى والفلسفى والأدبى والطبى الأوروبى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ينبغى أن تعاد دراسته من مثقفينا لفرز الحقائق من جديد .. إن علماء المسلمين الذين اضطهدوا فى اسبانيا الكاثوليكية وأدباءهم ومفكريهم توزعوا السكنى فى غرب أوروبا بما فى ذلك انجلترا ، وقد دفعهم الارهاب والخوف الى أن يعطوا الأوروبيين شرف العلم الذى حملوه وبثوه .. أليس غريباً تلك الطفرة العظمى بين بريطانيا القرن الخامس عشر ، وبريطانيا السادس عشر .. أليس عجيباً أن يهبط عليها فجأة كل تلك العبقريات الفلسفية والعلمية والروائية دفعة واحدة .. إن هذا موضوع ضخم ويحتاج لتحقيق ضخم وجماعى أيضاً .. ويعجبك من الدكتور يمانى تلخيص الأمور فى عبارات معبرة ومبسطة وهذه المجموعة من الصور النادرة التى يضمها كتابه .

ولشد ما أثلج صدرى هذا الفصل الرابع الذى سماه المؤلف «شواهد من التاريخ» يريد به المؤلف بابتكار واقتدار أن يهيىء براهين على معلومات واشارات تاريخية من القرآن الكريم حول قدم الحضارات السابقة لتاريخنا

ثم يتصدى المؤلف للموضوع الأساسى فى الفصول الباقية فيقول بروح المؤمن الملتزم والعالم المنهجى ما ينبغى أن يقوله المسلم النموذجى فى هذا العصر مما أدع للقارىء أن يستمتع به فالى هذا الكتاب القيم الصادر عن المطابع الأهلية بشارع عمر بن الخطاب بالرياض فى حوالى مئة وتسعين صفحة ألفت نظر القراء والمثقفين . أحمد العنانى

البنج
وعلاقته بحياة الإنسان

د. عبد الفتاح الزهيري

الكثيرون يتعرضون كل يوم لتجربة التخدير الطبى أثناء اجراء العمليات الجراحية ..

والكثيرون أيضا ، يودون أن يتعرفوا على كل تفاصيل هذه التجربة الهامة المتعلقة بحياة الانسان ، خاصة بعد ان أصبح التخدير علما من علوم الطب ..

فالواقع ان التخدير كعلم من علوم الطب أصبح الاطباء يتخصصون فيه ولا يسمح لهم باعطائه لأى مريض إلا اذا حصلوا على دبلوم التخصص فى علم التخدير ، وليس أى طبيب يسمح له بذلك لأن التخدير مسالة تتعلق بحياة المريض . ولا مجال فيها للاجتهاد أو الخطأ والصواب كما كان ذلك منذ خمسين عاماً مضت ..



كان قدماء المصريين يستخدمون مواد مخدرة غير معروفة .

قبل العملية الجراحية

وفى الوقت الحاضر يمكن القول بأن التخدير اصبح مامونا ولا خطورة فيه على حياة الانسان .. وكل مريض قبل اجراء العملية يجرى عليه كشف دقيق بواسطة طبيب التخدير ، وقد تؤجل العملية مرات قبل السماح له بالتخدير لكى يعالج ويصبح فى وضع لا خطر منه على حياته فى التخدير ..

وكل مريض يعتبر حالة خاصة بذاته وله نظام خاص فى التخدير بحيث يكون نظامه مامونا وفعالا .

ما هو التخدير ؟

وعلى كل ، فالتخدير حالة مؤقتة من فقدان الوعى الكلى مع عدم الشعور باى الالم او احساس اخر باستخدام ادوية خاصة لهذا الغرض ..

وبانتهاء مفعول هذه الأدوية يعود المريض الى وعيه الكامل بدون أية مضاعفات ، ولذلك فهى حالة مؤقتة ..

وهذه الحالة تسمى بالتخدير الكلى الذى يتم إما عن طريق :

- استنشاق مواد مخدرة خاصة .
- أدوية مخدرة تعطى بالوريد .

وهناك التخدير النصفى باستخدام أدوية تحقن فى النخاع الشوكى بالظهر وتؤدى الى تخدير الجزء السفلى من الجسم ويظل المريض مستيقظا وواعيا بما حوله أثناء الجراحة .

اما التخدير الموضعى فيتم بحقن مواد مخدرة فى مكان الجراحة فتصبح هذه المنطقة مخدرة وخالية من الاحساس بالألم ، وهذا النوع من التخدير الموضعى يكثر استعماله فى خلع الأسنان مثلا ..

حكاية الاكتشاف

إن اكتشاف التخدير الجراحى كان اسهاماً أمريكياً عظيماً ، حيث أن «هورس ويلز» فى يوم ١٠ ديسمبر عام ١٨٤٤ جرب غاز النتروز (الغاز الضاحك) على نفسه وتم خلع ضرس له بدون ألم وبعد ذلك بدأ هذا الطبيب يستخدمه على مرضاه لخلع الاسنان بدون ألم .

وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٤٦ نجح مورتون فى خلع ضرس لمريض باستخدام مخدر آخر هو الايثير الذى قابل نجاحا أكثر من غاز النتروز من حيث قوته وفعاليته .



اجراء عملية فى المخ منذ أكثر من أربعة آلاف سنة .

● لايسمح لأى طبيب بالتخدير حتى لايتعرض المريض للاجتهاد أو الخطأ والصواب !

● ما هو الاكتشاف الذى أصبح رائدًا للأدوية المخدّرة وغير قابل للاستعال؟

وفى عام ١٨٤٧ استخدم الجراح الانجليزى «جيمس سيمبسون» كلوروفوم فى التخدير فى «ادنبرة»، وقد كوفىء على اكتشافه هذا من الملكة فكتوريا ، وقد جربت هذا المخدر فى ولادة الأمير «ليوبولد» بواسطة «جون سنو» ولذلك سمى المخدر الملكى (كلوروفورم) !

وفى عام ١٨٨٤ اكتشف البنج الموضعى «كارل كولر» طبيب الرمد النمسوى باستخدام الكوكيين ، ثم اكتشف البنج النصفى بواسطة «كورنج» فى عام ١٨٩١ .

وشهدت الفترة ما بين عام ١٨٨٠ – ١٩٣٠ تقدما ملحوظا فى الجراحة والتخدير ، وأصبح التخدير علما يدرس للاطباء وجذب اليه كثيرا من المتخصصين الذين ساهموا فى تقدمه السريع ، ومنذ عام ١٩٢٠ حتى الآن استحدثت الأجهزة المتنوعة والآلات المختلفة التى جعلت التخدير مأمونا وفعالا ، وبذلك فتح أبوابا للجراحات المختلفة التى كان لا يمكن اجراؤها إلا بتقدم التخدير اساسا لضمان حياة المريض ونجاح العملية الجراحية .

ما قبل الاكتشاف

وقد استخدمت المواد المخدرة منذ القدم ، فمثلا قدماء المصريين الذين استخدموا الجراحة وعرفوها على نطاق واسع ، كانوا يستخدمون مواد مخدرة مازالت حقيقتها غير معروفة مثل كثير من أسرار قدماء المصريين ..

أما الصينيون فقد استخدموا الحشيش (القنب الهندى) لازالة آلام الجراحة التى كانت جراحات سطحية يجريها الجراح بمنتهى السرعة وهناك عقاقير اخرى كانت تستخدم مثل الأفيون بلادونا (ست الحسن) ومشروبات كحولية مختلفة .

إمساك المريض أثناء تخديره .

كما أن التاريخ يحكى لنا وسائل بدائية متعددة كانت تستخدم مثل الخنق عند الاشوريين لاجراء عملية الختان (الطهارة) واستمرت هذه الطريقة فى ايطاليا حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ولكن استخدام المواد المخدرة بطريقة كاملة ومأمونة لمنع الألم أثناء العمليات الجراحية بدأت فى حقبة من الزمن لا تتعدى الخمس سنوات من عام ١٨٤٢ حتى ١٨٤٧ م ثم انتشرت بعد ذلك وتقدمت بخطا سريعة الى الأمام من حيث الأمان والفعالية .

تطور علم التخدير

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، دخلت أدوية «مرخيات العضلات» فى الأربعينات ، فاحدثت تطورا خطيرا فى مفهوم التخدير وهذه الأدوية تشل حركة العضلات الارادية أثناء التخدير وبذلك يمكن اقلال كمية التخدير بالاستنشاق ..

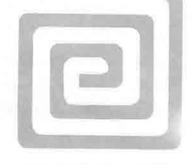
ونظرا لان هذه الأدوية تشل حركة التنفس ايضا فقد استحدثت اجهزة التنفس الصناعى اثناء العمليات الجراحية ..

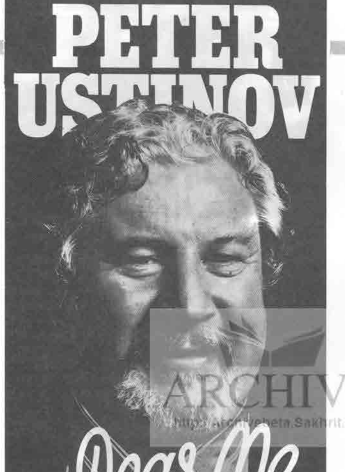
وفى عام ١٩٥٦ اكتشف مخدر بالاستنشاق شديد الفعالية عن الايثير يسمى بالفلوسين الذى اصبح رائد الأدوية المخدرة فى عصرنا هذا نظرا لانه غير قابل للاشتعال او الانفجار ، وبذلك انعدمت حوادث اشتعال غرف العمليات وحدوث الانفجارات فيها باستخدام مادة الايثير وأى مصدر حرارى فى غرف العمليات ..

ولقد استحدثت عدة طرق فى التخدير مثل التبريد وتخفيض ضغط الدم وذلك لمساعدة الجراح على القيام بعمليات داخل المخ وداخل القلب ..

والآن وفى كل مستشفى تقريبا توجد وحدة للعلاج المركز فيها احدث اجهزة التنفس الصناعى ، والكلى الصناعية ، وعلاج الحالات الخطيرة تحت اشراف أطباء التخدير الذين يجيدون هذا العمل .

عبد الفتاح الزهيرى






مع زوجتي هيلين .

عزيزي أنا

● قصة الفنان الضاحك
بيتر أوستينوف
ورحلة حياته الغريبة
.. بقلمه

مزيج غريب من الأحداث والشخصيات كان هو المركب الأساسي الذى صنع شخصية فريدة فذة : «بيتر اوستينوف» .. المؤلف المسرحى ونجم السينما والمسرح والمخرج ومصمم الديكور والأزياء .. الانجليزى المولود فى لندن ، رغم انه ينتمى إلى أصول روسية والمانية وفرنسية .. وحبشية ايضا ! وفى كتابه «عزيزى .. انا» ـ ٣٤٠



جدى الاكبر الذى عاش ١٠٨ عاما .

فى الوسط جدتى الاثيوبية الكبرى تحمل جدتى والدة أمى .



ابى واخيه يستعدان لمنصب البارون الاحمر .



ابى وطائرته فى الحرب العظمى .



صورة خطوبة جدى وجدتى – فينيسيا عام ١٨٨٥ .

كنت احب رسم الاسكتشات ومنها بورتريه لبرنارد شو .



● حاول أن يعمل في المخابرات الإنجليزية .. لكنه فشل في الامتحان لسبب غريب !

صفحة من مطبوعات بنجوين – يقدم لنا «بيتر اوستينوف» حوارا بينه وبين نفسه ، يستعرض من خلاله سلسلة من الأحداث والمواقف التى عاشها وهو يشق طريقه إلى القمة . والكتاب بهذا المعنى ليس سيرة ذاتية متكاملة ، ولكنه عبارة عن مجموعة من الصور الصغيرة التى تكون فى النهاية صورة كبيرة واحدة .. هى حياته .

●● أجداد فى كل مكان :

وما إن تفتح الكتاب حتى تطالعك روحه المرحه ، فهو يهدى كتابه إلى كل من لم يرد ذكرهم فيه .. سواء بالصدفة .. أو عن عمد !

بعدها نبدأ فى التعرف على ذلك المزيج الغريب من الأحداث والشخصيات التى صنعت حياته

كتاب الشهر

عزيزي أنا







ابنتى بافلا

وشخصيته .. لقد بدأت أمه حملها فى لينينجراد ، لكنه ولد فى لندن عام ١٩٢٠ وأبوه كان مراسلاً لوكالة الأنباء الألمانية ، واحد العوامل الرئيسية وراء اختياره لتلك الوظيفة هو ان اسمه ليس المانيا .. فالالمان لم يكونوا يلاقون ـ فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ـ المعاملة الطيبة فى أوربا ، ولذلك فان رجلا المانيا يحمل اسماً روسيا ، ومتزوج من سيدة روسية ، هو الرجل المناسب لتمثيلهم فى انجلترا !

أما إذا عدنا إلى مرحلة ابعد من تلك ، فسوف نكتشف ان احد أجداده ولد عام ١٧٣٠ فى مدينة ساراتوف على نهر الفولجا ، بينما ولد جد آخر عام ١٧٧٥ فى فينيسيا بايطاليا ، وكان جد ثالث مدرساً باحدى المدارس الريفية الصغيرة على بعد مئات الكيلومترات جنوبى باريس ، وله ايضا جد كان يعيش فى سويسرا .. إضافة إلى جد خامس عاش فى أديس ابابا ! وقد انتهى هذا الخليط العرقى المتباين إلى جده لوالده ، الذى كان ضابطا بالجيش الروسى ، ثم تقرر نفيه إلى سيبيريا وبعد ان امضى هناك بضع سنوات باع كل املاكه ، التى درت له عائداً ضخماً ، ثم قرر ان يرحل إلى اوربا لكى يستمتع بثروته . وكان «المنفى» الذى يلائم روسيا مثله هو المانيا ، واختار ان يقيم فى فورتمبرج ، وهناك منح لقب البارون بلاتون اوستينوف ، باعتبار انه نبيل روسى .

ولأن الرجل كان صاحب مزاج متقلب ، فانه سرعان مامل الحياة فى فورتمبرج ، فانتقل إلى إيطاليا لأنه يرتبط بها بوشائج عرقية قديمـة .

والصورة التى يرسمها «بير اوستينوف» لجده صورة غريبة حقا .. فهو مثلا يعتبر أن المال مجلبة للأمراض ، حتى انه كان يغسل العملات المعدنية فى ماء مطهر قبل ان يذهب لشراء ما يحتاج إليه ، اما العملات الورقية فكان لايمسك بها إلا وهو يرتدى القفاز . ورغم ذلك فانه رفض دائماً ان يضع امواله فى البنوك ، وكان يحملها معه فى كل مكان داخل حقائب اليد أو الصناديق وحقائب الملابس !

ولم تستطع زوجته ان تتحمل معاملته القاسية ، وإهماله الشديد لها ، وطباعه الغريبة فكان ان تركت له الدنيا ذات يوم .. وهربت إلى البحر .. مع بحار وقعت فى غرامه . وكانت تلك الحادثة ذات أثر بالغ عليه ، وجعلته يعيد النظر فى حياته وافكاره . وبعدها قرر الانتقال إلى «الأرض المقدسة» فى فلسطين ، لعله يتطهر من ادران الدنيا وسيئاتها ، حيث بنى له بيتا كبيراً فى يافا . وهناك التقى بابنة قسيس سويسرى عمل لفترة طويلة مبشراً فى اثيوبيا ، وكان ذلك كافياً ـ فى رأيه ـ لكى يتزوج منها وهو مطمئن إلى انه لن يكون ضحية مغامرة مؤسفة اخرى ومن هذه الزوجة انجب الرجل ثلاثة ابناء وبنتا واحدة .. من بينهم «جونا» ابو «بيتر اوستينوف» .

ولأن الجد كان قد حصل على الجنسية الالمانية ، فانه أرسل ابنيه «جونا» و «بيتر» إلى هناك ليكملا تعليمهما . ولما كانت الأوضاع فى تلك الفترة تسير باتجاه اندلاع الحرب العالمية الأولى ، فانهما وجدا نفسيهما مجندين فى الجيش الالمانى ، والتحقا بالسلاح الجوى ، حيث قتل «بيتر» خلال الحرب .

أما الجد .. فما ان شعر برياح الحرب وقد أخذت تهب ، قرر العودة إلى روسيا ليشترك مع جيشها فى الحرب ، مادام جنديا سابقا . وحينما تقدم للسفارة الروسية طالبا التصريح له بالسفر إلى روسيا ، فوجىء بأنهم يرفضون ذلك



دروماتوف وجوليبت وحديث مع هاري ترومان .



«بـو بروميل» مع روزماري هاريس ـ بيتر أوستينوف .

لتقدمه فى السن ، وعدم صلاحيته للخدمة العسكرية ، وبحكم طبيعته المعاندة اتخذ قرارا بالسفر إلى روسيا .. متسللا .. حيث انقطعت اخبـاره هو وزوجته ، وابنه الثالث وابنته ..

●● اكثر الفصول اثارة :

وبعد انتهاء الحرب عمل «جونا» مراسلا لوكالة الانباء الالمانية فى امستردام لفترة ، ثم شعر بان من واجبه ان يبحث عن اسرته التى انقطعت اخبارها .. ولكن نجاح الثورة الشيوعية فى روسيا قلب كل الأوضاع ، وجعل من سفره إلى هناك امرا صعبا . وهنا يحكى لنا «بيتر اوستينوف» مغامرة غريبة ، كانت هى الخطوة الاولى على طريق ميلاده .. فقد وجد ابوه أن الحل الوحيد لدخول روسيا هو الانخراط فى صفوف مئات من أسرى الحرب الذين يجرى تبادلهم ، وفعلا نجحت خطته فاصبح ذات يوم مع مئات الجنود العائدين .. لكنه تبين انهم يلقون معاملة قاسية للغاية لم يستطع أن يتحملها . وجاءته فرصة التخلص من تلك الظروف الصعبة اثناء نقله مع الجنود بواسطة أحد القطارات اثناء الليل .. حيث قفز منه إلى المجهول !

وباسلوب يجمع بين السخرية والاثارة يروى «اوستينوف» كيف كان صعبا على ذلك الألمانى الذى ولد فى فلسطين ان يبحث عن اسرته فى بلد تصل مساحته إلى سدس مساحة الكرة الأرضية ، خاصة وانه لا يجيد الروسية ، ولا يعرف أيضا اية معلومات مفيدة يمكن أن تكون بداية الخيط الذى يمسك به ! والمهم أن «جونا» وصل ـ فى عام ١٩٢٠ ـ إلى مدينة لينينجراد ، ووجد ان من الافضل بالنسبة له ان يستقر هناك ، حتى يتعرف على طبيعة الحياة ، ويبحث فى الوقت نفسه عن الجسر الذى يمكن ان يعبره ليصل إلى اسرته .

وفى لينينجراد بدأ «جونا» ينخرط فى الحياة ويتعرف على الناس ، ومن بينهم تعرف على اسرة غير عادية .. فالرجل ابن طاه فرنسى اعجب بطهوه وبراعته نبيل روسى فجاء به معه ليستقر فى روسيا ، وخلال إحدى رحلاته لوطنه تزوج من فتاة ايطالية .. ومن هذا المزيج الفرنسى الايطالى انجبا ابنة روسية ، شاهدها «جونا» لاول مرة فى إحدى الحفلات فوقع فى غرامها . وبعدها باسبوعين كان قد تزوجها !

فى نفس الوقت اكتشف ان والده ـ الذى كان يحاول العودة إلى صفوف الجيش ـ لم يجد من يستمع اليه حتى مات من الجوع . اما امه ـ وهى نصف اثيوبية ـ واخته «تابيثا» فكانتا مريضتين باحد السجون المحلية .. لانهما لم تستطيعا التفاهم مع رجال الجيش ، لانهما لا تعرفان الروسية ، التى لا يعرف غيرها هؤلاء . وبالطبع كان من الصعب التوصل إلى الافراج عنهما فى الظروف المتشابكة التى مرت بها روسيا فى اعقاب الثورة ، والتى ادت إلى تشديد إجراءات الأمن بشكل مبالغ فيه . ولكن الرشوة كانت هى «الثقب» الذى استطاع «جونا اوستينوف» النفاذ منه ، حيث خرجت فعلا والدته واخته ، وتمكن من إرسالهما إلى القاهرة عن طريق اسطنبول على ظهر احدى السفن .



«اوتيل صحارى» احد افلامى .

وبعد أن انتهت المهمة التى جاء من اجلها .. أصبح على «جونا» أن يغادر روسيا هو الآخر . ولم يكن هناك بالطبع سوى نفس «الثقب» ، ومن خلاله حصل على وثيقة تثبت انه جندى ، وبالتالى يسمح له بمغادرة الاتحاد السوفيتى فى إطار تبادل الاسرى ، على ان تصحبه زوجته الروسية التى تزوجها حديثا .

وهكذا انتهى اكثر فصول قصة حياة «بيتر اوستينوف» غرابة وإثارة ..

أصبح ممثلا :

وفى انجلترا عاش «بيتر اوستينوف» مع والديه حياتهما الجديدة ، بعد ان حصل والده على الجنسية الانجليزية ، وترك وكالة الأنباء الألمانية ليعمل مراسلا لاحدى الصحف الايرلندية فى لندن وفى المدرسة استهواه النشاط المسرحى ، واذهلته فى تلك السن ـ كما يقول ـ قدرة الممثلين على حفظ واداء ادوارهم ، وهو

كتاب الشهر







مع إيزولد فى الجرين بارك .

«تحت الشمس» .

سر لم يستطع أن يفهمه ، تماما كما لم يستطع فهم كيف يمكن لعازفى البيانو حفظ كل النوتات الموسيقية .

وكان طبيعيا أن يلتحق بعد ذلك بمدرسة الدراما ، رغم ان ذلك لم يكن يتفق مع احلام والده . وهناك شعر بأنه أصبح يسبح فى المياه الصالحة له . ويقول إنه كتب فى تلك المرحلة أول مسرحية فى حياته .. وكانت تجمع بين الكوميديا والميلودراما والفارس والتراجيديا فى نفس الوقت ! وكان موضوعها يدور حول عصابة من طراز عصابات شيكاغو تمارس نشاطها فى الريف الانجليزى . ورغم انها كتبت فيما لا يزيد على ١٥ صفحة ، فانها احتوت على عدد كبير من جرائم القتل .. ففى كل صفحة كان هناك قتيل واحد على الأقل ! وبعدها كتب «أوستينوف» عدة مسرحيات ، ربما كانت أفضل من تلك ، ولكنه لم ينه أيا منها ، إلا انه اكتشف عبرها انه يتوق إلى الرحيل بعيداً ..

ثم تستوقفنا حادثة هامة ، تلقى ضوءاً ساطعاً على الظروف غير العادية التى كانت تحياها أسرة «أوستينوف» فى انجلترا . فذات مساء فوجىء بوالده يقترح عليه أن يقضى الامسية فى مشاهدة فيلم سينمائى . ورغم انه تعجب من ذلك «العرض» الذى يقدمه له والده لأول مرة ، فان الفكرة راقت له . وبينما كان يهبط الدرج فى طريقه إلى السينما قابل عدداً من الرجال يصعدون باتجاه شقة والده واسترعى انتباهه مظهرهم الغامض ، وعندما عاد فى الليل لاحظ ان والده ما يزال يجلس مع اولئك الذين شاهدهم على الدرج ويدور بينهم حديث خافت ، فدلف إلى فراشه دون أن يهتم بمعرفة ما يجرى فى الغرفة الاخرى . ولكن بعد ذلك بعدة سنوات ، وخلال الحرب العالمية خطر له ان يسأل والده عن تلك الليلة واحداثها الغامضة ، فاخبره «جونا» بان احد رجال السفارة الألمانية فى لندن اتصل به فى احد الأيام وطلب منه التوسط لترتيب لقاء بين عدد من كبار الضباط الألمان والانجليز ، ويستطيع خلاله الألمان نفى ما يتردد عن استعداداتهم ، للحرب ، وذلك من منطلق انه شخص موثوق به من الجانبين وبالفعل اجرى «جونا» اتصالات بوزارة الحرب البريطانية ، امكن فى نهايتها الاتفاق على تنظيم ذلك اللقاء بشكل سرى . وبعدها جاء إلى لندن الضباط الألمان فى ثياب مدنية ، وعلى ظهر طائرة مدنية عادية ، والتقوا بالضباط الانجليز فى تلك الليلة فى منزل «اوستينوف» !

وتعود معه ثانية إلى أيام الدراسة .. لنجده قد تعرف بفتاة يقول انها ليست جميلة ، ولكن تحيط بها هالة من الغموض الخاص ، الذى اجتذبه إليها ، وجعله يحرص على الجلوس بجوارها خلال الدروس .. أو على الاقل بالقرب منها .. وبسرعة نمت بينهما علاقة وطيدة خاصة بعد ان اكتشفت انها مثله .. تتوق إلى الرحيل بعيدا .. فقد كانت «ايزولد» ابنة الكاتب المسرحى «رينالد بينهام» تعيش ظروفا عائلية صعبة ، نظرا لوجود خلافات شديدة ومستمرة بين والديها . وهنا ادرك ان عليه ان يعمل مادام يفكر فى تكوين اسرة .

وأتيحت له الفرصة ليشترك فى عمل مسرحى ، حيث ظهر فى دور صغير فى مسرحية «تشيكوف» الخال فانيا ، على خشبة مسرح صغير فى شيرى . ويقول «بيتر اوستينوف» إنه اشترى غليونا ، ثم استقل سيارة اجرة للمرة الأولى فى حياته واتجه إلى محطة القطار فى طريقه إلى المسرح ! وكانت تجربة مثيرة أن يواجه جمهورا كبيرا ، حيث تحملق فيه كل العيون ، وتتابع حركاته وكلماته .. ولكنه اجتاز «المحنة القاسية» بنجاح ، وفى الليلة التالية كان أداؤه أفضل .

اما المسرحية الثانية التى ظهر فيها فكانت من تاليف الأديب الأسبانى «جارثيا لوركا» «وهى مسرحيته «ماريانا بينين ١» التى كانت تقدم لأول مرة فى إنجلترا ، واخرجها «جون بوريل» وفيها أدى دور قائد البوليس الأسبانى الفاسق ورغم صعوبة المسرحية فانه استطاع إثبات وجوده ، فكان أن كتبت عنه

● هتلر كان السبب في تأجيل أول مسرحية يشترك فيها اوستينوف



مع كيرك دوجلاس فى فيلم «سبارتاكوس» .

صحيفة تايمز تمتدح اداءه ، وقالت إنه ادى دور «بيدروسا» بشكل طيب . ويقول إن ذلك كان بالنسبة إليه حدثاً رائعاً لم يكن يتخيله ابداً ! واثناء عرض المسرحية ــ الذى استمر لمدة اسبوعين ــ تعرف «اوستينوف» على «تشارلز لوتون» الذى أعجب بما قدمه الممثلون الصغار ، ودعاهم ذات مرة لتناول الشاى فى منزله

●● العمل بالمخابرات !

وبعد عامين امضاهما فى مدرسة الدراما خرج «بيتر اوستينوف» ليواجه العالم ، وهويبحث عن فرصة يبدأمنها حياته كممثل محترف ، فكتب إلى عدد من المخرجين .. دون أن يتلقى رداً واحداً ، وبدا له أن كل الابواب مغلقة فى وجهه . وإذا به يتلقى عرضاً للاشتراك فى تمثيل إحدى المسرحيات الكبيرة ، ولكن كبديل للنجم جـورج ديفين» .. فقبله فوراً .. وقرر أن يقوم برحلة خارج بريطانيا عندما ينتهى العرض ويقبض مرتبه . ولكن «ادولف هتلر» ــ أو «استاذ الدراما» كما أسماه ــ فاجأ العالم بأفعاله ، حتى قبل أن يبدأ بروفات المسرحية .. فتقرر صرف النظر عنها !

وكان اندلاع الحرب العالمية الثانية ــ ١٩٣٩ ــ سبباً فى أن يكره «جونا اوستينوف» المانيا و «أدولف هتلر» شخصياً لأنه خدعه ، كما كان سبباً فى محاولة فعل أى شىء لخدمة انجلترا ، لأثبات انه اصبح انجليزياً قحاً ، ولم تعد تربطه بالمانيا اية روابط . ولعل اغرب خطوة اقدم عليها فى هذه الناحية هى انه حاول ان يلحق ابنه «بيتر»



رومانوف وجولييت اخيرا رئيسا البلدي

بالمخابرات الانجليزية ، ورتب له فعلاً لقاء لاختباره مع احد عملاء المخابرات .. فكان على «بيتر» أن يذهب إلى إحدى محطات مترو الأنفاق ، حيث يجد شخصاً يقرأ فى صحيفة نيوز كرونيكل ، فيتقدم منه ويساله عن الطريق إلى ميدان ايستون .. وعندها سيساله الرجل عن اى رقم يسال ، وعندما يقول رقم تسعة سياخذه الرجل فى جولة يتبادلان الحديث خلالها .

وخلال هذه الفترة اضطر «بيتر اوستينوف» للعمل فى احد الملاهى ، الذى يحمل اسم «مسرح البلايرز» ، حيث يقدم مقاطع من بعض المسرحيات ، مقابل خمسة جنيهات كل أسبوع . وبعد فترة بدأت لندن تستعيد نشاطها رغم الحرب واخذت الفرق المسرحية تتحرك ، فعمل ــ للمرة الاولى ــ على مسارح لندن ، وتحسنت اوضاعه المالية .. فتزوج من «إيزولد» وبدأ حياته معها ، بينما لم يزد عمر كل منهما على التاسعة عشرة .

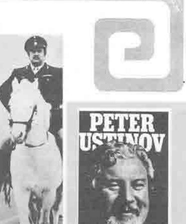
أما طريقه السينمائى فقد بدأ السير فيه ابان نفس الفترة ، حيث اشترك فى فيلم وثائقى اسمه «جريمتى» ومثل فيه شخصية «فان ديرلوب» الألمانى الذى قام بحرق مبنى الرايخستاج . وكان فيلمه الثانى بعنوان «مرحباً بالشهرة» . ثم اشترك بعده فى فيلم جيد ، هو «إحدى طائراتنا مفقودة» ، الذى اخرجه «ميشيل بويل» ، واشتركت فيه مجموعة من الممثلين الانجليز المعروفين ، وادى فيه دور قسيس المانى . وعقب ذلك اشترك فى فيلمين ، أولهما هو «دع الناس تغنى» ، وقدم فيه شخصية عالم تشيكوسلوفاكى ، أما الثانى فكان كوميديا ، وأدى فيه دور تلميذ فى إحدى مدارس التجسس النازية .

ثم بدأ الهجوم الالمانى المكثف على انجلترا ، فانحسر النشاط الفنى وتوقف ، وعاش «اوستينوف» من جراء ذلك فى ازمة مالية حادة .. لم ينقذه منها إلا استدعاؤه للجيش !

●● الهجوم على روسـيا .. وظهور مؤلف جديد !

وفى شهر يناير عام ١٩٤٢ تلقى «بيتر اوستينوف» استدعاء للانضمام للجيش ، وفعلاً انضم إلى إحدى وحدات المشاة يوم ١٦ يناير ، ليبدأ سلسلة جديدة من الاحداث . ويقول إنه كان قد انتهى من كتابة احدى مسرحياته قبل انضمامه للجيش قبل عدة أسابيع ، وسلمها إلى احد النقاد ليبدى رايه فيها وملاحظاته حولها . ولكن مر الوقت دون أن يفاتحه الرجل فى الموضوع ، مكتفياً بالابتسام كلما لقيه ، فادرك أن المسرحية لم تعجبه ، ومن ثم نسيها .. حتى جاء يوم تاريخى غريب .. وهو الثانى والعشرون من يونيو عام ١٩٤٢ .. فقد أعلن فيه أن «هتلر» قام بمغامرة جديدة حيث غزا الاتحاد السوفيتى واثار النبأ اهتماماً بالغاً فى كل مكان ، باعتباره نقطة تحول فى

- لماذا يتذكر دائما تاريخ غزو هتلر للاتحاد السوفيتي؟
- النجاح يفتح الطريق دوامًا أمام النجاح
- أشياء كثيرة يجهلها أوستينوف عن نفسه!



فى فيلم فيفا ماكس

مسيرة الحرب . وفى المساء جلس الجندى «بيتر اوستينوف» فى وحدته العسكرية يطالع أنباء الغزو فى صحيفة سانداى تايمز . وبعد ان انتهى اخذ يقلب فى الصحيفة ، فاستوقفه مقال بعنوان : مؤلف مسرحى جديد ، كتبه الناقد المعروف «جيمس اجات» ، وكانت المفاجاة هى ان المقال عنه وعن مسرحيته ويقول إنه لا يستطيع وصف السعادة التى شعر بها ، والتى دفعته لقراءة ذلك المقال عشر مرات .. ولذا ــ كما يقول ــ فانه لا يمكن ان ينسى ابدا تاريخ غزو «هتلر» للاتحاد السوفيتى .

وعرضــــت مسرحيتـــــه « بيت الاعتذارات» ــ التى امتدحها «اجات» ــ يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٤٢ فى لندن ، وأخرجها «اليك كلونيس» على مسرح الفن ، وحققت نجاحا كبيرا ، كما حظيت بتقدير النقاد بصورة لم يكن يتوقعها ، حتى أن جريدة الدايلى ميل قالت إنها افضل مسرحية عرضت خلال فترة الحرب العالمية كما اجرت معه الصحيفة لقاء مصوراً ، وبعدها صدرت فى كتاب . ومن الاحداث الطريفة التى يرويها «بيتر اوستينوف» عن تلك المسرحية ، انه ذهب ذات ليلة خلال إجازة من الجيش ــ لمشاهدة المسرحية ، وبعد العرض استدعاه الممثلون ليكون معهم على المسرح عند تحية الجماهير . وعندما عاد إلى وحدته فوجىء بتوقيع عقوبة عليه لظهوره على المسرح مع الممثلين .. وهو مالا يليق برجل عسكرى !

ولحسن الحظ نقل «اوستينوف» إلى وحدة اخرى قبل تنفيذ العقوبة . وكانت الوحدة الجديدة هى وحدة الخدمات السينمائية بالجيش ، التى كانت تضم مجموعة من الفنيين والفنانين السينمائيين الذين يخدمون بالجيش وبالطبع فان الجو فيها كان مختلفا تماما عن الجو العسكرى .. فالجميع فنانون .. ولهم نفس الطموحات والأحلام .

والتحق ثانية بوحدة الخدمات السينمائية ، فاشترك مع النجم «دافيد نيفين» ــ الذى كان مجندا ايضا ــ فى تصوير فيلم عن الجيش والمعارك التى يخوضها وكان مركز العمل فى الفيلم احد فنادق لندن الكبيرة ، وبمنتهى السهولة كان النجوم وكبار الفنيين المشاركون فى الفيلم يدفعون يدفعون مبالغ كبيرة كل يوم لقاء الطعام والشراب الذى يطلبونه من الفندق ، وهو شىء لم يكن ، النجم الصاعد «أوستينوف» يستطيع ان يفعله .. وهداه تفكيره إلى أن يبيع تمثالا للفنان «رودان» ، لكى يستمتع ــ مثل زملائه ــ بتناول الطعام والشراب فى الفندق . ورغم انه لم يحصل إلا على ستين جنيها ثمنا للتمثال الثمين ، فان المبلغ كان كافيا لشراء كل ما يريد .. مثل الفنانين الكبار . والطريف انه خلال وجوده بالولايات المتحدة ، بعد الحرب بعدة سنوات ، وجه له «دافيد نيفين» الدعوة لزيارته فى منزله بهوليوود وهناك لاحظ وجود التمثال .. وعندما سال «نيفين» من أين اشتراه ، اجابه وهو يبتسم فى سعادة : إنها واحدة من أحسن الفرص التى سنحت لى ، فلم أدفع فيه سوى خمسة وستين جنيها عندما أشتريته من أحد محلات لندن الصغيرة أثناء الحرب !

●● «نيرون» فى ايطاليا :

وانتهت الحرب بكل احـــداثها ، فاصبحت الظروف مناسبة لكى يستانف «بيتر اوستينون» نشاطه ، بعيداً عن الملابس العسكرية ، وما فرضته عليه من قيود كثيرة .

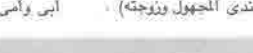
وفى سن الثامنة والعشرين اتيحت له فرصة رائعة ، حيث فتحت امامه أبواب السينما الامريكية .. فقد رشحته شركة مترو جولدين ماير لتمثيل شخصية «نيرون» ، فى فيلم «كوفاديس» الذى قررت إعادة إنتاجه . وذهب لأداء اختبار فى الأداء أمام المخرج المعروف «جون هوستون» ، وبذل كل جهده لاثبات قدراته ، فكان أن نجح .. ولكنه فوجىء ببعض المشكلات التى ادت إلى تاجيل العمل فى العمل فى الفيلم لمدة عام .. ولذلك عندما وصلته برقية من الشركة تخطره باختياره للدور وموعد التصوير فى ايطاليا ، قرر ــ احتفاء بتلك المناسبة ــ شراء سيارة جديدة لأول مرة فى حياته ، بعد ان كان يركب سيارة مستعمله . وبالسيارة الجديدة قام بجولة رائعة عبر أسبانيا وفرنسا وايطاليا فى الطريق إلى روما لبدء التصوير .

وهناك التقى بالمخرج «ميرفين ليروى» قبـل التصوير ببضع ساعات فقط ،

وتقرر أن يذهب «أوستينوف» إلى اوبرا روما ، لكى يتلقى ثلاثة دروس فى الغناء الأوبرالى ، قبل أن يغنى المرثية التى يرددها «نيرون» بينما روما تحترق . وفوجىء بان المدرب يسخر من فكرة




أنا وابنى .



فى (الجندى المجهول وزوجته) .

أبى وأمى .

الدروس الثلاثة ، مؤكدا له أن الأمر يحتاج إلى ثلاث سنوات على الأقل .. وربما يثمر بعدها التدريب .. وربما لا ! وبالطبع لم تكن هناك فرصة إلا لتلك الدروس الثلاثة

وبعد انتهاء العمل فى «كوفاديس» عاد إلى لندن وهو يشعر بأنه أضاف الشىء الكثير إلى خبراته ، خاصة وأنه أمضى خمسة أشهر فى روما . تلك المدينة ذات النكهة الخاصة .

●● بين الواقع والخيال :

وفى لندن شرع «بيتر أوستينوف» فى كتابة مسرحية جديدة بعنوان «حب الكولونيلات الأربعة» ، واستوحى أحداثها من الحرب . والكولونيلات ينتمى كل منهم إلى احدى دول الحلفاء : أمريكا ـ انجلترا ـ فرنسا ـ الاتحاد السوفيتى . وفى الفصل الأول يبدون لنا رجالا واقعيين تماما فيهم تجتمع مشاعر السخط والطموح ... ثم يبدأ الشر فى إغرائهم .. وهنا يبدأ الفصل الثانى ، فنجدهم فى القصر المسحور ، وكل منهم يحاول التقرب إلى أميرة القصر «الجمال النائم» بطريقته ، فالانجليزى يستخدم رومانتيكية العصر السليزابيثى ، بينما الفرنسى يتحول إلى ماركيز من القرن السابع عشر ، أما السوفيتى ـ وهو رجل فظ ـ فانه يصبح واحدا من ضباط القيصر بزيه الموشى بالقصب ، والأمريكى الذى يتناول باستمرار العديد من الأقراص ، ويبدو متوتر الشخصية ، فيتحول إلى أب لطيف يرتدى زيا عسكريا وفى الفصل الثانى يرى الأربعة زوجاتهم ، اللاتى وصلن لزيارة أزواجهن .. وهنا يصبح على كل كولونيل أن يختار بين الواقع والخيال .. ويختار الرومانتيكيان ـ وهما الأمريكى والفرنسى ـ أن يبقيا فى القصر يداعب كلا منهما حلم أن تحبه الأميرة ، بينما يقرر الروسى والانجليزى العودة للواقع ، ايمانا بأن المثالية انتهى زمنها ، ولا يمكن أن تعود ثانية .

وقد عرضت المسرحية فى شهر مايو عام ١٩٥٧ على مسرح ويندهام بلندن ، وتعد أول نجاح كبير يحققه «بيتر أوستينوف» ، بينما يرى هو أنها علامة على نضوجه ، وتقدمه فى السن ، كما عرضت المسرحية فى نيويورك وأخرجها «ريكس هاريسون» الذى قام أيضا ببطولتها بالاشتراك مع «ليلى بالمر» ، وعلى الرغم من أنها لم تعرض هناك لفترة طويلة ، كما عرضت فى لندن ، فانها لقيت نجاحا كبيرا ، وفازت بجائزة النقاد لأحسن مسرحية غير أمريكية لعام ١٩٥٣ . أما فى باريس فقد عرضت لمدة ست سنوات ، كما عرضت فى ألمانيا الغربية وهولندا والنرويج .

ويبدو أن النجاح يفتح دائما الطريق أمام مزيد من النجاح .. فقد عرض فى نفس الوقت فيلم «كوفاديس» ، ورشح «أوستينوف» لجائزة أحسن ممثل مساعد ويقول هو إن الرياح أخيرا أصبحت مواتية بالنسبة لسفينته .. فانتقل إلى منزل جديد ذى حديقة جميلة ، وكثيرا ما أمضى فيها وقت الفراغ مع كتبه واسطواناته ، وكانت أمه تأتى كثيرا للاقامة معه لبعض الوقت ، بعد انفصاله عن «ايزولد» .

ومع توسع أعماله ونشاطاته ، ونظرا للازعاج الشديد الذى انتابه من رجال الضرائب الذين كانوا يطاردونه باستمرار ، أنشأ شركة لادارة أعماله ، عين فيها والده ، ولكنه كان بعيدا تماما عن ذلك الجو الغريب عليه ، والذى لا يتناسب مع شخصيته وطبيعته وأسلوب حياته ، وبدا فى الواقع أن «بيتر» هو الأب ، و «جونا» الذى يحاول أن يكون مفيدا .. هو الابن !

وفى تلك الأثناء أصبحت حياة «بيتر أوستينوف» أكثر هدوءا وانتظاما لكنها لم تصبح أكثر استقرارا ، وأخذ يشك فى أنه يصلح للزواج ، على الرغم من ادراكه لحقيقة أنه لا يستطيع الاستمرار فى حياة العزوبة .. فالنجاح والسعادة والمال تبدو غير كافية ، والعزلة ضرورية للكاتب لعملية الابتكار والخلق ، لكن الوحدة شىء قاس .. الوحدة بين الناس .. ووسط المرح والبهجة .

وذات يوم ، وفى احدى المكتبات شاهد فتاة جميلة على غلاف احدى المجلات ، ولفرط اعجابه بالفتاة اشترى المجلة ، ثم ذهب إلى المسرح . وكانت المفاجأة أن ناشره الفرنسى جاءه بعد قليل .. ومعه نفس الفتاة ، وطلب منه العناية بها لأنها جاءت للاقامة فى لندن ، بينما هو مضطر للعودة إلى فرنسا .. وانتهى الأمر بزواجه من «سوزان» ، ثم رحلا معا إلى الولايات المتحدة لتصوير فيلم فرعونى سخيف .. لم يستطع هو نفسه مشاهدته عندما بدأ عرضه ! وعقب انتهاء العمل فى ذلك العمل اشترك فى فيلم «لسنا ملائكة» .

وبسبب الضرائب الباهظة فى انجلترا ، والتى لا تعنى بدور الكاتب ومشاعره ، وترغمه على أن يكدح لكى يعطى الحكومة معظم نتاج كدحه .. قرر النزوح إلى سويسرا .

وينتهى الحوار بأن يعترف «أوستينوف» بأنه حقق مزيدا من التعرف على نفسه .. لكن ما تزال هناك أشياء أخرى كثيرة يجهلها !

عبـــاس خضـــر

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

احيانا يكون الكاتب ملهما كانما يستمد الكلمات من ربه ... خصوصـــا عنـــدما يكـــون الحديـــث عـــن شـــخصه .

«اناتول فرانس»



كامل كيلانى .



ابو زيد الهلالى .

انهمكت فى قراءة قصص الهلالية ، وعشت فى جوها زمنا ، وانا صبى صغير لم اجد امامى ما يقرأ بخلاف المصحف الشريف غيرها . رأيت عند أبى كتباً لم افهم فيها شيئاً وقتذاك . ولما كبرت وفهمت عجبت .. كيف وقعت هذه الكتب لأبى وهى فوق مستواه ، فهو لم يجاوز فى التعليم مرحلة كتاب القرية الذى تعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من سور القرآن وآياته .

كتاب «الرحلة الحجازية» لأمين سامى وكتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين . وكتاب «اعلام الناس فيما جرى للبرامكة من بنى العباس» وغيرها .

ومعقول أن يكون عند أبى بعض كتب الفقه على مذهب الامام مالك الذى يسير على مقتضاه ، فى تدينه ، وهو قد اختلط بابناء القرية الذين «جاوروا» فى الأزهر . وأبى لم «يجاور» ولكنه استفاد من المجاورين العائدين استفاد منهم علماً وقدرة على قراءة كتبهم الأزهرية وفهم محتوياتها الى حد ما .

أما كتاب «المرأة الجديدة» مثلا فاكبر الظن انه اقتناه مجرد اقتناء ولم يقرأ فيه شيئاً ، وإلا لأحرقه وما ابقاه عنده ... فالمرأة عنده ـ اى عند ابى ـ شىء آخر مختلف جداً عن المرأة الجديدة التى يرمى اليها قاسم أمين .. انها حريم وكيف تخرج عن الحريم .. ؟

تركت ذلك كله ولم التفت إلا إلى قصص بنى هلال ، ثم قصة عنترة بن شداد التى رأيتها عند احد اقاربنا فاستعرتها منه ولم أردها اليه ..



عنترة بن شداد .

أبطال عظام وفرسان كرام : أبو زيد الهلالى ، والزناتى خليفة ، وعنترة بن شداد . لاقوا فى حياتهم وفى سبيل أهدافهم ما لاقوا .. تغلبوا على كل من اعترض طريقهم وحققوا أهدافهم التى رموا اليها ، وكلها خير وانسانية وعزة وكرامة .

احببت أولئك الأبطال كل الحب . وطالما فرحت بانتصاراتهم وفتكهم باعدائهم أعداء الخير والانسانية .

ولما كبرت وقرأت عن الأدب الانسانى كان معناه قد قر فى نفسى وإن كان يبحث عما يبلوره ويعبر عنه ، قضية اللون والحرية تبناها عنترة من قديم وسبق فيها أعلام الأدب الزنجيين الأمريكيين المعاصرين الذين يردد العالم الآن ذكرهم.

وقرأت الشعر الذى تشتمل عليه ملحمة عنترة ، بعضه ينسب اليه ، والكل ولا شك من وضع المؤلف المجهول الذى ألف سيرة عنترة . وهو شعر سهل ميسور الفهم لناشىء صغير مثلى ، كما كان مثل هذا الشعر فى قصص الهلالية ، وهو يأتى عندما يحسن أن يؤتى به فى المواقف التى تتطلب الشحنات الوجدانية . واعتقد ان هذا فن ملحمى أكثر فنية من الملاحم اليونانية القديمة

ثم التقيت بعنترة الشاعر الفحل فى تاريخ الأدب العربى ، ورأيت شعره هنا

● أحببت أبطال السيرة الشعبية لانتصارهم على أعداء الخير والإنسانية
● كيف كانت دراسة العلوم في الأزهر غاية في الغرابة؟

● كانت القصص ذات الاتجاه الواقعي المحكم تتسلل إلينا على حذر





قاسم امين

يختلف عن شعره هناك . هناك فى الأدب الشعبى الذى يخاطب الجماهير على الربابة وبدونها ، فتفهم الجماهير ما يعنيه ، وتردده فى مناسباته .

كان ذلك اول ما قرات ، لم ار مجلات للأطفال ولم ار الكتب التى كان يضعها للصغار كامل كيلانى وغيره . لم ار هذه إلا بعد ان كبرت وشببت عن الطوق ، واذا كنا نشكو الآن من ان التاليف للأطفال عندنا لا يزال ضعيفاً وغير كاف فاكثر الله خير الدنيا .. فهو شىء عظيم بالنسبة لما كابدناه فى طفولتنا .

بلغت سن الرابعة عشرة وانا لم اتعلم غير مجرد القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم او ادعاء حفظه .. فانى لم احفظه تماماً لأنى كنت اغافل «سيدنا» الأعمى واضع المصحف فى حجرى مفتوحاً على ما اسمعه له ..

ولا ادرى كيف استطعت ان ابدا تعلمى فى الأزهر ومواجهة العلوم المقررة بقدرة قادر بدات اصغى وافهم ما يقوله الشيخ فى شرح «الكفراوى» على متن «الأجرومية» فى النحو ، بدات فى هذه المرحلة افتح عينى على عالم جديد فى الأدب ، يتمثل فى ابيات الشعر التى يستشهد بها كتاب النحو فيما يشذ عن القواعد وما يطابقها . كنت اتلهف الى سماع الشيخ وهو يشرح هذه الأبيات وكانه يذيب الشراب المركز فى الماء المثلج وانا اشرب هنيئاً مريئاً .

وانهمكت فى هذه الدراسة التى كانت تشمل علوما حديثة كالحساب والجغرافيا والتاريخ الى جانب العلوم الأزهرية القديمة كالفقه والنحو والتوحيد . كنت مشتاقا الى العلم

الواقع ان دراسة العلوم الحديثة فى الأزهر فى ذلك الوقت كانت عجيبة ، كان يدرسها لنا ازهريون تخرجوا حديثاً ، وقليلا ما كان يوظف فى ذلك بعض الأفندية من خارج الأزهر . والذى يسترعى الانتباه ان المؤلفين الذين الفوا فى هذه العلوم الحديثة ــ كانت حديثة إذ ذاك ــ كانوا من المتخصصين فى تعليمها بالمدارس المدنية ، منهم محمد ادريس بك مؤلف كتب الحساب ــ مسلك هؤلاء المؤلفون فى تاليفهم لطلبة الأزهر مسلك التاليف الأزهرى ، واعتقد انهم أرادوا أن يخاطبوا عقول الأزهريين بما يناسبهم ، مثلا فى علم الحساب : كان حفظ القواعد غالبا على حل التمرينات والمسائل .

وترامى الى علماء الأزهر «الحديثين» أن هناك وسائل ايضاح فى علم التربية تشوق الطلاب الى الدرس ، فكان شيخ الجغرافيا يبدأ الدرس هكذا : «لو مت وصلوا علي ودفنونى لقامت عظامى من قبرها وقالت : افريقيا تحد من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط .. الخ» .

وكنا نتلقى كل ذلك بسذاجة ، ونقرا كتبه ونحفظه ، ونحن نحسب ان هذا هو العلم ..

والواقع أن العلم كان حقاً فى العلوم الأزهرية القديمة ، أما هذا الذى يدرس لنا فى العلوم الحديثة فقد اتسعت افاقنا وعرفنا انه شىء يدعو الى الضحك والسخرية !

كان اقرب شىء الى نفسى من تلك العلوم ، قديمة وحديثة ، هو النحو اى قواعد اللغة العربية ، واكثر شىء يحببنى فى كتبه القديمة الشعر الذى تاتى به للاستشهاد على صحة القاعدة او على ما يشذ عنها . وهناك اشياء ــ غير الشعر ــ كنا نحفظها فتكون بمثابة جدول الضرب فى الحساب .. مثل «فائدة ما بعد اذا زائدة» ومثل : سال الطلاب شيخهم عن حروف الزيادة فقال لهم «سالتمونيها» فجمع حروف الزيادة فى قوله : سالتمونيها ..

استغرقت فى قراءة كتب الدراسة الأزهرية استغراقا .. كنا على مقتضى الطريقة الأزهرية القديمة القويمة نقرا الدرس قبل ان نتلقاه من الشيخ فنفهم منه ما نستطيع ان نفهمه ، ونتشوق الى فهم الباقى العويص من شرح المدرس . وقد تدفع «الشقاوة» بعضنا الى ان يقرا «الحاشية» وهى الكتاب المطبوع على هامش الشرح ، وهذا شرح للمتن .. اى ان المجلد كان يحتوى على ثلاثة كتب مجتمعة فى الصفحات : المتن والشرح والحاشية ــ يقرأ الطالب «الخبيث» الحاشية بحثاً عن اشكال او اعتراض

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

يسوقه فى الدرس معترضاً على الدرس . فاذا كان هذا عالماً بحق ابتسم واجاب بما اجابت به الحاشية نفسها ، وإن كان من الكسالى الذين لا يقرؤون ولا يبحثون شتم الطالب ، وقد يلعن اباه والبلد الذى قذفه !

ثم تطلعت الى أن اقرا كتبا اخرى غير الكتب المقررة فى الدراسة ، ولم اكن أستطيع الشراء .. فالقروش التى تتاح لي لا تسمح بشراء اكثر من الكتب المقررة الى جانب النفقة الضرورية .

عرفت أن هناك شيئاً اسمه دار الكتب المصرية وان الانسان يستطيع أن يذهب اليها ويقرا ما يحب من كتب ... وفعلت ، بدات بقراءة الروايات المترجمة والمؤلفة البوليسية والغرامية . وكانت كلها من النوع الرومانسي المغرق فى الخيال ، إذ كان هذا اللون من القصص هو السائد فى ذلك الوقت ، وكانت القصص ذات الاتجاه الواقعى تتسلل الينا على حذر وفى قلة ، سواء فى مجال الترجمة او التاليف .

طالما عشت مع أبطال تلك الروايات ، وبكيت مع الباكين منهم ، وكان معظمهم باكين .. وكنت اخرج من عالم البكاء الى عالم المغامرات مع القصص البوليسية ، وخاصة قصص «ارسين لوبين» اذ أعجبت بهذه الشخصية التى تكاد تاتى بالمعجزات ، واثر فى بصفة خاصة الاتجاه الانسانى الذى يتلخص فى كلمة «اللص الشريف» ذلك الذى ياخذ من الاغنياء ويعطى الفقراء ، ولم التفت كثيراً الى أن الاخذ من الاغنياء هنا كان بطرق مخالفة للقانون .

ولما أوغلت ـ بعد ذلك ـ فى قراءة الأدب العربى رايت مغامرات «الصعاليك» تقوم على فكرة «اللص الشريف» وذلك بالسلب والنهب من القادرين والانفاق على المحتاجين .

الخير فى الناس او فى بعضهم من قديم ، وسيظل كذلك ، ولن ينقطع ، ولن ييأس الانسان من الخير مهما كان من أمور مصيرها كمصير السحاب الذى تذروه الرياح فتشرق الشمس .

عباس خضر

من الشعر الضاحك

الشاعر المعلم



كتب شاعر فلسطين الكبير المعروف المرحوم ابراهيم طوقان هذه القصيدة يعارض فيها قصيدة شوقى المعروفة عن «المعلم» والتى يقول فيها :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

وفى هذه القصيدة الساخرة يقول ابراهيم طوقان الذى كان يعمل بالتدريس عند كتابته لهذه القصيدة :

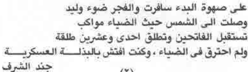
شوقى يقول وما درى بمصيبتى
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
اقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد يقلقنى الأمير بقوله :
«كاد المعلم ان يكون رسولا»
لو جرب التعليم «شوقى» ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة
مراى «الدفاتر» بكرة واصيلا
مئة على مئة إذا هى صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان فى «التصليح» نفعا يرتجى
وأبيك ، لم اك بالعيون بخيلا
لكن اصلح غلطة نحوية
مثلا ، واتخذ «الكتاب» دليلا
مستشهداً بالغر من آياته
أو «بالحديث» مفصلا تفصيلا
واغوص فى الشعر القديم فانتقى
ما ليس ملتبسا ولا مبذولا
واكاد ابعث «سيبويه» من البلى
وذويه من اهل القرون الأولى
فارى «حمارا» بعد ذلك كله
رفع المضاف اليه والمفعولا
لا تعجبوا إن صحت يوما صيحة
ووقعت ما بين «البنوك» قتيلا (١)
يا من يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلا !

(١) البنوك : معناها مقاعد الدراسة .

المسافة

شعر حبيب الصايغ

البحرين



على صهوة البدء سافرت والفجر ضوء وليد
وصلت الى الشمس حيث الضياء مواكب
تستقبل الفاتحين وتطلق احدى وعشرين طلقة
ولم احترق فى الضياء ، وكنت افتش بالبذلة العسكرية
جند الشرف

(٢)

عبرت المسافة فى لحظتين .. رفعت يدى احيى الجماهير
وهى تردد حلو الهتاف .. امثل مثل النجوم الكبار ،
وأركع .. أسجد .. أركب سيارة خصصتها الضيافة
ليس لها رقم أو علامة
أشق الشوارع شقا .. شوارعهم مثل ورد البنفسج والفل
والفضل يرجع للسيد المستنير الرئيس على البلدية
شبل الكرامة

وراعى الشهامة
عدو القمامة

(٣)

عبرت المسافة والفجر ضوء وليد
ولكننى ما عبرت النفاق ، ولكننى ما نسيت القمامة
تذكرت درس الحساب واتعبنى جدول الضرب ، والضرب
يوم الحساب

لقد علمونا على الرغم منا ، وقالوا لنا :
«اثنان فى خمسة .. عشرة .. عشرة فى ثلاث تساوى
ثلاثين» .. يا لضياع الطفولة
ما علمونا بأن النفاق يساوى القمامة
وفى القصر حيث نزلت أتانى صبى القمامة فى
يده المكنسه

ولم أكترث للصبى الرقم
ومن عادتى اننى أرفع الأنف فى حضرة الجند والبسطاء
الخدم

تأملته ثم تمتمت .. من انت ؟ .. ماذا تريد ؟
مددت يدى اليه بقطعة نقد ، فراح يئن
وراح يردد حلو الهتاف
وما كان يهتف من اجل رفعة انفى المعظم ..
لكنه كان يهتف من أجله هو ..
من أجل أفواه أولاد الفقراء .

(٤)

تذكرت صوت بلال .. انين ابن ياسر عمار ..
بين الأنين وبين الصبلح هتاف ، واحضرت مسطرة
قست فيها المسافة بين أنين الفقير وأنف الغني ..
رايت اباذر يحتل طول المسافة يحمل لافتة كتبت
بالدماء

وأدركت أين الرقم
وأبصرت معنى العلامة
وأدركت أن النفاق يساوى القمامة



نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

الجورنيكا
تعود إلى وطنها



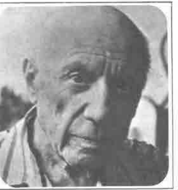
اهوال الحرب الأهلية الاسبانية فى لوحة بيكاسو الشهيرة «الجورنيكا» التى رسمها عام ١٩٣٧

لوحة بيكاسو الشهيرة «جورنيكا» التى رسمها فى باريس عام ١٩٣٧ اصبحت خلال الشهور الأخيرة محوراً لمناقشات حامية . المعروف ان هذه اللوحة تصور اهوال الحرب الاهلية الأسبانية حين تعرضت مدينة جورنيكا باقليم الباسك بشمال اسبانيا لغارة جوية عنيفة من جانب قوات فرانكو الفاشية تركتها اشلاء وحطاماً وتبدو فى اللوحة اشلاء الرجال والنساء وقد اختلطت بأجساد الحيوان وحطام المبانى . وقد أرسلت اللوحة الأصلية فى عام ١٩٣٩ الى متحف الفن الحديث بنيويورك لتحفظ هناك بسبب قيام الحرب العالمية الثانية .

وبعد انتهاء الحرب أعلن الرسام بيكاسو ان هذه اللوحة تخص الشعب الأسبانى ، وطلب عدم اعادتها الى أسبانيا الى أن تتخلص من الحكم الفاشى وتعود مرة أخرى جمهورية ديمقراطية ، ونص عند اعادتها أن تذهب الى متحف برادو بمدريد .

وعندما مات فرانكو فى عام ١٩٧٥ بعد سنتين على وفاة بيكاسو بدأ التفكير فى إعادة اللوحة إلى اسبانيا ، ولكن ورثة بيكاسو ومحاميهم رولاند روماس أثاروا اعتراضات ، ولكن الكونجرس الاميريكى قرر فى مايو ١٩٧٨ ان اللوحة ينبغى اعادتها الى «الشعب الأسبانى وحكومته الديمقراطية» وبعد ١٤ شهرا من هذا القرار منح شعب الباسك الحكم الذاتى وصدر دستور ديمقراطى جديد فى أسبانيا ، ولم يلبث أن أعلن بعد ذلك ان لوحة جورنيكا فخر الفن الأسبانى الحديث سوف تعبر الاطلنطى مرة أخرى فى أوائل عام ١٩٨١ لتعود الى وطنها الأصلى اثناء الاحتفالات التى ستقام فى أسبانيا بمناسبة مرور مائة عام على مولد بيكاسو .

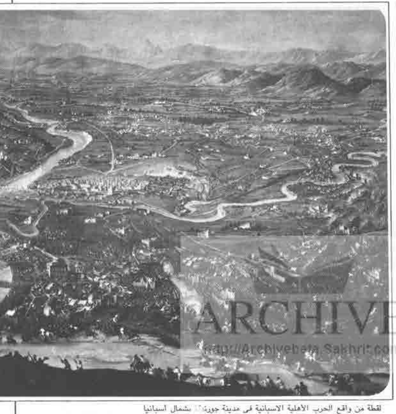
وعلى اثر ذلك ثار خلاف حام بين الأسبان حول المكان الذى ينبغى أن تستقر فيه اللوحة ، فقال سكان «مالاجا» ان بيكاسو ولد فى مدينتهم ويجب ان تستقر اللوحة فى مدينة المولد ، ولكن سكان برشلونة تصدوا لهم قائلين إنهم احق بالاحتفاظ باللوحة لأن بيكاسو انتقل الى مدينتهم وعمره ١٢ عاماً حيث درس فى مدرسة الفن هناك واستقر فى المدينة الى ان رحل الى باريس عام ١٩٠٤ ، وأضافوا الى ذلك أن «متحف بيكاسو» ببرشلونة يضم ١٦٠٠ لوحة من أعمال بيكاسو كان الفنان قد أهداها الى



الفنان بيكاسو .. اختار موضوعا يصل الى قلوب الناس



الجنرال فرانكو الذي أمر طائراته بقذف مدينة جورنيكا



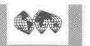
لقطة من واقع الحرب الأهلية الاسبانية فى مدينة جورنيكا بشمال اسبانيا

تلك المتحف ويجب أن تستقر الجورنيكا فى نفس المكان كواسطة للعقد بين لوحات بيكاسو الاخرى ، اما سكان مدريد فقد تمسكوا بوصية بيكاسو نفسها وهى ابداع اللوحة فى متحف برادو بالعاصمة ، غير أن مديرى متحف برادو الذى انشيء عام ١٨١٩ يجدون انفسهم فى موقف ضعيف إذ بالرغم من الجهود التى يبذلونها لتحسين المتحف فان نظام التهوية والاضاءة فيه لا يناسب المواصفات المطلوبة للحفاظ على مثل هذه اللوحة الثمينة خاصة انها منفذة بالوان تجريبية معرضة للتلف الامر الذى يهدد اللوحة بالتدهور السريع ، وهنا انبرت مدينة جورنيكا نفسها مطالبة بأن تكون مقراً للوحة التى تسجل مأساتها ويقول أهل جورنيكا انه لا يمكننا ان نشير الى ١٦٠٠ لوحة من بيكاسو لتعزيز مطالبنا كما يفعل ابناء برشلونة ولكننا نستطيع ان نشير الى ١٦٠٠ قتيل خلفتهم الطائرات وراءها يوم الغارة .. غير أن قسماً كبيراً من اهل المدينة أعربوا عن معارضتهم الشديدة لمجيء اللوحة الى مدينتهم لأنها سوف تذكرهم بالمأساة الدامية التى لم ينج منها بيت واحد أو أسرة واحدة ويقولون انه لو عادت اللوحة فسوف يعمدون إلى احراقها أو تشويهها !

ولا يدرى احد على اى وجه سوف ينتهى هذا الخلاف الذى يثير مناقشات حامية فى الصحف والندوات والبرلمان ، وعلى اي حال يبدو ان الاعتبار الرئيسى سيكون : اى هذه المتاحف اقدر على توفير الحراسة والحماية الكافيتين للوحة الثمينة ؟ وهذا الاعتبار فى صالح متحف برادو بالعاصمة لولا سوء الاضاءة والتهوية واذا استقرت اللوحة فى هذا المتحف فانها سوف ترفع عدد رواده يومياً فى تقدير مديريه من ٥٠٠٠ الى ٢٠ الف .

وهناك اخرون يعتقدون انه من الافضل أن تستقر لوحة جورنيكا فى «أرض محايدة» فتبقى فى متحف الفن الحديث بنيويورك أو تذهب الى متحف اللوفر بباريس حيث عاش بيكاسو معظم عمره الطويل .

بقى أن تعرف أن هذه اللوحة التى لا تقدر بثمن تقاضى عنها بيكاسو بعد الانتهاء منها عام ١٩٣٧ مبلغ الف بيسيتا (أى اقل من الف جنيه استرلينى) من الحكومة الجمهورية باسبانيا مقابل «النفقات» التى انفقها فى رسمها ، أى ثمن الرقعة والالوان والفرش وما اشبه !




● اهتم بها النقاد ، ورأى فيها أحد الشعراء : جرس إنذار !

الجورنيكا تعود إلى وطنها

تاريخ اللوحة

بالرغم من ان بيكاسو حاول دائما ان يكون بعيداً عن السياسة وكان يقيم فى فرنسا بصفة دائمة إلا ان قدره هيأ له ان يلعب دوراً فريداً فى الحرب الأهلية الاسبانية فبعد أيام من نشوب الحرب أعلنت الحكومة الجمهورية الاسبانية تعيينه مديراً فخريا لمتحف الفن القومى «برادو» اعترافا بفضله وقيمته كفنان عظيم ، ولم يلبث ان جاءت خطوة اخرى من الحكومة الاسبانية حين طلبت منه أن يساهم بلوحة تكون بمثابة «العمل الكبير» فى الجناح الاسبانى بالمعرض الدولى القادم .

وقرر بيكاسو ان يختار موضوع لوحته عن الحرب الأهلية الاسبانية ولكنه احتار فى اختيار الموضوع الذى «يصل الى قلوب وأذهان آلاف الناس العاديين» .

ومرت الأسابيع وبيكاسو لا يستطيع الاستقرار على موضوع معين الى ان «اسعفته» الظروف بموضوعه المأمول ، ففى ٢٨ ابريل ١٩٣٧ قام سرب من الطائرات التى أرسلها هتلر لمساعدة الجنرال فرانكو بغارة على الأهداف المدنية فى مدينة جورنيكا الصغيرة باقليم الباسك فى وقت كانت فيه الشوارع والأسواق تعج بالمشترين ، واخذت الطائرات تقذف المدينة قذفا مكثفاً لمدة ثلاث ساعات واسفرت الغارة عن مقتل معظم ابناء المدينة الصغيرة المؤيدة للجمهوريين وتحويلها الى حطام

كانت هذه هى الاشارة التى ينتظرها بيكاسو ، فاعد لوحة ضخمة مساحتها ٣٦ قدماً فى ١١٫٥ قدما وبدأ العمل ، ولحسن الحظ فقد احتفظ تاريخ الفن بتسجيل لكل مراحل العمل فى تلك اللوحة الفريدة بفضل امراة شابة تدعى دورا مار انضمت مؤخرا الى دائرة بيكاسو . كانت دورا صديقة للشاعر جورج باتاى الذى يشارك بيكاسو الاقامة فى مرسمه ، وكانت ضمن حلقة من الفنانين والمثقفين الفرنسيين الذين يؤيدون قضية الجمهوريين فى أسبانيا وقد ظهرت هذه الشخصية الحيوية الجميلة بالفعل فى بعض رسوم بيكاسو فى تلك الفترة ، ولما كانت دورا مار مصورة فوتوغرافية ماهرة فقد تولت تصوير كل مراحل العمل فى اللوحة منذ أن كانت مجرد استكشات اولية الى ان انتهت كلوحة كاملة .

الأبيض والأسود

الزم بيكاسو نفسه فى لوحة «جورنيكا» باللونين الابيض والاسود بالاضافة الى اللون الرمادى بدرجاته المختلفة ، وحرم نفسه تماما من إستخدام الالوان الزاهية كالاحمر والاصفر والأزرق وهى الأكثر قدرة على التعبير ، انه موقف يذكرنا بما فرضه على نفسه ابو العلاء المعرى فى اللزوميات حيث الزم نفسه بما لا يلزم ، ولكن فى مقابل استغنائه عن الالوان الفاقعة أصر بيكاسو على ان يكون أى خط او ضربة فرشاة فى اللوحة علامة على المأساة والرعب المجسد الذى يعانيه اناس فقدوا كل أمل ، لقد تحولت اللوحة تحت لمسات فرشاته الى مسرح لرجال ونساء ووحوش يعيشون فى كابوس من الرعب والألم والمعاناة دون أن يبدو السبب المؤثر وهو الهجوم الجوى ، فلم تظهر فى اللوحة مثلا الطائرات التى قصفت المدينة أو القنابل والانفجارات التى احدثتها .

ومن يتامل اللوحة تاملا وثيقاً لا يمكن ان يغفل عن الاحساس بما يشبه التيار الكهربى يسرى فى كل انحاء اللوحة من اقصى اليمين حيث المراة الصارخة فى البيت المحترق الى أقصى اليسار حيث يقف الثور فى مدخل الباب يتطلع من فوق كتفه الى مزيد من الرعب خارج اطار الصورة ، وفى الوسط يتمركز حصان وهو الرمز المعتاد للمعاناة السلبية لدى بيكاسو ، وتشعر كان الحصان يعتصره الألم ولكنه يصدر صهيلا متحدياً من فمه المفتوح ، وتنتثر تحت اقدام الحصان اشلاء محارب لا يرتدى خوذة الامر الذى يشعرك بانه رجل مدنى وثمة ام تحمل بين ذراعيها جسد ابنها المسجى وتطوح براسها الى الخلف مصدرة صرخة حزن عميق ، وامراة اخرى تطل على الغرفة وفى يدها مصباح يعمل بالكاز ، وضحية أخرى تندفع داخله شبه عارية ويبدو انها سرعان ما سوف تلقى بنفسها خائرة على الأرض ، وكل النساء فى الصورة مجردات تماما من أى مظهر يدل على الأنوثة كرمز لتجرد الانسان من اساسياته ، وهناك ايضا طائر يفتح منقاره على اتساعه كانه يصرخ ، ويتدلى من السقف مصباح كهربى متخف فى شكل الشمس يلقى على المنظر باكمله وهجا ميكانيكياً مكهرباً ..

وعندما افتتح المعرض الدولى فى باريس أخذت الجورنيكا مكان الصدارة فى الجناح الأسبانى ، وسرعان ما اصبحت بؤرة اهتمام النقاد وزوار المعرض ومحوراً لاختلافات كبيرة فى وجهات النظر فقد هاجمها البعض ولم يحبوها فى حين تحمس لها الكثيرون وقال عنها الشاعر مايكل ليريس «انها جرس انذار .. ان كل ما نحبه يوشك ان يموت» ثم عرضت اللوحة فى لندن فى العام التالى فاثارت نفس ردود الأفعال من جمهور المشاهدين الانجليز ، وبعد ذلك نقلت الى نيويورك فى بداية الحرب العالمية الثانية وظلت هناك طبقاً لوصية بيكاسو الشهيرة الى اليوم فيما عدا زيارة قصيرة قامت بها الى أوربا فى عام ١٩٥٥ .

ولقد حاول الكثيرون تفسير رموز اللوحة، ولكن مثل هذه المحاولات فشلت أمام حقيقة بسيطة وهى ان اللوحة عمل من أعمال الفن ، والفن له لغته الخاصة ، وقد رفض بيكاسو نفسه أية محاولة لتفسير لوحته بدلالة رموزها ، فعندما قال أحد النقاد ان بيكاسو يريد بالحصان أن يمثل الوطنية الأسبانية وبالثور ان يمثل الشعب الأسبانى ، رد بيكاسو فى اختصار وحزم قائلا : «ان هذا الثور هو ثور ، وهذا الحصان هو حصان .. ولكن من حق كل مشاهد أن يفسرهما كما يشاء» !

جوائز نوبل..

هل تذهب إلى مستحقيها ؟



سيشلاف ميلوش .. اسمه يتحدى نقاد العالم .

لجنة القراءة لجائزة نوبل فى مطعم السلام الذهبى كما تخيلها احد الفنانين

سيشلاف ميلوش .. اسم يتحدى معظم نقاد الأدب فى العالم ، دعك من قرائه ، أن يكونوا قد سمعوا به ، ومع ذلك فهو اسم الشاعر البولندى الذى فاز بجائزة نوبل للآداب هذا العام ، وقام ملك السويد بتسليمه جائزته (ميدالية ذهبية ومبلغ ٨٤ الفا و ٥٣٤ جنيها استرلينيا) فى حفل اقيم باستوكهلم فى اوائل الشهر الماضى .

وبذا تكون لجنة جائزة نوبل الادبية قد اضافت اسما مجهولا آخر الى قائمة الفائزين بهذه الجائزة العالمية الامر الذى دعا صحيفة «صنداى تايمز» البريطانية الى التساؤل : هل صارت جائزة نوبل تمنح الآن للمجهولين والنكرات فى دنيا الأدب وليس للمشاهير والمعروفين من الروائيين والشعراء والنقاد العالميين ؟

ولكن يبدو أن ثمة سببا «وجيها» كان وراء اختيار ميلوش للجائزة هذا العام ، ففى الوقت الذى كانت اجهزة الاعلام العالمية تردد اسمه باعتباره كشفا خطيرا فى عالم الشعر والادب كانت نفس الأجهزة تنقل باتساع الاحداث البولندية التى اثقلت كاهل «الكتلة الشرقية» ، وهو نفس السبب الذى احاط من قبل بفوز الشاعر باسترناك والروائى سولجنتشاين بنفس الجائزة .

وربما لا يستطيع احد ان يطعن فى القيمة الأدبية لفائزين من امثال باسترناك وسولجنتشاين وميلوش ، او قد يقال على الأقل ان الآراء تختلف ولكن بأى معيار يتم اختيار أمثال هؤلاء المجهولين فى الوقت الذى تجاهلت فيه الجائزة وخلال ٨٠ عاما منذ انشائها عشرات بل ومئات من ذوى الاسماء اللامعة وذوى القيمة الأدبية المعترف بها ومنهم فى بريطانيا وحدها على سبيل المثال أدباء من طراز توماس هاردى ، ود.هـ. لورانس ، وجراهام جرين ، وا.م. فورستر ، وجـ.هـ. ويلز . وحتى الذين فازوا بالجائزة- من الانجليز كان احدهم سياسيا وهو وينستون تشرشل ، والاخر فيلسوفا وهو برتراند رسل ، والثالث واحد من اساطير الاستعمار البريطانى وهو روديارد كيبلنج .

إننا لا نكاد نجد بين من فازوا بجائزة نوبل للآداب خلال ٨٠ عاما ـ وأمامى ثبت بهم ـ ممن لايشك فى عبقريتهم الأدبية وتوجههم الانسانى سوى قلة من امثال الشاعر الهندى طاغور (١٨٦١ ـ ١٩٤١) وجورج برناردشو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) وهنرى برجسون (١٨٥٩ ـ ١٩٤١) واناتول فرانس (١٨٤٤ ـ ١٩٢٤) وارنست همنجواى (١٨٩٨ ـ ١٩٦٠) ثم تعود الآراء فتختلف مرة اخرى حول فائزين من امثال اندريه جيد وفرنسوا مورياك ، والبير كامو وجان سارتر والأخيرين من كتاب الأدب الوجودى وقد رفضها سارتر ليكسب برفضها دعاية لنفسه اكثر مما يكسبه بقبولها !

وفى نفس الوقت فقد تجاهلت الجائزة تجاهلا تاما جميع الادباء والشعراء والمفكرين فى العالم الثالث ، ففيما عدا طاغور لم يفز بها هندى واحد ، او صينى

جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها؟

واحد ، او عربى واحد او افريقى واحد ، وكان التفوق الادبى يجب أن يكون وقفا على ابناء الحضارة الصناعية الغربية ، وقد لا يكون من قبيل الصدفة ان اليابان وهى الدولة الاسيوية الوحيدة التى فاز احد أبنائها بالجائزة (ياسونارى كاواباتا ـ ١٩٦٨) قد انضمت كذلك الى هذا «النادى الحضارى» .

إن تأثر لجنة جائزة نوبل للآداب بالأحداث السياسية والاعتبارات الشخصية لا يكاد محل شك ، فمنذ عامين منحت اللجنة جائزتها لشاعر يهودى مجهول يكتب بلغة «اليديش» تحت ضغط الحركة الصهيونية ، وفى عام ١٩٦٠ منحت الجائزة للشاعر الفرنسى سانت جون بيرس لانه كان صديقا حميما لداج همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة وقد كان له نفوذ كبير على الاكاديمية السويدية ، وفى عام ١٩٢٣ منحت الجائزة للشاعر الايرلندى ييتس غداة انفصال إيرلندا الجنوبية وتكوينها جمهورية ايرلندا الحرة .

وباختصار شديد يمكن ان يقال ان هناك بعيداً فى أقصى الشمال البارد بأرض السويد لجنة من السادة المثقفين تقيم فى نفسها حكما على الابداع الأدبى فى العالم كله بالرغم من الاختلاف البين فى المشاعر واللغات والحضارات والخلفيات الثقافية بين هؤلاء السادة وبين الأدباء المبدعين فى أركان الأرض الاربعة يمكن ان يكون حكم هؤلاء السادة موضوعيا وعادلا ؟

ولكن من هم هؤلاء السادة اعضاء لجنة نوبل للآداب ، وكيف يختارون من يطوقون جيده الأدبى باكاليل الفخار ؟

الستة الكبار

تضم اللجنة الأدبية لجائزة نوبل بالأكاديمية السويدية ستة أعضاء من الشعراء والنقاد السويديين . وقد كان أعضاء اللجنة جميعاً حتى وقت قريب


الفريد نوبل .. ما هى أسرار جائزته ؟

فوق الخامسة والستين ، ولكن عندما خلا مكانان فى اللجنة بموت اثنين من اعضائها مؤخرا بدأ عنصر «الشباب» يجد طريقه اليها بانضمام لارس فورسيل (٥٢ عاما) والسيدة كريستين ايكمان (٤٧ سنة) !

وعميد الجماعة هو دكتور انديرس اويسترلنج (٩٦ عاما) وهو عضو باللجنة بصفة متواصلة منذ عام ١٩١٩ اى انه كان موجودا عندما حصل اناتول فرانس على الجائزة عام ١٩٢١ ، وهوايته المفضلة ان يعزف على البيانو مقطوعات من القرون الوسطى ، ويقال انه لايزال قارئا نهما وقادرا على اكتشاف الشباب .

أما الدينامو المحرك للجنة وصاحب اكبر نفوذ فيها فهو دكتور ارتور لوند كفيست (٧٤ عاما) وهو المغرم باكتشاف المجهولين من الشعراء الأسبان واليونانيين واليهود والبولنديين ، وهناك توافق مزاجى تام بين لوند كفيست واوسترلنج ، وعندما يتفق رأيهما ، ودائما ما يتفق ، فان الموضوع يحسم .

ودكتور لوند كفيست مثقف عصامى ترك المدرسة فى قريته بشمال السويد فى سن العاشرة ، ثم علم نفسه بنفسه ، فقرأ الكلاسيكيات باللغة السويدية ودرس الانجليزية بجهده الخاص عن طريق ترجمة لا جدوى لها لرواية «اورلاندو» لفيرجينيا وولف باستخدام القاموس ،


همنجواى .. من الذين استحقوا الجائزة

كما درس الفرنسية بنفس الطريقة ، وواصل التعليم «من منازلهم» حتى حصل على الدكتوراة

والعضوان الآخران هما البروفيسور لارس جيلستين سكرتير عام الاكاديمية السويدية ، وكارل جيرو الرئيس الادارى للجنة القراءة ، وهما ايضا فوق الخامسة والستين .

وفى عصر كل خميس ، على مدار العام ، يجتمع هؤلاء السادة فى مكتبة الاكاديمية السويدية خلف القصر الملكى بالحى القديم فى استوكهلم حيث توحى الدهاليز وقاعات المطالعة بجو القرن الثامن عشر ، ويعبق الجو برائحة طهارة الأديرة ، وتستقر الكتب النادرة المجلدة تجليداً فاخراً فوق رفوفها الخشبية المصقولة .. يجتمع هؤلاء السادة لمدة ثلاث ساعات ليتناقشوا فيمن يستحق جائزة نوبل لهذا العام

فاذا ما انتهوا من مداولاتهم الأسبوعية التى يحرزون خلالها تقدما بطيئا اسبوعا بعد أسبوع خرجوا فى الساعة الثامنة مساء الى مطعم مجاور يحمل اجواء القرون الوسطى ، وفى جناح خاص بالدور الاول من ذلك المطعم المسمى دين جيلدن فريدن (أى السلام الذهبى) ينبذون تماما اى تكلف للرسمية ويتخاطبون بلفظة «أنت» ويتبادلون الطرائف والقفشات حول مائدة عامرة



د. هـ. لورانس تجاهلة الجائزة .



اناتول فرانس .. حظى بالجائزة .

باطيب الطعام ، واخيرا يقوم دكتور اندبرس اوسترلنج عميد الجماعة ذو الستة والتسعين عاما الى البيانو ليعزف بعض مقطوعاته المفضلة لموسيقيين عاشوا فى القرون الوسطى .

هذا هو البرنامج الاسبوعى للستة الكبار اعضاء لجنة نوبل للآداب ، اما مهمتهم النهائية فهى اختيار خمسة اسماء من قائمة تضم ١٥٠ اسما من المرشحين لجائزة نوبل للعام ثم يقدمون قائمتهم القصيرة الى الأكاديمية السويدية فى بداية الخريف ، وبالرغم من أن اختيارهم غير ملزم نظريا للأكاديمية إلا ان الفائز النهائى نادرا مالا يكون منبين هذه الاسماء الخمسة وكثيرا ما يكون المرشح الأول فيها .

أما القائمة التى تضم ١٥٠ اسما فتقوم باعدادها الأجهزة الادارية بالاكاديمية ففى أوائل نوفمبر من كل عام ترسل الاكاديمية السويدية آلافا من الرسائل الى الاكاديميات والجامعات والنوادى الأدبية والنقاد والمثقفين فى مختلف انحاء العالم طالبة ترشيح اسماء للفوز بالجائزة ثم يقوم عدد كبير من الخبراء السويديين والاجانب باعداد قوائم المرشحين لقاء مكافات مجزية ، واحيانا يقوم أعضاء لجنة القراءة انفسهم بزيارات الى الخارج لاكتشاف المرشحين ، فاذا كان المرشح يكتب بغير واحدة من اللغات العالمية الثلاث الانجليزية والفرنسية والالمانية فيجب ترجمة مؤلفه الى لغة واحدة منها على الاقل ، واعضاء لجنة القراءة الستة يجيدون على الأقل لغتين أو ثلاث من اللغات العالمية الى جانب لغتهم السويدية .

وقد تبدو فى البداية مهمه تقييم أعمال ١٥٠ من الكتاب العالميين مهمة عسيرة ان لم تكن مستحيلة ، ولكن الأمر فى الواقع ابسط من ذلك كثيرا فغالبا ما يكون هناك شبه إجماع من الرأى العام العالمى على من يستحقون الجائزة كل عام واكثر من ذلك فان معظم الأسماء تكون قد بحثت لوجودها على القائمة منذ أعوام ومن النادر أن يفوز كاتب بالجائزة دون أن يكون اسمه قد ورد مرتين أو اكثر فى القائمة المختصرة للجنة القراءة القصيرة .

واعضاء لجنة القراءة الستة من «ذوى الشفاة المطبقة» فهم لا يتحدثون الى الصحافة او يثرثرون عن عملهم وهم ينفون بشدة انهم يتاثرون باى عوامل خارجية

ولكن تبقى الحقيقة واضحة كالشمس ان جائزة نوبل للآداب قد منحت لكثيرين ممن لا يستحقونها ، وحجبت عن كثيرين ممن يستحقونها ، وكان هناك دائما سبب او آخر وراء قرار المنح او المنع .

جائزة نوبل للعلوم

من السهل التعرف على المنجزات البارزةفى الطبيعة او الكيمياء أو الفسيولوجى او الطب اكثر من الأدب ، فالعلماء فى كل مكان فى العالم يتحدثون لغة واحدة ويعترفون بمعايير علمية واحدة ، ومع ذلك فان مناقشات لجان جوائز نوبل للعلوم هى ايضا غير خالية تماما من التاثر بالاعتبارات غير العلمية ، فهنا ايضا مجال للسياسة ، وللمجاملة ، وللأخطاء .

ففى عام ١٩٢٣ ، مثلا ، منحت جائزة نوبل للعلوم مناصفة لكل من سير فريدريك بانتنج (كندى) و ج. ج. ر ماكلويد (اسكتلندى) لاكتشافهما الانسولين ولكن ماكلويد لميكن له فى الواقع اى ضلع فى هذا الاكتشاف ، فقد كان مجرد مدير المعمل الذى يعمل فيه بانتنج مع مساعده الشاب شارلس بوست الذى كان يساعده فى تجاربه خلال اجازته الصيفية ، وكان ماكلويد متغيبا فى اجازته السنوية أثناء الاكتشاف ، وعندما عاد شك فى جدوى العمل ونتائجه وانب بانتنج ومساعده بوست على تعطيل المعمل فى مثل هذه الابحاث ، ومع ذلك فقد حصل ماكلويد على نصف جائزة نوبل فى الفسيولوجى والطب عندما تبين للعالم جدوى الاكتشاف وحرم الشاب النابغة شارلس بوست من حقه الطبيعى فى التكريم ، وقد كشف سير فريدريك بانتنج هذه الفضيحة الشائنة واصر كشرط لقبوله الجائزة ان يقتسم مكافاته المالية مع بوست ، ولكن اسم ماكلويد ظل على قائمة الفائزين بجائزة نوبل للعلوم .

واكثر من ذلك تبين أن عالما رومانيا يدعى باولسكو قد توصل الى نفس الاكتشاف ونشره علميا قبل اكتشاف بانتنج وبوست للانسولين بستة أشهر ولكن احدا لم يرشحه للجائزة ، وقد اعترضت لجنة نوبل فيما بعد بان باولسكو يستحق المشاركة فى الجائزة ولكنها أعربت عن أسفها لعدم امكانها ان تفعل شيئا لتدارك ما حدث .

وبعد ذلك بثلاث سنوات منحت جائزة





جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها ؟

نوبل للعلول لدانمركى يدعى جوهانس فيبجر لاكتشافه «عنصرا طفيليا يسبب السرطان» وقد تبين أن ابحاث فيبجر خاطئة وانه لم يكتشف شيئا ، ونتيجة للخجل الذى عانته لجنة نوبل من جراء ذلك كان على العالم الامريكى فرانسيس بايتون روس أن ينتظر حتى عام ١٩٦٦ - أى عندما أصبح عمره ٨٧ عاماً - ليحصل على جائزة نوبل على أبحاثه عن «الفيروسات المتصلة بالسرطان» التى قام بها فى فجر شبابه عام ١٩١١ !

ونتيجة لحرص اللجان العلمية والطبية لجائزة نوبل على تفادى الأخطاء فان منح الجائزة يتأخر فى المتوسط ١٣ عاماً بعد تاريخ البحث الفائز ، وهذا بدوره يقلل من جدوى الجائزة فقد تظهر خلال فترة التاخير أبحاث اكثر جدة او قد يموت العالم الذى يستحق التكريم .

وإلى جانب هذه الأخطاء والتسويفات التى تقع فيها اللجان العلمية لجائزة نوبل فان قائمة الفائزين بنوبل للعلوم تخلو من كثير من الاسماء العلمية البارزة التى تشرف القائمة اكثر مما تشرفهم الجائزة . ويضرب البيولوجى البارز سير بيتر ميداوار مثلا على عدم حصول أو . تى . افرى على جائزة نوبل ، ويقول ان افرى هو واضع اسس علم البيولوجيا الجزيئية الحديث فكيف تخلو قائمة جائزة نوبل من اسمه ؟ وقد حصل افرى على ميدالية كوبلى للجمعية الملكية ، وهى جائزة يعتبرها بعض العلماء أرفع من جائزة نوبل .

ولكن بالرغم من هذه المآخذ والأخطاء فان جائزة نوبل للعلوم تلعب دورا كبيرا فى تشجيع البحث العلمى ، وهى فى معظم الأحوال تصيب مستحقيها الحقيقيين ، إلا ان هناك جوانب سلبية لفكرة الجائزة فى حد ذاتها تجدر الاشارة اليها .

● هناك شعور عام بأن مانحى الجائزة يهتمون بمجالات معينة من البحث العلمى اكثرها من النوع الذى يسهل تسليط الأضواء عليه ، الأمر الذى يدعو كثيراً من العلماء الى الاتجاه الى هذه المجالات دون غيرها مما يصيب البحث العلمى فى مجالات أخرى بالتأخر او الشلل .

حول هذه الملاحظة يقول سير بريان بيبارد مدير معمل كافنديش للابحاث العلمية بجامعة كامبردج ان الجائزة خلقت شعوراً بين العلماء الشبان بانها تركز على ميدان مكونات الذرة ونتيجة لذلك فان لدينا طلبة فى ميدان «الجزيئات الأساسية» اكثر مما يحتاجه البحث العلمى فى حين أن هناك مجالات أخرى مهملة تماماً وقد لايسمع عنها احد ، ثم ماذا يفيد اكتشاف كل «الجزيئات الأساسية» فى حل المشكلات الحقيقية لعالمنا المعاصر ؟

● ان عدد العلماء زاد الآن بمقدار ٣٠ ضعفاً عما كان عليه فى عام ١٩٠٠ حين انشئت الجائزة ولكن نفس عدد الجوائز ثابت ، ولذلك ليست هناك فرصة للحصول على جوائز نوبل للعلوم بالنسبة لعشرات من العلماء الذين يستحقونها ، وهنا يلعب الحظ دوراً رئيسياً فى الفوز ، ويصبح الفائز بجائزة أشبه بمن يكسب «ورقة يانصيب» !

● بالرغم من ان الاعتبارات السياسية لاتتدخل على نحو مباشر فى منح جوائز العلوم خاصة عندما يكون الاكتشاف باهراً لا سبيل الى تجاهله او انكاره إلا انه غالباً ما يحدث عند تساوى المرشحين أن تتدخل اعتبارات أخرى فى عملية الاختبار فمثلا هل ينتمى المرشح الى دولة تشعر السويد انها «تستحق الجائزة» ؟ هل المرشح معروف لدى أعضاء الاكاديمية السويدية ؟ أو هل يتمتع بتزكية جهة قوية ؟

● تتجاهل جوائز نوبل للعلوم بعض الميادين العلمية تجاهلا تاماً ، فمثلا لم تمنح جائزة واحدة منها خلال ٨٠ عاماً فى الرياضيات البحتة أو الأحياء البحرية وكذلك لم تمنح اية جائزة فى الفلك حتى العام الماضى (السبب فى ذلك أن نوبل صاحب الجائزة ومكتشف

جائزة الشاعر باسترناك .. قضية تتجدد .

الديناميت دخل فى خصومة مريرة مع احد الفلكيين فاقسم ان لا يسمح لأى فلكى بالحصول على جوائزه !) .

وكذلك فان قانون جائزة نوبل للعلوم ينص على منحها كمكافاه على «اكتشاف» أو «اختراع» أو «تحسين» فى الميادين العلمية ، وهذا يستبعد مثلا «الأطر الفكرية العلمية العامة» و «المبادىء العلمية الاساسية» و «النظريات العلمية الشاملة» (مثلا نظرية داروين فى النشوء والارتقاء) و «المساهمات العلمية مدى الحياة» .

ولهذا السبب فان أعظم العقول العلمية لا تحصل إلا فى النادر على جوائز نوبل بينما قد يحصل عليها باحث مبتدىء بضربة حظ ، والدليل على ذلك ان انيشتاين العظيم نفسه لم يحصل على جائزة نوبل عن نظرية النسبية التى تعد قمة مساهماته العلمية ، وانما حصل عليها فيما بعد بسنوات طويلة - وكنوع من الاستدراك - على بحثه فى «الكهربائية الضوئية» وهو أقل أهمية بمالا يقاس عن مساهماته الأخرى .

● وأخيرا ، تتحدث الاوساط العلمية عما يمكن أن يسمى «عقدة نوبل» التى أصبحت تطارد البحث العلمى كالشبح المخيف ، هذه «العقدة» تجعل العلماء يتجهون الى البحث فى نقاط يتوقعون الحصول منها على الجائزة دون النقاط أو الموضوعات الاكثر أهمية أو نفعاً ، ويقال ان العالم الطبيعى الالمانى ماكس بورن قضى معظم حياته يعمل فى «مشروع لنوبل» بعد آخر لأنه أصيب بالمرارة لعدم مشاركته الجائزة مع زميله الألمانى فيرنر هايزنبرج عام ١٩٣٢ ، والنتيجة أن ماكس بورن بدد عبقريته الواعدة دون أن ينجز شيئا ، ومات ضحية لعقدة نوبل !

محمد العزب موسى

أول مدرسة للبنات في العالم العربي

نادية محمد رزق

● لماذا ألغت الناظرة الإنجليزية عاماً دراسياً بأكمله؟
● كان أول هدف للمدرسة هو تخريج الأمهات الصالحات



مازالت تلتحق بالمدرسة جنسيات مختلفة .

لو رجعنا بالذاكرة الى عام ١٨٧٠ ، فاننا نجدها فترة غنية بالنشاط الثقافى حينما تولى على مبارك وزارة المعارف بمصر ، وأصبح الاتجاه الوطنى يسيطر على الشعب ، كرد فعل للثقافة الأجنبية التى غزت العالم العربى نتيجة للحملة الفرنسية ، وتغلغل الثقافة الغربية فى انحاء الوطن العربى ، وانتشار مدارس الارساليات الأجنبية المختلفة .

فى ذلك التاريخ تم انشاء عدد من المؤسسات العربية مثل العديد من مدارس البنين ، وإنشاء دار العلوم كمحاولة لاثبات وقوف اللغة العربية جنباً الى جنب مع اللغات الأجنبية ، المنتشرة فى ذلك الوقت ، وإنشاء دار القضاء العربى ، ودار الكتب لجمع التراث العربى المبعثر بعد فترة التخلف للحكم العثمانى .

وفى ذلك الوقت أيضاً دعت «جشم افت هانم» الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل الى إنشاء مدرسة خاصة لتعليم الفتيات .

بداية الفكرة

فى العدد ٥١٩ الصادر فى ٥ اغسطس



أحد فصول المدرسة الثانوية



بعض الطالبات اثناء المطالعة فى ارشيف المكتبة

١٨٧٣ نشرت الجريدة الرسمية بمصر خبر إنشاء مدرسة عربية للبنات داخلية وخارجية لتثقيفهن وتعليمهن ، فكتبت تقول :

«على كل إنسان ان يتزوج ، وعليه ان يختار زوجة صالحة مثقفة تعرف كيف تدير منزلها ، وترعى حقوق زوجها وتربى أولادها ، وتحافظ على صحتها وصحة أولادها وزوجها ، وتحفظ زوجها فى غيابه ، واذا ورد عليها خطاب منه تستطيع أن ترد عليه مبينة له حالة المنزل .

ومن كانت له زوجة كهذه سعد كثيرا فى حياته . ولتخريج أمثال هذه الزوجة ، وتحقيقا للفوائد الجليلة التى تعود على الوطن انشئت المدرسة» .

إذن كان السبب فى إنشاء المدرسة كما تقول كريمة عبد الهادى الوكيلة الحالية لمدرسة السنية ، ومن اوائل الخريجات ، هو تعليم الفتيات وتثقيفهن تعليما أوليا عمليا ونظريا ليصبحن زوجات فاضلات وأمهات صالحات للمجتمع ويمكنهن من كسب العيش عند الحاجة .

أول مدرسة فى العالم العربى !

وعندما انشئت المدرسة ، كان التعليم النسوى فى ذلك الوقت يعتبر فى حكم العدم ، إذ لم تكن فى البلاد العربية كلها مدرسة للبنات باستثناء كتاتيب تحفيظ القرآن ، ومدرسة الولادة لتخريج الحكيمات بمصر . ولم يكن يتعلم فيها فى الغالب غير البنات الحبشيات . اما الفتيات من سائر الطبقات فكان الجهل مخيما عليهن اللهم إلا من كن يتعلمن فى بيوت ابائهن وكن قليلات العدد .

إقبال شديد

عندما أعلن عن إفتتاح مدرسة البنات عام ١٨٧٣ تهافت على الالتحاق بها الكثير من الفتيات اللاتى كن يتطلعن إلى التعليم ولكنها لم تقبل سوى مائتى تلميذة ، كن يتعلمن مجانا ، فضلا عن الانفاق على مأكلهن وملبسهن ، وكانت مواد الدراسة تتمثل فى حفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والتطريز ، والنسيج ، ثم اضيفت اليها اللغة الفرنسية والانجليزية ودروس البيانو .

وكانت تشرف على المدرسة «ناظرة» تعاونها «وكيلة» ، كما عين للمدرسة «ناظر» هو وحده المسئول عن المسائل المادية الخاصة بالمدرسة ، وسجلات التلميذات والاتصال بأولياء الأمور ، إلا انه كان لا يحضر الى المدرسة إلا إذا كان وجوده ضروريا . وللمدرسة «ضابطة» تشرف على النظام «وطبيبة» تعنى بفحص الأغذية ونظافة التلميذات وكانت الطالبات تتراوح اعمارهن بين السابعة والخامسة عشرة ، وكن يقمن بجميع اعمال النظافة تحت اشراف الملاحظات ، وبعد سنوات الدراسة الخمس تعود التلميذة الى اسرتها .



إعداد الزوجة الصالحة هدف المدرسة .

وفى سنة ١٨٨٠ إثر خلع الخديوى إسماعيل تاثرت المدرسة بما حدث من اضطراب فى البلاد فتحولت عن غرضها الذى انشئت من اجله ، واوشكت ان تكون ملجأ لليتيمات وبنات الطبقات الفقيرة ، وهبط عدد تلميذاتها الى مائة تلميذة وهبطت هيئة التدريس الى ستة من المعلمين والمعلمات ، بعد ان كان عددهم واحدا وعشرين .


إنتاج الطالبات من الاشغال اليدوية

وكيل المدرسة أمام لوحة تذكارية

لماذا سميت « السنية » ؟

فى عام ١٨٨٩ تسلمت وزارة المعارف المدرسة ووضعت لها نظاما جديدا ، وأطلقت عليها اسمها الحالى «المدرسة السنية» ، نظرا للتعديلات والانظمة التى جعلتها فى مرتبة أعلى مما كانت عليه من قبل . وجعلتها أول مدرسة عربية منظمة لتعليم البنات فى العالم العربى ، وأصبحت تضم لونين من التعليم : التعليم الابتدائى ، وقسم المعلمات .

وكانت الطالبات يلتحقن بقسم المعلمات بعد حصولهن على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ليدرسن سنتين يتخرجن بعدها مدرسات . ثم زيدت هذه المدة إلى ثلاث سنوات ، ثم إلى اربع ، وتشجيعا للطالبات كانت تعطى لهن مكافآت مالية قدرها جنيهان شهريا ، وكان الفصل الواحد لا يضم اكثر من خمس عشرة طالبة وهيئة التدريس كلها مدرسات إنجليزيات لجميع المواد عدا اللغة العربية .

ومما يدعو الى الغرابة ان ناظرة المدرسة الانجليزية كانت تحتل الطابق الاوسط من المبنى الحالى الذى يبلغ ارتفاعه ثلاثة طوابق ، وتوجد به حاليا مكتبة المدرسة والعديد من الفصول ، اى انها كانت تستغل لشخصها نصف مساحة المدرسة تقريبا .

تطور إلى الأفضل

فى عام ١٩٣٢ ، انتقلت طالبات المعلمات الى مكان اخر ، واصبحت السنية مدرسة ثانوية مدة الدراسة بها خمس سنوات ، تحصل الطالبة بعد ثلاث منها على شهادة «الكفاءة» ، وفى نهاية المرحلة تحصل على «البكالوريا» ، ثم عدل هذا النظام اخيرا فاصبحت الطالبة تلتحق بها بعد حصولها على شهادة الاعدادية ، وتحول القسم الابتدائى الى قسم إعدادى منفصل ، ثم استقلت بعد ذلك واصبحت «مدرسة ثانوية» .

عقاب بسبب الوطنية !

عندما اشتعلت الحركة الوطنية بقيادة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، اشتركت طالبات المدرسة فى النضال ضد الانجليز ، فكن يخرجن فى مظاهرات ، وكتبن العديد من مجلات الحائط التى تندد بالاحتلال ، فكان العقاب الذى انزلته الناظرة الانجليزية بالطالبات عقابا من نوع جديد ، اذ الغت السنة الدراسية كلها ، وأبقت جميع الطالبات للاعادة عقابا على وطنيتهن !! وظلت الناظرات إنجليزيات حتى عام ١٩٣٩ حينما اسندت النظارة إلى سيدات مصريات ، وكانت اول مصرية تتولى هذا المنصب عايدة وفانى .

اشهر الخريجات !

تقول خديجة خليل الناظرة الحالية إن عدد الدفعات التى تخرجت من المدرسة حتى الان يبلغ ١٠٧ دفعة منها ٤٨ دفعة ثانوية ، ومن اشهر خريجات المدرسة باحثة البادية ملك حفنى ناصف و السيدة امينة السعيد ، وكريمة السعيد ، وحنيفه حقى ، والسيدة نبوية موسى ، وسيزا نبراوى وبنت الشاطىء .

واليوم ... ؟

تضم المدرسة – كما يقول عبد المقصود عبده . الوكيل الاول اكبر عدد من الطالبات فى مستوى المرحلة الثانوية بالعالم العربى ، إذ يبلغ عددهن حوالى ٢٦٠٠ طالبة ، وبها اكبر مكتبة مدرسية تحتوى على ١٧٠٠٠ كتاب موزعة بين فروع العلم قديما وحديثا ، ومازالت تؤدى رسالتها ، بعد ان كان لها الفضل فى تخريج عدد من بنات الوطن العربى وبعض الافريقيات والاسيويات وبعد ان حملت أول مشعل للتعليم فى الشرق كله وكان وجودها إيذانا بخروج المرأة من خدرها ، وثورتها على التقاليد التى أرادت أن تكبلها ، غير انها اجتازت هذه المصاعب وخرجت من القمقم عملاقا مرفوع الراس ، يشارك فى بناء المجتمع العربى ، ويسهم فى شتى نواحيه الثقافية والعمرانية والاجتماعية .

نادية رزق

المسابقة

مـن : حمزة بن عبد المطلب .

ايـن : جبل احد .

مـا : المها .



١ ـ شكسبير

٢ ـ عمر بن الخطاب .

٣ ـ نعم . هذه العبارة صحيحة علميا .

٤ ـ الحسن بن الهيثم .

٥ ـ ٦ درجات بالمقياس الستيني .

٦ ـ أبو الطيب .

٧ ـ اوغندا .

٨ ـ قطر .

٩ ـ الشريف الادريسي .

١٠ ـ القسورة ـ الليث ـ السبع .

من . أين . ما ؟



● مـن : ـ
عربى اشتهر بالكرم المطلق قبل الاسلام . اكرم الرسول الأعظم ابنته من اجله . اسمه من كلمتين وعشرة احرف : ـ

٢ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٤ ـ ١٠ الفتات الخصيبة التى كان يجلبها النيل للارض الزراعية قبل السد العالى .

٥ ـ ٦ ـ ٦ ـ ١ ـ ٨ ـ ٩ قشرة الجذع الخارجية .

٣ ـ ١٠ ـ ٤ قبيلة من العرب .

● ايـن : ـ
ميناء عربية اسمها من أربعة حروف :

١ ـ ٢ اسم عملة صعبة .

٣ ـ ٤ فعل امر .

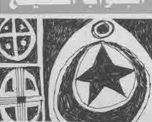
● مـا : ـ
المخلوق الحي الذي يولد ولا يلد ، ويخدم الانسان في المناطق الوعرة منذ قرون اسمه من خمسة احرف :

٤ ـ ١ ـ ٣ اختفى .

٣ ـ ٢ حرف

١ ـ ٥ أداة تعريف .

الجواب الصحيح



١ ـ فتح القائد الاموى المظفر قتيبة بن مسلم الباهلى مدينة سمرقند فى السنة الهجرية :
٩٣ ـ ١٩٣ ـ ٢٩٣

٢ ـ «يصنع الزئبق من الفضة وحامض البنزويك» .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟ .

٣ ـ اذا باض ديك انجليزى أحمر خمس بيضات فى ٤ فبراير ١٩٨١ ففى اى يوم من شهر مارس ١٩٨١ تفقس البيضتان الأولى والثانية ؟؟

٤ ـ الماء الثقيل يتكون من اتحاد غاز الاوكسجين مع غاز :
الايدروجين ـ الديثريوم ـ الكلورين

٥ ـ مؤلف اوبرا عايدة التى اغرم بها الخديوى اسماعيل باشا الذى كبل مصر بالديون الخارجية ، هو الموسيقار :
بتهوفن ـ فيرى ـ موتسارت ـ مندلسون

٦ ـ رتب موجات الضوء للألوان التالية من الاقصر الى الاطول :
الأحمر ـ الازرق ـ الأصفر ـ الاخضر .

٧ ـ انا ما عشـت لست أعدم قوتـا
واذا مت لست أعـدم قبـرا
هات البيت الذى يلى هذا ، وانسب البيتين الى قائلهما .

٨ ـ كانت نساء العرب فى الجاهلية يستخدمن أوكسيد الحديد الاحمر بمثابة أحمر الشفاه ، وكن يسمين هذا المغر باسم :
الدمام ـ اللثام ـ الوشام .

٩ ـ كان السفير البريطانى ايام حصار الجيش الانجليزى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لقصر عابدين بالقاهرة هو :
اللورد كرومر ـ اللورد كللين ـ اللورد كيرزون .

١٠ ـ يطلق اليهود على مدينة نابلس التى عمدتها البطل بسام الشكعة اسم :
حولون ـ شيخم ـ مسادا .

الفائزون بنتيجة مسابقة شهر ديسمبر "العدد ٦٠"

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مهدى محمد عبد الخالق محمد ـ سلطنة عمان .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مصطفى كمال الدين محمد عثمان ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عاطف المعايعه ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ محمد عبد العزيز عبد الرحمن ـ الشارقة
٢ ـ عمر العركى علي ـ الدوحة
٣ ـ جيهان محمد ـ الكويت
٤ ـ فهد احمد سلايمة ـ سوريا
٥ ـ الطيب قسم الله علي فديع ـ السعودية
٦ ـ سيف أحمد سيف ـ رأس الخيمة
٧ ـ أحمد عارف الفاتى ـ لبنان
٨ ـ حسين عبد الله حردان ـ البحرين
٩ ـ سبأ طاهر أنعم ـ اليمن
١٠ ـ صفوت محمود حسن ـ القاهرة
١١ ـ عبده عبده علي الهريبطى ـ القاهرة
١٢ ـ عبد الحليم الفاتح أحمد ـ السودان

كلمات لها معنى!

● إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

«فرانكلين»

● النجاح هو الخطيئة الوحيدة التى يرتكبها الانسان بحسن نية ، ومع ذلك لا يغتفرها له زملاؤه !

«امبروزبيرس»

● السر الوحيد الذى تستطيع المرأة أن تحتفظ به ، هو عمرها !

«فولتير»

● من كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثر اعوانه ، ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه .

«سقراط»

● الحقيقة الثابتة : هى انه لا يوجد على الأرض شيء ثابت .

«بلليني»

● التفكير : أسمى انواع الصلاة .

«جوبو»

● إننى اوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما اوجس من مائة الف مقاتل .

«نابليون»

● نحن نسقط لكى ننهض ، ونهزم فى المعارك لكى نحرز نصرا أروع .. تماما كما ننام لنصحو اكثر قوة ونشاطا .

«براوننج»

محمود حلمى عباس لطفى
طب طنطا - ج.م.ع

كيف قسمها بينهم؟



توفى رجل وترك من ضمن مخلفاته ١٧ جملا وله ٣ أولاد . وقد كتب فى وصيته : توزع الجمال السبعة عشر كالتالى : نصفها للاكبر ثلثها للاوسط . تسعها للاصغر .

وقد احتار الجميع كيف تتم هذه القسمة ، وأخيرا جاء رجل ذكى وقسمها لهم بالتساوى وحسب الوصية فكيف قسمها بينهم ؟

● الاجابة :

لقد احضر هذا الرجل جملا من عنده مؤقتا ووضعه مع هذه الجمال السبعة عشر ، فاصبح عددها ثمانية عشر

فاعطى الأكبر نصفها اى ٩ جمال
وأعطى الاوسط ثلثها اى ٦ جمال
وأعطى الأصغر تسعها اى جملين
وبقى الجمل الذى له . فاخذه مشكورا وانصرف .

محمود زيدان سفاريني
الزرقاء - الاردن

أطول وأكبر

● اطول الحيوانات فى عصرنا الحاضر هو حوت الروكال الذى يبلغ طوله ثلاثة وثلاثين مترا ويزن حوالى مئة وستين طنا ، وأفعى الاناكوندا وطولها احد عشر مترا ، والتمساح يوجد منه ما يزيد طوله على عشرة امتار .

● واطول دراجة فى العالم تسير على ثلاث عجلات ويقودها واحد وثلاثون شخصا ، صنعت فى استراليا عام ١٩٧١ ، أما طولها فيبلغ خمسة عشر مترا .

● اكبر كاتب للاطفال فى الوطن العربى هو المرحوم كامل الكيلانى الذى ولد عام ١٨٩٨ ونشأ فى احد أحياء القاهرة الشعبية وبدأ الكتابة وهو فى الصف الرابع الابتدائى حيث كتب قصة «الأمير صفوان» وقد حاول نشرها لكن الناشر طرده حين وجده طفلا صغيرا .

● اكبر آلة صنعت عام ١٩٠٠ فى شيكاغو ويبلغ ارتفاعها مترين وأربعة وسبعين سنتيمترا وكانت تحتاج الى خمسة عشر شخصا لادارتها .

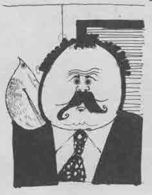
ابراهيم محمد بابا او موسى
الجزائر

طلاق بالصدفة

كان ساعى البريد يسير فى احد احياء باريس وفى يده رزمة من الرسائل ومرت بالقرب منه سيدة ، وألقت نظرة خاطفة على الرسائل ، فلاحظت واحدة منها مكتوبة بخط زوجها الذى عرفته فورا ، فاختطفت الرسالة من يد ساعى البريد وفضت الغلاف فوجدت فى داخله رسالة غرامية موجهةمن زوجها الى امرأة أخرى ، ورفعت الزوجة دعوى على الزوج ، مطالبة بالطلاق ، وكسبت القضية ، ولكنها بغفت عشرة آلاف فرنك غرامة لتدخلها فى عمل ساعى البريد وعبثها بالبريد !

حميد الساعدى
بغداد - العراق

أيهمـا أعقـل..؟!



●● قصد الزوج الى صديقه الطبيب وعلى وجهه دلائل اليأس وقال له : انقذنى يا دكتور إن زوجتى على وشك الجنون .. فهى تريد أن تحتفظ لها بعنزة .. !!

الدكتور : وماذا فى ذلك ؟

الزوج : انها تريد الاحتفاظ بها فى غرفة النوم !

الدكتور : إذن افتح منافذ الحجرة لخروج الرائحة السيئة .

الزوج : كيف افتح المنافذ .. هل تريد أن يطير منى سرب الحمام الذى احتفظ به فى نفس الغرفة ؟؟

سيد فتح الرحمن سيد - ج.م.ع

حـــاول أن تعـــرفـــ •••





● مسجد يقع فى دولة عربية . المدينة التى تضم هذا المسجد تقع على البحر . ما اسم هذا المسجد وما اسم المدينة التى يقع فيها ؟ .

● موقع سياحى شهير فى تونس ـ يقصده زوار من كل مكان ـ يمتاز بالجمال والأصالة والعراقة ـ هل تعرف هذا المكان ؟

حـل مسابقـة حـاول أن تعـرف "العـدد ٦٠"

● الصورة الأولى : الفنان فان جوخ .

١ ـ توفيق بسمة ـ تونس .

٢ ـ محمود عبد الرزاق قدو ـ سوريا .

● الصورة الثانية : مسجد باد شاهى بمدينة لاهور ـ باكستان .

١ ـ احمد سعيد حسن عبد العزيز ـ المدينة المنورة ـ السعودية .

٢ ـ فاطمة محمد حسن ـ الدوحة ـ قطر



اللص الريـاضي!



● سافر رجل الى مدينة أوربية وكان يملك قبعة ثمينة اشتراها من امريكا ، فخاف أن تسرق منه ، وفكر فى حيلة ، فكتب فى ورقة : «حذارى أيها اللص الماهر فاننى بطل العالم فى الملاكمة» ، ووضع الورقة على القبعة فى مدخل المطعم .

ولما فرغ من تناول غذائه لم يجد قبعته ووجد مكانها ورقة كتب عليها «إلحقنى يا بطل العالم فى الملاكمة ، إننى بطل العالم فى العدو» .

درويش عبد الرزاق
الجزائر

شـــرب الشـــاي



● شرب الشاى فى الشتاء يساعد على تدفئة الجسم اى يزيد درجة حرارة الجسم لان الشاى يكون ساخنا . أما فى الصيف فان الشاى يساعد على تبريد الجسم وينعشه لان درجة حرارة الجسم ترتفع .. وعند عودتها الى سابق حالتها يشعر الجسم بالانتعاش وبتغير فى درجة حرارة جسمه وكذلك بالاضافة الى ان الشاى الساخن يسبب افراز العرق فى الصيف وعندما يتبخر العرق يشعر الانسان بالبرودة .

دانــه ماجد سعد
دولة قطر



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : رزاق عبد الله ــ المغرب .

كاريكاتير وتعليق "العدد ٦٠"



١ ــ المريض للطبيب : المشكلة التى تقلقنى هى أننى حتى الآن لم أفز فى مسابقات المجلة .

منيرة حامد أحمد
الابراهيمية شرقية ــ مصر

٢ ــ المريض للطبيب : مشكلتى يا دكتور هى أن حماتى حضرت لزيارتنا أمس .

أسامة محمد حسن
كرتير ــ عدن

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـــال

الفاتح إبراهيم أحمد

قنطار خشب ودرهم حلاوة!

.. من الروايات التى قرأتها فى مادة الأدب الانجليزى لامتحان الشهادة السودانية رواية برناردشو المسماة «بجماليون» .

.. وكعادتى فى القراءة اعود فاقرا مرة اخرى ما قرأته منذ فترة بعيدة ، فتبرز لي كثير من الزوايا والابعاد كانت خافية فى القراءة الأولى .. وهذا ما حدث لي مع رواية الأديب الايرلندى برناردشو . فقد أعدت قراءتها وشاهدتها كعمل سينمائى فى الفيلم المسمى ـ سيدتى الجميلة ـ فزاد اعجابى بها لانها تلمس أشياء هى من صميم اهتماماتى .. ويمكن تلخيصها فى مشاكل التعليم واللغة بالاضافة الى مسائل اخرى كالحب والزواج ..

.. وإذا عدت لأكتب من الذاكـــــرة انطباعاتى عن وقائع تلك الرواية العظيمة مركزاً على شخصيتى مستر «هيجنز» و «اليزا» بطلى الرواية .. اقول بطريقة موجزة وبما يسمح به المجال ..

.. إن مستر «هيجنز» عالم الأصوات له معمل يجرى فيه التجارب .. و «اليزا دوليتل» فتاة غير متعلمة تتحدث الانجليزية بطريقة تجرح أسماع المتعلمين أمثال بروفسير «هيجنز» عالم الأصوات ..

التقى بها هيجنز وأخذها الى بيته وعلمها الطريقة الصحيحة لنطق اللغة الانجليزية حتى تستطيع الاختلاط بالمجتمعات الراقية ..

بالنسبة لهيجنز لم تكن «اليزا» تعنى له شيئا سوى أنها تجربة ليبرهن بها على مقدرته العلمية ..

أما المسألة بالنسبة لاليزا الفتـاة البسيطة التى كانت تعيش من بيـع الأزهار فى أزقة لندن فلم تكن بهذه البساطة فقد قابلتها مشاكل جديدة بعد انتهاء تجربة البروفسير «هيجنز».. فقد أثار التعليم فى غفلتها اسئلة لم تكن تواجهها من قبل ..

فى قمة الحبكة الروائية واجهت «اليزا» مستر «هيجنز» بتلك التساؤلات قائلة :ـ الى أين أتجه ؟ وماذا أنا فاعلة بنفسي ؟ وما هو مصيرى ؟ .. أسئلة طرحتها بعد انتهاء التجربة ..

.. أما بروفسير «هيجنز» الذى لم تعد له أية ارتباطات مع «اليزا» بعد انتهاء التجربة فقد أجابها بأن صنع الحياة يعنى صنع المتاعب والطريقة الوحيدة لتجنب المتاعب هى قتل الأشياء .

يثير برناردشو من خلال اجابة بروفسير هيجنز مسألة هامة وهى أن «اليزا» قبل التعليم كانت فى حكم الميتة فلذلك لم تواجهها تلك المتاعب . ولكن بعد أن تعلمت واجهت متاعب كبيرة .. نتيجة لما أثاره التعليم وما أججه فى نفسها من تفاعلات أدت الى تغيير نظرتها وموقفها من الحياة ..

وإذا اندفعنا مع هذا السياق لابد ان نلتقى على هذا الدرب مع شاعرنا العظيم المتنبى الذى يعكس فى ومضة مشرقة من الشعر وفى بيت واحد ما تعجز الرواية أو القصة أن تعبر عنه إلا فى مئات الصفحات

يقول المتنبى معبرا عن حياة وحالة العالم وحياة وحالة الجاهل :

ذو العلم يشقى فى النعيم بعقلـــــه
واخو الجهالة فى الشقاوة ينعـــــم

وذلك ربما يذكرنى أيضا بمقياس نقدى للأستاذ العقاد حينما سئل عن رأيه فى القصةوالرواية . فقد رد بما معناه أنه لا ينكر وجود روائيين وقصاصين عظماء إلا أن ما تعطيه الرواية أو القصة فى صفحات عديدة ربما يعطيه الشعر بايجاز فى بيت واحد لذا فهو يفضل الشعر . وقال إن القصة تعطيك قنطاراً من الخشب لتستخرج منه درهما واحدا من الحلاوة ..



برناردشو — المتنبى — العقاد